

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الآيات والأحاديث والآثار العقيدية الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام جمعاً ودراسة

دراسة عقيدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة

ابنهاج صالح حسين فيرق

الرقم الجامعي (٤٢٧٨٠٣٤٤)

إشرافه سعادة الأستاذة الدكتورة

عائشة علي مروزي الخوتاني

الفصل الدراسي الثاني

عام ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ... فهذه رسالة علمية بعنوان ((الآيات والأحاديث والآثار العقديّة الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام جمعاً ودراسة)) دراسة عقديّة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، مقدم من الباحثة / ابتهاج صالح حسين فيرق، لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة ، بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة .

وقد تم فيها جمع الآيات والأحاديث والآثار الواردة في مسائل العقيدة التي ذكر فيها نبي الله عيسى عليه السلام ، ثم استنباط المسائل العقديّة - الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة - التي تخص نبي الله عيسى من هذه النصوص والآثار ، وقد ناقشت الرسالة دعوة عيسى عليه السلام مقسمة على أركان الإيمان الستة ، وتم فيها إثبات دلائل نبوة عيسى عليه السلام ، مع الإشارة لبعض عقائد النصارى وتبيين مخالفتها للحق ، وقد جاءت هذه الرسالة في ستة فصول، مسبوقه بمقدمة وتمهيد وملحق بخاتمة وفهارس .

فالمقدمة تحتوي على: أهمية الموضوع وأسباب اختياري له، وخطة البحث، ومنهج البحث.

والتمهيد (وفيه مطلبين) :المطلب الأول: بيان أن قصص القرآن والسنة مشتملة على مسائل العقيدة ودلائلها

المطلب الثاني: التعريف بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ودعوته.

وستة فصول : الفصل الأول: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نشأة نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

الفصل الثاني : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

الفصل الثالث : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

الفصل الرابع : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب.

الفصل الخامس : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم.

الفصل السادس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام في الإيمان باليوم الآخر.

ثم ذكرت أهم النتائج ومنها: أن القصص التي وردت في نصوص القرآن وصحيح السنة، مشتملة على مسائل إيمانية وفوائد سلوكية عظيمة ، حتى وإن تكررت القصص ، فينبغي على المتدبرين والباحثين العناية بقصص القرآن والسنة النبوية الصحيحة،

والترغيب والترهيب بها ، وهي المقصودة بالأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١) ومن الإقتراحات : الإهتمام بالشخصيات المذكورة في القرآن والسنة النبوية، وجمع النصوص التي ورد ذكرهم فيها، سواء كانت عن الأنبياء والرسل وهم أولى، أو كانت عن الملائكة أو من دونهم، واستخراج المسائل العقديّة والفوائد السلوكية منها، وهي أفضل من الإكتفاء بذكرهم على صورة قصصية ودعوية. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

Message Digest

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messengers and his family and companions, but after ...

This research titled ((**Verses and hadiths and Streptococcus effects contained in the Prophet Jesus, peace be upon him and study the multitude**)) Nodal study in the light of the doctrine of the Sunnis and the community , Submitted by the researcher \

Ibtehaj saleh Hussein feraq , Master's degree in the doctrine Specialization , Faculty of .advocacy and the origins of religion, Umm Al-Qura University Makkah.

Has been in the collection of verses and hadiths and effects contained in matters of faith in which it was God's prophet Jesus, and then to devise questions Streptococcus - Approval of the doctrine of the Sunnis and the community - that belong to God's prophet Jesus from these texts and effects, I have discussed the letter inviting Jesus divided six pillars of faith, which was evidence to prove the prophecy of Jesus, with reference to some of the beliefs of Christians and to indicate violation of the right, came this message in six chapters, preceded .by an introduction and a conclusion extension and pave the indexes

The Introduction contains: importance of the topic and the reasons for his selection, and the .research plan, and research methodology

The Boot (in which two demands): First requirement: a statement that the stories of the Quran and Sunnah shall include matters of faith, guidelines

The second requirement: Introducing the Prophet of Allah Jesus peace be upon him and his .call

The six chapters :

the first chapter: verses and hadiths and effects contained in the genesis of the Prophet Jesus, .peace be upon him

Chapter II: The verses and hadiths and effects contained in the signs of the prophecy of God's prophet Jesus, peace be upon him

Chapter III: The verses and hadiths and effects contained in the Prophet Jesus, peace be .upon him in faith in God and unification

Chapter IV: verses and hadiths and effects contained in the Prophet Jesus, peace be upon .him in faith and belief in angels books

Chapter V: verses and hadiths and effects contained in the Prophet Jesus, peace be upon him in faith by the prophets and apostles on them

Chapter VI: verses and hadiths and effects contained in the Prophet Jesus, peace be upon him in faith the other day

Then stated the most important results, including: that the stories contained in the texts of the Koran and correctly, the benefits and issues of faith nodal and behavioral different, even though one story, it should be on Almttberan and researchers care stories Quran and Sunnah correct, and carrot and the stick, namely the intended thing divine in sayingsays :

(¹) ﴿ فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

Among the recommendations: pay attention to the personalities mentioned in the Qur'an and Sunnah, collecting texts reportedly mentioned therein, whether all the prophets and apostles are the first, or was about angels or without them, and extract issues Streptococcus and benefits behavioral ones, which is the best of the sufficiency Bzlm the image of short stories and advocacy. May Allah bless him and bless our Prophet Muhammad .

(1) سورة الأعراف: الآية ١٧٦ .

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً حقٌّ، وأنه عبده وخاتمُ أنبيائه ورسوله ﷺ، وأنَّ عيسى عليه السلام عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأشهد أنَّ النَّبِيَّينَ حقٌّ عليهم الصلاة والسلام ، لا نفرق بين أحد منهم ، والجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، وأنَّ الله يبعثُ من في القبور. ثم أما بعدُ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(٣)، وبعدُ:

فالحمد لله ربِّ العالمين، إله النَّبِيِّينَ والمرسلين، قِيُومِ السَّمَوَاتِ والأرضين، وخالقِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، والصلاة والسلام على خاتم النَّبِيِّينَ ، وعلى إخوانه من النَّبِيِّينَ والمرسلين وأتباعهم، بإحسان إلى يوم الدين
أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدى هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

لقد تميَّزَ أهلُ السُّنة والجماعة أهلُ الحديث والأثر أنهم يتلقَّون عقائدهم من الوحي المنزل على النبيِّ الخاتم محمد ﷺ، فيجعلون عمدتهم في معرفة الدِّين مصدرين معصومين وهما: وحي القرآن الكريم، ووحي السُّنة الثابتة فيما يؤمنون به من عقائد، وما يعملون به من أحكام، وهم في تلقيهم محتجين بفهم السلف الصالح

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٠-٧١.

وما أجمعوا عليه، وهم الصحابة الكرام والتابعين وأتباعهم بإحسان، لأنَّ الله رضي عنهم، فرضي أقوالهم وأعمالهم، ورضي فهمهم وإيمانهم، وأثنى عليهم في التوراة والإنجيل والفرقان، قال الله تعالى عنهم:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(١)، وقرن إيمان

الرسول محمد ﷺ مع إيمان أصحابه ﷺ: ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(٢)، وقال النبي ﷺ عنهم: « خيرُ الناس قربي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... »^{(٣)(٤)}

ولذلك كانت رسالتي هذا في البحث عن المسائل العقيدية التي تميزت بها عقيدة أهل السنة والجماعة في

نصوص الكتاب والسنة، وما أثر عن سلف الأمة، فيما ورد فيه ذكر الرسول الكريم، والمسيح العظيم،

عيسى ابن مريم عليهما السلام؛ بأي صفة جاء ذكره عليه السلام، وقد وردت قصص الأنبياء والمرسلين

مبثوثة ومتفرقة في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكان أصل هذه الرسالة، موضوع أرسلته إلى قسم

العقيدة للبحث فيه لنيل درجة الماجستير، بعنوان " التوحيد في قصص أولي العزم من الرسل " وقد رحب

بالموضوع ترحيبا عظيما، وجعل منه مشروعا في قسم العقيدة، بحيث يبحث كل طالب لكل نبي أو

رسول على حدة، فيما خص ذكره فيه من الآيات والأحاديث والآثار مع دراستها، على مسائل العقيدة

الإسلامية المرتبة على أركان الإيمان الستة^٥، وقد تم اختياري على النبي عيسى عليه السلام لما يتجلى لي

من أهمية الدراسة في هذا النبي الكريم لعدة أسباب هي:

من أهمية الدراسة في هذا النبي الكريم لعدة أسباب هي:

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٧١/٣ - رقم ٢٦٥٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (٤/١٩٦٣ - رقم ٢٥٣٣).

(٤) انظر "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (١٩/١٥٥ - ١٥٦).

(٥) من المفارقات العجيبة أن رأيت رؤيا قبل الوصول إلى الكتابة في هذه الرسالة بثلاث سنوات أتى وجدت سلسل اسمه سلسلة الأنبياء

والمرسلين وكان لونه أصفر يعوم في ماء جار صاف وامسكت به لكي أقدمه للمشرفين، فسبحان الله الكريم

أسباب اختياري البحث في نبي الله عيسى عليه السلام :

- أما اختياري لسيدنا المسيح نبي الله عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام كان لأسباب عظيمة منها :
- ١- ما يتجلى في القرآن والسنة من قضايا التوحيد، والإيمان، والعقائد السلفية، التي تُعدُّ من ضروريات الإيمان عند ذكر عيسى عليه السلام في حياته، وبعد رفعه، وعند نزوله عليه السلام قبل يوم القيامة.
 - ٢- الرغبة في معرفة ما يختصُّ به عيسى عليه السلام سواء ما ذكر عنه في العقيدة الإسلامية أو عقائد النصارى كبداية لي بالبحث عنه عليه السلام ، وذلك تمهيدا للتخصص العميق - بإذن الله - في دراستي الدكتوراة
 - ٣- وهو من أعظم ما يرغبني فيه هو الصلة والعلاقة الظاهرة بين نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام وبين نبينا وخليفتنا محمد ﷺ، وذلك يظهر في موقفين :
 - أ- تبشير عيسى عليه السلام بمجيء نبينا الخاتم محمد ﷺ.
 - ب- نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وحكمه بشريعة الإسلام، وأتباعه لنبينا محمد ﷺ.
- والنبي الكريم ﷺ قد أظهر هذه العلاقة فيما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قوله: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة...»^(١)
- ٤- وجود من يشكك في مسائل إيمانية تختص ببعض أشراف الساعة كنزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة و ظهور المسيح الدجال ، وترد الأحاديث أو تأولها تأويلا باطلا ، والعجيب أن ذلك موجود منتشر حتى بين العامة فضلا عن من يشتغل بالعلم^(٢)
 - ٥- الرغبة في معرفة أقوال عيسى عليه السلام وما يدعو إليه سواء في القرآن الكريم ، وما نقل عنه في نصوص العهد الجديد ، و إظهار دعوته للتوحيد وعدم مخالفتها لها^(٣)

(١) تقدم تخرجه ص ٦ ، وهو بداية حديث " و الأنبياء إخوة ..."

(٢) قد أثارني موقف وقع لزوجي مع أصدقائه وهم ممن لا علاقة لهم بالعلم الشرعي ، أنه ناقشهم أحد الأصدقاء بتكذيب خبر المسيح الدجال ، وأنه لا وجود له في القرآن الكريم ، وعدم اعترافه بالسنة الصريحة في ذلك ، هذا مع انتشار العلم في هذه البلاد المباركة ، وقد وقعت في مدينة النبي محمد ﷺ وهو الصادق المصدوق ، ثم تبين أنه يدعي أنه من القرآنيين والمصيبة أنه من أبناء مدينة النبي ﷺ

(٣) كان كثيرا ما تشدني مناظرات الشيخ أحمد ديدات رحمه الله في قبل كتابتي للبحث ، وأنه كان كثيرا ما يرد على خصومه بدعوى (أنه لم ينقل عن عيسى عليه السلام أنه دعا إلى عبادة نفسه أو أنه صرح أنه ثالث ثلاثة بل كان يدعو إلى توحيد الله) وقد وجدت ذلك صحيحا وسيتبين ذلك من خلال ما نقلت من نصوص العهد الجديد .

وأما أهمية كتابتي في هذا الموضوع ومميزاته رسالتي :

الأول: أني تتبعت المواضع التي تختصُ بالنبيِّ عيسى عليه السلام الذي يراد دراسته في القرآن والسنة والآثار، وجمعتها في مكانٍ واحدٍ ، فكان حصيلة ما جمعت في الآيات المتعلقة به عليه السلام أكثر من أربعين آية^(١)، و مائة وثلاث وعشرون حديثا ، وخمس وستون أثرا ، مما يسهّل على القارئ والباحث تدبُّر وتفهُم ما يراد من ذكر هذا النبيِّ الكريم في النصوص.

الثاني: قسمت هذه الآيات والأحاديث والآثار على أركان الإيمان الستة والتي تظهر بجلاء أن أصول دعوة عيسى عليه السلام متفقة مع أصول دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهذا هو حال جميع دعوة الأنبياء والرسل أنما متفقة في أصولها وان اختلفت الشرائع ، مصداقا لقول النبي عليه الصلاة والسلام:
(والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)^(٢)

الثالث : أني حررت المسائل العقيدية التي تضمنتها فصول الرسالة بقدر وسعي ، و كنت أمكث للمسألة التي أقرها وأحررها أحيانا أكثر من شهر ، فليست كتابتي لها مجرد إشارات ، بل حررتها بحسب ما يليق بالمقام بدون تطويل ولا إخلال^(٣).

الرابع: نظرا لأن هيئة أعضاء مجلس قسم العقيدة الذين وضعوا هذا المشروع، قد طالبوا في منهجية هذه السلسلة ، الكتابة في فصل كامل عن نبوة عيسى عليه السلام ودلائل نبوته وجعلوه في الفصل الثاني، فجعلت الفصل الثاني مختصا بنبوته عليه السلام ، فقدمت بمقدمات في دلائل النبوة عامة ، ثم اتبعتها بإظهار دلائل نبوة عيسى عليه السلام حسبما ورد من الآيات والأحاديث والآثار، وتتمة للفائدة المرجوة من فصل النبوة ، أقمت مقارنة في مسألة النبوة ودلائلها بين أهل السنة والجماعة وبين المتكلمين بإيجاز^{(٤)(٥)}

(١) عدد الآيات التي ذكرتها في البحث مائة وتسع وتسعون

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٧ - رقم ٣٤٤٣) .

(٣) هذه التحريرات لجل رسالتي وأذكر على سبيل المثال مسألة المضاف إلى الله تعالى في الفصل الثالث ، ومسألة اتباع الإنجيل لأحكام التوراة الفصل الرابع ، ومسألة أسباب تحريف الإنجيل الفصل الرابع ، ومسألة بشرية عيسى عليه السلام الفصل الخامس .

(٤) هذه التحريرات لجل رسالتي وأذكر على سبيل المثال مسألة المضاف إلى الله تعالى في الفصل الثالث ، ومسألة اتباع الإنجيل لأحكام التوراة الفصل الرابع ، ومسألة أسباب تحريف الإنجيل الفصل الرابع

(٥) وهذه المقارنة كانت باقتراح من المشرفة على رسالتي الدكتورة عائشة الخوتاني حفظها الله تعالى .

الخامس: تبين المواضع التي اختلفت النصارى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة و يشار بالرد عليهم من النصوص الإسلامية ، وكذلك من نصوص العهد الجديد التي تشهد وتؤيد هذه الردود دون تطويل .

السادس : أني عززت رسالتي في تنويع كثير من مواضع الردود على عقائد النصارى فأغلبها من أقوال علماء النصارى المهتمدين إلى الإسلام لإظهار القوة في الرد عليهم كمثل الحسن بن أيوب الذي أورد رسالته كاملة شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح ، وعبدالله الترجمان وعلي بن ربن الطبري ونصر المتطب ، وقليل من اللذين أسلموا من الكتاب المعاصرين ، وقد ميزت أقوالهم بتلقيب صاحب القول بالمهتدي ، تميزا لهم عن غيرهم من علماء المسلمين ، وكذلك استشهدت بكلام عدد من علماء القرون الوسطى من علماء الإسلام إلى عصرنا الحاضر ، كمثل العلامة القرافي ، و أبو الوليد الباجي ، وأبو عبيدة الخزرجي وغيرهم .

فكانت رسالتي جامعة لدعوة عيسى السلام مقسمة على أركان الإيمان الستة ، مع توضيح أن نصوص القرآن والسنة مشتملة على دلائل ومسائل العقيدة الصحيحة التي يجب على المسلم اعتقادها^(١) ، وكذلك اشتملت رسالتي على اثبات دلائل نبوته عليه السلام ردا على اليهود المنكرين لنبوته ، مع الرد على النصارى اللذين غلوا فيه من خلال هذه النصوص ما أمكن .

ووسمت رسالتي بعنوان :

(الآيات والأحاديث والآثار العقديّة الواردة في نبوي الله عيسى عليه السلام جمعاً ودراسة)^(٢)

خطة البحث : ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة.

أولا : المقدمة، وتحتوي على :

أسباب اختياري للموضوع ، مع أهمية كتابتي فيه ، وخطة البحث ، ومنهج البحث ، والدراسات السابقة، وشكر وتقدير

ثانيا : التمهيد : وتحتوي على مطلبين :

المطلب الأول: بيان أن قصص القرآن والسنة مشتملة على مسائل العقيدة ودلائلها.

المطلب الثاني: التعريف بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ودعوته.

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٧ - رقم ٣٤٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٧ - رقم ٣٤٤٣) .

ثالثا : الفصول ، وهي ستة فصول :

الفصل الأول: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نشأة نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام،

(وفيه مبحثان): **المبحث الأول:** ما ورد في قصة أم مريم وحملها بمریم عليها السلام (وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول: اصطفاء الله لآل عمران على العالمين ، المطلب الثاني : قبول الله لنذر أم مريم عليها السلام

المطلب الثالث : تعويد أم مريم عليها السلام ابنتها وذريتها من الشيطان الرحيم .

المطلب الرابع : الإخبار عن الأمور الماضية علم من أعلام نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل مريم عليها السلام وولادتها لعيسى عليه السلام (وفيه مطلبين) :

المطلب الأول : اثبات كرامة أم عيسى عليها السلام .

المطلب الثاني : فضل الصديقة مريم عليها السلام ومكانتها في الجنة .

الفصل الثاني: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه الصلاة

والسلام: (وفيه مبحثان)

المبحث الأول: مقدمات في النبوة ودلائلها ، وفيه (ثلاثة مطالب)

المطلب الأول: معنى النبوة والرسالة ، المطلب الثاني : دلائل النبوة بين أهل السنة والمتكلمين

المطلب الثالث: إثبات نبوة عيسى عليه السلام وأنه من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثاني: ما ورد في دلائل نبوة عيسى عليه السلام: (وفيه أربع مطالب)

المطلب الأول : ما ورد في الاستدلال بحال نبي الله عيسى عليه السلام وصفاته (وفيه خمسة مسائل)

المسألة الأولى : الإرهاصات التي كانت قبل مولده عليه السلام ، المسألة الثانية: ولادته من غير أب

المسألة الثالثة : التكلم في المهدي ، المسألة الرابعة: صفاته الخلقية ، المسألة الخامسة : صفاته الخلقية .

المطلب الثاني: ما ورد في الاستدلال بآيات ومعجزات عيسى عليه السلام (وفيه خمسة مسائل) :

المسألة الأولى: أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .

المسألة الثانية : إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله عليه السلام .

المسألة الثالثة: إحياء الموتى ، المسألة الرابعة : الإخبار بالمغيبات ، المسألة الخامسة : نزول المائدة .

المطلب الثالث: ما ورد في الاستدلال بدعوة عيسى عليه السلام (وفيه أربعة مسائل) :

المسألة الأولى: دعوته لتوحيد الله عليه السلام وإلى الإسلام

المسألة الثانية : تصديقه لمن قبله من الأنبياء ، ومتابعته للتوراة، المسألة الثالثة : أمره بتقوى الله ﷻ والإيمان به وطاعته نبيه ﷺ ، المسألة الرابعة : الدعوة إلى أصول الشرائع من الصلاة والزكاة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الرابع : ما ورد في الاستدلال بنجاة عيسى عليه السلام من أعدائه ونصرته بإلقاء الشبه على غيره ورفعه إليه.

الفصل الثالث: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالله تعالى:(وفيه ثلاثة مباحث):

المبحث الأول: ما ورد في تقرير توحيد ربوبية الله تعالى (ووفيه تمهيد وفيه ثلاثة مطالب):

تمهيد: وفيه مسألتين : المسألة الأولى : معنى كلمة "الرب"؛ المسألة الثانية : معنى كلمة "الإله" .

المطلب الأول: إقرار نبي الله عيسى عليه السلام بتوحيد ربوبية الله تعالى.

المطلب الثاني: شرك النصارى في توحيد الربوبية

المطلب الثالث: ما ورد في نبي الله عيسى عليه السلام من مفردات ربوبية الله ، (وفيه أربعة مسائل)

المسألة الأولى : الخلق ، المسألة الثانية : الملك لله ، والنعف والضر لله سبحانه

المسألة الثالثة : الرزق ، المسألة الرابعة : الإذن الكوني.

المبحث الثاني: ما ورد في تقرير الإيمان بتوحيد الألوهية وفيه (ثلاثة مطالب) :

المطلب الأول : الأمر بعبادة الله تعالى والنهي عن الشرك به سبحانه.

المطلب الثاني: تقرير عبودية عيسى عليه السلام لله تعالى ، المطلب الثالث: الشرك في الألوهية:

(وفيه مسألتين) : المسألة الأولى : شرك الطاعة ، المسألة الثانية : شرك الغلو في الصالحين.

المبحث الثالث: ما ورد في تقرير الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: (وفيه أربع مطالب):

المطلب الأول: ما ورد في أسماء الله تعالى ، المطلب الثاني: ما ورد في صفات الله تعالى وأفعاله.

المطلب الثالث: المضاف إلى الله تعالى ، المطلب الرابع: ما ورد في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الرابع: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب: (وفيه مبحثان)

المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بالملائكة عليهم السلام: (وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول: بشرى الملائكة عليهم السلام لمريم عليها السلام بعيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: تسمية الملك جبريل عليه السلام بروح القدس.

المطلب الثالث: تمثل جبريل عليه السلام بصورة رجل.

المطلب الرابع: النفخ في جيب مريم عليها السلام وحملها بهذا النفخ.

المبحث الثاني : ما ورد في الإيمان بالكتب: (وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول: الإيمان بما أوتي عيسى عليه السلام، وأنها من كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: مصادر التشريع عند عيسى عليه السلام.

المطلب الثالث: تعريف الإنجيل، ورسالة عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: تحريف الإنجيل، وأسباب تحريفه.

الفصل الخامس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، (وفيه ثلاث مباحث)

المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بعيسى عليه السلام.

المطلب الأول: إثبات نبوة عيسى عليه السلام، وذكر اسمه ولقبه.

المطلب الثاني: نسب عيسى عليه السلام في القرآن، واختلاف نسبه في الإنجيل.

المطلب الثالث: الإيمان ببشرية عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: الإيمانُ بتفاضلِ الأنبياءِ، وفضائلِ عيسى عليه السلام، وأَنَّهُ من أُولي العزمِ من الرُّسلِ.

المبحث الثاني: في علاقة نبي الله عيسى عليه السلام مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: علاقة نبينا محمد ﷺ بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام (وفيه أربعة مطالب) .

المطلب الأول : أَنَّهُ معلوم في كتاب الله بنبوته واختيارِ الله له منذ خلق آدم عليه السلام.

المطلب الثاني : الميثاق الذي أخذ على النبيين.

المطلب الثالث : بشارته النبي عيسى عليه السلام به، وذكره في التوراة والإنجيل.

المطلب الرابع : نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وإقراره لشريعة النبي محمد ﷺ.

الفصل السادس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام في الإيمان باليوم الآخر. (وفيه مقدمة ومبحثان).

المقدمة ، و المبحث الأول : ما ورد في الإيمان بأشراط الساعة: (و فيه خمسة مطالب)

المطلب الأول: نزول المسيح عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة.

المطلب الثاني: قتل المسيح عيسى عليه السلام للمسيح الدجال، وذكر من معه من المؤمنين.

المطلب الثالث: صفة نزول عيسى عليه السلام ومكانه، وما يقوم به من أعمال.

المطلب الرابع: هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه عليه السلام.

المطلب الخامس: حال الناس في عصر عيسى عليه السلام ، ومدة لبثه وموته عليه السلام.

المبحث الثاني: ما ورد في الإيمان بيوم القيامة: (وفيه ثلاثة مطالب)

المطلب الأول: طلب الشفاعة العظمى من عيسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: تلقين الله تعالى لعيسى ﷺ حجته يوم القيامة.

المطلب الثالث : ما ورد في أهوال يوم القيامة وذكر البعث والجنة والنار

مجمع الهمم : سرت في بحثي وفق المنهج التالي :

- ١- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سور القرآن الكريم مُبَيَّنَةً اسم السورة ورقم الآية في الهامش، مستخدمة المصحف العثماني بمجمع الملك فهد رحمه الله.
- ٢- عرَّجْتُ الأحاديث النبوية الشريفة من مظانِّها في كتب السنة المطهرة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالاعزو إليهما، وإن كان في غيرهما عزوته إلى مظانِّه ما أمكن، وأجتهد في النقل عن تكلم على إسناده من العلماء .
- ٣- عزوت الآثار إلى مظانِّها من كتب التفسير وكتب الحديث واكتفيت بذكر مصدره دون الحكم عليه ، لأن أغلب الآثار تفسير للآيات أو شواهدُ على الأحاديث الصحيحة ، وأشير إلى موضع تحريجه إن تكرر منعا للإطالة .
- ٤- استوفيت الآيات والأحاديث والآثار المتعلقة بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام فيما ورد فيه ذكره عليه السلام بأي صفة كانت ، سواء أتى ذكره فيه قصة عنه عليه السلام أم جاء ذكر اسمه فقط
- ٥- استنبطت مسائل العقيدة من الآيات والأحاديث التي جمعتها وفقا لعقيدة أهل السنة والجماعة ، ثم أوردت تحت عنوان كل مسألة عقدية الآيات والأحاديث والآثار التي تدل عليها .
- ٦- استقصيت ما وجدْتُ من آيات وأحاديث وآثار في المسألة الواحدة، وإن خلت إحدى المسائل من شواهد الآيات أو الأحاديث أو الآثار فإني أعرض المسألة بما وجدت لها من دلائل و شواهد، سواء أكانت الآيات مع الأحاديث، أو الآيات مع الآثار، أو الآيات دون الأحاديث، أو الأحاديث دون الآيات .
- ٧- قسمت مسائل العقيدة على أركان الإيمان، و قد ضُمِّن الإيمان بالقضاء والقدر في فصل الإيمان بالله تعالى، وذلك لقلّة المادة العلمية في هذا الباب، وهو متعلق أيضا بالإيمان بالله تعالى لأنه من أفعاله.
- ٨- ترجمتُ للرواة والأعلام غير المشهورين سواء من الصحابة أو غيرهم، مشيرةً إلى مصادر الترجمة باختصار.
- ٩- شرحتُ المفردات اللغوية - الغريبة بالنسبة لي- الواردة في الأحاديث، وكذلك بعض المصطلحات المتعلقة بالعقيدة والأديان.

١٠- نظرًا لأن بعض الفصول قد تتكرر فيها المباحث فإنني أذكر المسائل العقديّة في المبحث الذي يناسبه أكثر، وأشير إليه في الموضوع الآخر.

١١- استشهدت بما ورد عن عيسى عليه السلام في العهد الجديد فيما يوافق القرآن والسنة، احتجاجاً على النصارى، ولا ألتزم ذلك في كل مسألة.

١٢- لم أتطرق إلى الإسرائيليات فيما يخص بحثي، ولم أجمع الآيات الواردة في أهل الكتاب، نظراً لأن هناك رسالة اختصت بالإسرائيليات الواردة في عيسى عليه السلام، ورسالة أخرى اختصت بالآيات الواردة في أهل الكتاب.^(١)

الدراسات السابقة :

قد كتبت في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام رسائل كثيرة ومتعددة، وخاصة في مجال النصرانية والردود عليها ما بين تأليف وتحقيق، وأيضاً رسائل مقارنة في قضايا النصرانية بين القرآن والكتب المقدسة عند النصارى، وهي كثيرة ولا داعي لذكرها لظهور مباينتها واختلافها مع رسالتي المقدمة.

غير أنني وجدت رسائل مشابهة لرسالتي ولكن تختلف في مقاصدها مع رسالتي، خاصة وأن رسالتي المقصود منها استقصاء ما ورد عن نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، وتبسيط الضوء على المسائل العقديّة الواردة في تلك النصوص والآثار.

ومن تلكم الرسائل : ١- عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة، منيرة عبد الله صالح الحبيب، رسالة ماجستير كلية التربية للبنات بالرياض، قسم الدراسات الإسلامية، ويظهر أنها عامة غير متخصصة في قضايا ومسائل العقيدة.

٢- عيسى بن مريم عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، مصلح بن عبد الكريم السامدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه ١٤١٥ هـ وهي في الدراسات القرآنية

٣- الإسرائيليات في قصة عيسى عليه السلام، سناء عبدالرحيم حلواني، ماجستير، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم دراسات إسلامية وهي أيضاً في الدراسات القرآنية.

٤- المسيح في القرآن، رمضان مصطفى دياب، وهي رسالة دكتوراة في علوم القرآن.

ولكن أقرب الرسائل إلى رسالتي هي :

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٧- رقم ٣٤٤٣).

(المسيح عليه الصلاة والسلام والنصرانية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)

للباحث إسماعيل عبدالعزيز محمد عبداللطيف، بإشراف الدكتور: محمود بن عبدالرحمن محمد زين قدح، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وقد اطلعتُ عليها، وهي رسالة تحتوي على تمهيد وثلاثة مباحث، ذكر في أحد المباحث قصة مريم عليها السلام من حيث نسبها وولادتها، و ثلاثة أبواب: الأول: ما ورد ذكره عن المسيح عليه السلام وحال قومه في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ الباب الثاني: مصادر النصارى التشريعية وعقيدتهم في الكتاب والسنة، والباب الثالث: ما ورد ذكره من الشعائر والعبادات والفرق والأخلاق لدى النصارى؛ ويظهر من ذكر الأبواب أن التشابه يقع في الباب الأول فقط حيث إنه جعل الباب الأول: وفيه (ستة مباحث): المبحث الأول: سيرته الذاتية ونشأته عليه السلام، المبحث الثاني: معجزاته عليه السلام، المبحث الثالث: دعوته عليه السلام قومه، المبحث الرابع: تلاميذه الحواريون، المبحث الخامس: نجاته عليه السلام ورفعته إلى السماء، المبحث السادس: نزوله عليه السلام في آخر الزمان.

وبعد الاطلاع عليها وجدت أنها تسرد قصة عيسى عليه السلام من الكتاب والسنة، دون ابراز المسائل العقديّة ، التي تميزت بها العقيدة الإسلامية، عقيدة أهل السنة والجماعة في النصوص التي جمعها - إلا قليلا - وكانت جل الباب المذكور جمع النصوص ، و لكن رسالتي بإذن الله المقصود منها ذكر المسائل العقديّة ودلالاتها في ما ورد في الآيات والأحاديث التي فيها ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام، وهذا أكبر فارق بين الرسالتين ، وسيظهر المقصود مع قراءة فصول البحث ، هذا وأعتزف بالقصور في كثير من جوانب هذه الرسالة، وأرجو اعداري لأسباب عدة ، فعيسى عليه السلام عند الله تعالى عظيم الشأن، وجيه المقام، لن توفي حقه رسالتي؛ والله المستعان ، وهذا اجتهاد المقل فلقد تتابعت في وقت دراسة المنهجية وكتابة الرسالة كثير من المحن والعقبات ما بين سقم واغتراب، ورسوب والغاء قيود ، وزواج و انجاب ، ولكن الله تعالى الكريم المعين هو الذي يسر لي أسبابه ، وفتح مغاليقه ، وسخر الطيبين من عباده وإمامه ، و أعانني على إتمام بحثي فله الحمد والمنة ابتداءً وانتهاءً ، وأولاً وآخراً ، وأسأله تعالى الكريم أن يتقبله مني و يتقبله ممن عاونني ، بجمال كرمه و عظيم أطفاه وإحسانه ، و يغفر لي الزلل والخطأ ، ومجانبة الصواب، إنه عفو غفور تواب.

شكر وتقدير

وبعد أن أنهيت هذا البحث الكبير، بجهد عظيم، وعلم قليل، وقلم قليل، وسيرٍ تحلله كثيرٌ من الوقتات، وضمن تفاوتت فيه الخن والعقبات، ظننت أن لا أسير إلى نهايته، ولا أرى صفحاته منشورة، ولا أنني أناقشُ به فرحةً مسرومةً، ولكن أقول الحمد لله في الأولى والآخرة، والحمد لله في البدء والتمام، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتم نهاية الكتابات، وتتم وصول الرحمات، وتتم الألفاظ وتفتح الخيرات، هو المدبّر والمسخّر والمكرم والمعين، فلو كان لأحدٍ غيره شكر لعطاء، فله من قبل الحمد والثناء، فهو المتفضل على الحقيقة، والمتصرف في الخليقة، واللطيف في الجليلة والدقيقة، والفتاح للمعلومات، والمسهل للصعوبات، والمذل للعقبات والمنزل للنكبات؛ لا يئس تأبُّ بعد ظلمه، ولا يُحبط داعٍ معتصمٌ بجبله، يجعل بعد عسرٍ يسرا، وبعد ضراءٍ سراءً، فله الحمد والثناء كما ينبغي لواسع كماله، وجلال وجهه وجماله، وكرم يديه وعطاءه، وعظيم جده وقدم سلطانه.

ثم أوجه شكري وتقديري لمن لهم بعد الله تعالى سبب وجودي وظهوري، وهم في الدنيا فرحتي وسروري، والناي الكرمين؛ الذي شجعوني ولم يمنعوني العلم أين كان، وأخض بالذكر والذبي الكريمة وغاليتي النفيسة النبيلة (عائشة وان عبد الرحمن) التي صبرت على خدمتي أنا وأسرتي في سبيل إنهاء البحث، فلها جزيل الشكر والحب والامتنان الذي لا أقدر على رده ولا وصفه، وأشكر والذي الفاضل (صالح فيرق)، الذي كان يشجعني ولا يمنعني عن سبل العلم أين كان، فجزاها الله عني أعلى جنته وعفوه ومغفرته، ووقفنا لبرها وأعاننا على ذلك، ثم أشكر زوجي يوسف عبد القادر الذي حباني به الله الكريم فوقف بجاني بالدفع والتشجيع، والصبر والمجازة، وسعيه بما في مقدوره من مال وحمد في سبيل إتمام بحثي فجزاه الله عني عظيم الأجر والخير في الدارين، ثم أشكر كل من لهم فضلٌ علي في دراستي، وأخض بالشكر خالاتي الغاليات أمينة وبشيرة، وخالي يوسف وزوجته سحر وأبناءهم، اللذين أسكنوني في بيتهم في السنة المنهجية، وقاموا بخدمتي وإكرامي، فجزاهم الله عني الخير والبركات واليسر والأجر في الدارين.

وأشكر كل من ساعدني في جمع المراجع، وصيِّ الرسالة وإخراجها على هذا الوجه، وأخضهم الأخ جمال عرقوب جزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله وأجره وأهله، وكذلك أشكر كلا من صديقاتي: تهاني القايدي، ودرة مسلمي، وسهى دعوي وكريمة الصيني، على ما قدموه من مساعدة فجزاهم الله عني خير الجزاء، وبارك الله في أجورهم وسعيهم. وكذلك لا أنسى بالشكر الجزيل المربية نور، وكذلك من أهل زوجي حفصة وخديجة ونجبية وأبنائهم الذين تحملوا عبأ العناية والرعاية لابنتي تسنيم الرضيعة حفظها الله، فجزاهم الله عني كل خير، وجميع أخواتي وأخواني الأشقاء.

وأشكر كثير الشكر كلاً من الدكتور محمد باجهان الذي دُرّسني مادة العقيدة بجامعة طيبة بالمدينة النبوية، والدكتور عبد الله الغفيلي بالجامعة الإسلامية ، اللذين حَبَوني بتوجيهاتهم السديدة في رسالتي وتصويبها ، كما أشكر كل من دُرّسني بجامعة طيبة بالمدينة النبوية، في مرحلة البكالوريوس .

وأشكر المعلمات الفاضلات اللاتي كن سبباً في غرس محبة العقيدة السلفية الصافية في قلبي، وهن كثير، وأعظمن بركة : الأستاذة سلوى السبكي ، والدكتورة جواهر مخدوم ، وكذلك المعلمة: فاء المزيني وريم المزيني وعائشة فلاتة وبركة الطلحي وأناهد السميري ، حفظهن الله وبارك فيهن ، وأشكر كل من علمني من علماء المدينة وعلماء السنة، الذين تعلمت منهم العلم الشرعي بأيّ وسيلة كانت .

وإني كذلك أعترف بوافر الشكر، وجزيل التقدير، وجميل العرفان لهذا الصرح العظيم، جامعتي الغالية التي أشرف بدراستي فيها، جامعة أم القرى المباركة ، ممثلة في القائمين عليها، ومنسوبيها من وكالة الدراسات العليا، وكلية أصول الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة ، بن فيها من رؤساء ومشرفين ومدرسين ومنسويين ، الذين اتاحوا لي - بعد إذن الله - فرصة الدراسة فيها، وأخص بالشكر الميمون مشرفتي الكريمة الأستاذة الدكتورة عائشة علي روزي الخوثاني، التي كان لصبرها وتشجيعها وإعانتها وتوجيهها منةً على بحثي - بعد المولى عز وجل - بالنهاية والإتمام، فصبرت قرابة أربع سنوات، فجزاها الله عني رفعةً الدرجات، وعظيم الأجر والبركات، وتحقيق الأمنيات، وإجابة الدعوات .

وكذلك أتقدم بشكري الخاص لرئيس قسم العقيدة سابقاً الأستاذ الدكتور سالم محمد القرني⁽¹⁾ ، والذي كان بحثي نعم الرئيس على قسم العقيدة، فلم يخل عليّ، ولم يأنف في عونه و مساعدته لي ، في تذليل عقبات الدراسة التي مرت بها ، وكذلك رئيس القسم الحالي الدكتور فهد القرشي جزاهم الله عني جميعاً خير الجزاء ، وكذلك أشكر كل من دُرّسني وعلمني في هذه الجامعة في مرحلة الماجستير، ومن لهم توجيهات عظيمة، ونفع غزير في بناءي العلمي، وتأصيلي الشرعي، فتعلمت منهم كيفية كتابة البحث وصياغته، وأخص بالذكر الدكتور عبدالله الدميحي، وكذلك أشكر الدكتور لطف الله خوجه، والدكتور عبد الله القرني، والدكتور أحمد العبد اللطيف، فقد تعلمت منهم جميعاً، الفهم الثاقب لنصوص السلف، والنقد البناء لكلام مخالفهم، وكذلك أشكر الدكتور عبد الله سمك الذي استفدت منه كثيراً فيما يخص النقد لعقائد النصارى ، فجزاه الله عني كل خير، ولا أنسى ان أشكر كلا من الدكتور غالب العواجي و الدكتورة ابتسام أحمد جمال، على مساعدتهم لي في إعداد موضوع البحث وخطته، وأشكر كل من أعانتني بمعاونة أو مشاورة أو إعادة كتاب أو تصحيح خطأ، أو تصويب رأي أو إهداء فائدة، أو تشجيع ودعاء وهم كثير فجزى الله الجميع عني خير الجزاء وثقل موازينهم.

وأخيراً يمتدُّ شكري للمناقشين لرسالتي ، وهما الدكتور الفاضل : أبو زيد مكي ، و الدكتور الكريمة : سلوى الحمادي ، الذين تحمّلوا وتجشّموا عناء قراءة بحثي، وإبداء آرائهم القيّمة، ونصائحهم الطيبة، فجزاهم الله عني خير الجزاء وبارك فيهم وثقل موازينهم ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وزوجاته وذريته أجمعين.

(1) كان رئيساً للقسم في زمن كتابتي للرسالة ، و كان رفيقاً ميسراً ، ولم يكن معنفاً ولا منفراً ، حفظه الله وبارك فيه ورفق به في الدارين

التمهيد : وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أن قصص القرآن والسنة مشتملة على مسائل العقيدة ودلائلها .

المطلب الثاني: التعريف بالنبي عيسى عليه السلام، ودعوته.

تكملة

المطلب الأول: بيان أن قصص القرآن والسنة مشتملة على مسائل العقيدة ودلائلها.

إنَّ الله تعالى قد منَّ على أُمَّة الإسلام بأن أرسل إليهم أفضلَ رسله، وأكرمَ عباده، وخيرَ خلقه، محمداً الخاتم عليه الصلاة والسلام؛ وأنزل عليه أعظمَ وحي، وهو القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة؛ وقد أوحى الله تعالى إلى رسوله محمدٌ ﷺ أحسن القصص، وأرفعها، وأعزها شأنًا وحالًا ومآلاً، وهي قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وبيَّن عاقبة أتباعهم وأعدائهم في الدارين، تبيينًا لفؤاد النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهٖ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وهم منارات هدى للاقتداء بهم، قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ أَقْتَدْتَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وأمر نبيه ﷺ بتبيين أخبارهم، وقصَّ قصصهم للعتبة والعبرة، وللتفكير والتدبر، وللاقتداء والافتداء، قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣)، و أغراض^(٤) قصص القرآن والسنة وموضوعاتها كثيرة متنوعة، وأعظمها ما فُصِّل ليؤسس مباني العقيدة العظام، من أركان وركائز الإيمان، كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وبقية أركان الإيمان، وهو الأكثر والأغلب^(٥)، ومنها ما كانت تعالج المشاكل الاجتماعية والأخلاقية، ومنها ما جاء لتزكية الأخلاق والفضائل، إلى غير ذلك من الموضوعات الشريفة؛ وهذه القصص المستمدة من نصوص الوحيين باختلاف موضوعاتها وأهدافها فإنها كثيرا ما تشتمل على مسائل عقديّة، ودلائل إيمانية، وذلك بناء على أنّ الكتاب والسُّنَّة قد دلَّتا على جميع مسائل الدِّين، وبيَّنناها بيانا شافيا كافيا، كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: (فكلُّ ما يحتاج النَّاسُ إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بيَّنه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعدر، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرُّسولُ البلاغُ المبين، وبيَّنه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله الحجَّةَ علي عباده فيه بالرُّسُل الذين

(١) سورة هود: الآية ١٢٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٤) جمع غرض، وهي تأتي بمعنى المقاصد والأهداف، وقد استعمل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور هذا المعنى في تفسيره "التحرير والتنوير"، وله وله القِدح المَعْلَى في العناية بأغراض السور ومقاصدها في كل سورة؛ انظر "أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير" د. محمد بن إبراهيم الحمد.

(٥) للاستزادة انظر كتاب "قصص القرآن الكريم" للدكتور فضل حسن عباس؛ ورسالة علمية نفيسة: "منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني" للباحثة منى عبد الله داود من جامعة الإمام محمد بن سعود، وهي رسالة قيمة .

بينوه وبلغوه، وكتاب الله الذي نقله الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه، والحكمة التي هي سنة رسول الله ﷺ التي نقلوها أيضاً عن الرسول، مشتملة من ذلك على غاية المراد...^(١) وهذه القصص المستمدة من صريح كلام الله تعالى وصحيح سنة رسوله ﷺ، لا بد من تلقيها بالإيمان والتّصديق، فهي أخبارٌ محكمة لا يدخل فيها نسخ ولا تبديل.^(٢)

ودلائل قصص القرآن وصحيح السنة على مسائل الإيمان كثيرة متنوعة من أهمها :

١- أنها تدلُّ في جُلِّها ومعظمها على الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة والتعظيم كما بين ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله، فقال: (إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ... فالقرآن كُله في التوحيد وحقوقه وجزائمه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم).^(٣)

٢- أنها تدلُّ على صدق نبوة الرسول الخاتم محمد ﷺ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وجميع ما يذكره الله تعالى في القرآن من قصص الأنبياء، يدلُّ على نبوة محمد بطريق الأولى؛ إذ كانوا من جنس واحد، ونبوته أكمل. فينبغي معرفة هذا، فإنه أصل عظيم).^(٤)

٣- المعرفة اليقينية بسنن الله تعالى في خلقه وعباده، وأخذ العظة والعبرة من أنباء الرسل وأحوال أممهم، والسير والاتباع الحثيث على خطى السعداء، وهم أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، والتحذير والبعد أشد البعد عن عاقبة الأشقياء وهم المكذبين والمشاقين للرسل عليهم الصلاة والسلام، قال شيخ الإسلام كلاماً نفيساً في هذا: (فإذا عرفت قصص الأنبياء، ومن اتبعهم، ومن كذبهم، وأن متبعيهم كان لهم النجاة والعاقبة والنصر والسعادة، ولمكذبهم الهلاك والبوار، جعل الأمر في المستقبل مثلما كان في الماضي؛ فعلم أنّ من صدّقهم كان سعيداً، ومن كذبهم كان شقيماً. وهذه سنة الله وعادته، ولهذا يقول سبحانه في تحقيق عادته وسنته، وأنه لا ينقضها ولا يبدلها: ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾.^(٥) ولعل في

(١) "دره تعارض العقل والنقل" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/١).

(٢) انظر: "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ص ٥٧).

(٣) "مدارج السالكين" لابن القيم (٢/٤١٧ - ٤١٨).

(٤) "النبوات" لشيخ الإسلام (١/٢٠٣)؛ وانظر "شرح العقيدة الأصبهانية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٦٧)؛ و"مجموع الفتاوى" (١٥/

٣٣٣).

(٥) سورة القمر: الآية ٤٣.

(٦) "النبوات" (٢/٩٦٤).

تلك الإشارة كفاية القول في أهمية العناية بقصص الأنبياء والمرسلين، ودلالاتها على شفاء القلوب وإنارة النفوس، وكشف البصائر وهداية الحائر؛ نسأل الله الثبات على الإيمان بالله ورسله بلا تفريق ولا تشكيك حتى نلقاه.

المطلب الثاني: التعريف بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ودعوته.

هو النبي الكريم، والرسول الأمين، من أولي العزم من الرسل الكرام، المسيح عيسى ابن مريم البتول بنت عمران من نسل إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام، قال الله تعالى عنه: ﴿يَتَّاهَلُ الْكُتَّابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾^(١)، وقال عن صفته رسولنا الكريم محمد ﷺ: «وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» الحديث^(٢)؛ وقد ذكر المؤرخون عنه أنه وُلد بيت لحم في فلسطين^(٣)، وكانت ولادته ولادة معجزة لحكمة عند الله من أم بلا أب، عن طريق النفخ في جيب أمه مريم عليها السلام، وفي ذلك إظهارٌ لقدرة الله العظيمة^(٤)، وإيقاظ الإيمان في قلوب بني إسرائيل، الذين كانوا تحت حكم الرومان الوثنيين، وقد تأثروا بهم حتى طغت فيهم المادية فأصبحوا لا يؤمنون بالآخرة -إلا قليلاً منهم-، وقد حُذف مفهوم القيامة والآخرة -تحريفًا- من أسفارهم وكتبهم المقدسة، فأرسله الله ﷻ إليهم خاصة، رسولاً من ذرية أسباط يعقوب ابن اسحاق ابن الخليل إبراهيم عليهم السلام، لكي يرددهم إلى شعيرة الإيمان ودائرة الإسلام؛ قال الله تعالى عن: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥)؛ وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٦)، ولكنهم قابلوه عليه السلام كما قابلوا غيره من أنبياء بني إسرائيل -ومنهم زكريا ويحيى عليهما السلام- بالكذب وقتل بعضهم والإجرام في حقهم.^(٧)

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحیح" (١٦٥/٤ - رقم ٣٤٣٥)؛ ومسلم في "الصحیح" (٥٧/١ - رقم ٢٨).

(٣) انظر "البداية والنهاية" لابن كثير (٤٦٥/٢).

(٤) وهي مذكورة في صدر سورة آل عمران، و صدر سورة مريم.

(٥) سورة الصف: الآية ٠٦.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٧) انظر "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري (٥٨٦/١).

كما وصفهم الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ^(١)﴾، إلا قليلا ممن آمن به، وصدقه، وأزره، من الحواريين المصدقين المؤمنين؛ وقد قص الله تعالى ما فعله هؤلاء اليهود من الجرائم العظمى في حق عيسى وأمه عليهما السلام، ولكن الله سبحانه أحسن عاقبته بالنجاة ورفعته إليه سبحانه - بروحه وبدنه - في مقام أمين كريم، كما قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا^(١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا^(١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(١٥٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا^(١٥٩)﴾؛ لكن عيسى عليه السلام لن يدوم في السماء، فهو بشرٌ من ذرية آدم، يجري في عروقه الدم، و أنشأه الله من لحم وعظم؛ فإن موعدنا معه أنه سينزل إلينا، ليكمل عليه السلام مسيرته في نصرة الله، والجهاد في سبيل الله؛ وينشر ويحكم بالسنة والقرآن، ويجدد دين الإسلام، ويبطل غيره من الأديان؛ حكماً مُقسطاً، ينشر العدالة والسلام والرحمة في هذه الأرض؛ ويُرِّدُّ برؤيته اليقين، فتزهد النفوس بالثمين، ثم يموت عليه السلام فيدفن، ويصلى عليه من معه من المؤمنين، وهو كما دعا لنفسه: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا^(٢)﴾.

(١) المائدة: الآية ٧٠.

(٢) سورة النساء: الآيات: ١٥٦-١٥٩.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٣؛ وتفاصيل نزوله عليه السلام في آخر الزمان قبل حلول الساعة الكبرى في الفصل الأخير.

الفصل الأول: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نشأة نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام،
(وفيه مبحثان):

المبحث الأول: ما ورد في قصة أم مريم وحملها بمريم عليها السلام (وفيه أربعة مطالب) .

المطلب الأول : اصطفاء الله لآل عمران على العالمين .

المطلب الثاني : قبول الله لنذر أم مريم عليها السلام .

المطلب الثالث : تعويد أم مريم عليها السلام ابنها وذريتها من الشيطان الرجيم .

المطلب الرابع : الإخبار عن الأمور الماضية علم من أعلام نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل مريم عليها السلام : (وفيه مطلبان)

المطلب الأول : اثبات كرامة أم عيسى عليها السلام.

المطلب الثاني : فضل الصديقة مريم عليها السلام، ومكاتها في الجنة

الفصل الأول: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نشأة نبي الله عيسى عليه السلام

المبحث الأول: ما ورد في قصة أم مريم وحملها بمريم عليها السلام :

المطلب الأول: اصطفاء الله لآل عمران على العالمين :

المقصود بهذه المسألة ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، حيث يظهر الله تعالى في هذه الآية الكريمة اصطفاءه أي اختياره واجتباؤه لآدم ونوح عليهما السلام و اختياره آل إبراهيم وآل عمران عليهم السلام بالإسلام على سائر الأديان وتفضيلهم بالنبوة والكتاب ، والطاعة على العالمين^(٢).

وقد اختلف المفسرون في المراد (بعمران و آله) في هذه الآية :

القول الأول: المراد به : عمران بن يصر بن فاهات بن لاوى بن يعقوب، وهو والد موسى ، وآله موسى وهارون عليهما السلام^(٣).

والقول الثاني: المراد به :عمران بن ماثان والد مريم عليها السلام ، والمراد بالآل هنا : هما مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه الصلاة والسلام^(٤).

ويظهر أن القول الثاني هو الأقرب إلى الصواب ، وذلك أنّ السورة تسمى بآل عمران، وقد بين فيها قصة اصطفاء مريم عليها السلام، واجتباء ابنها المسيح عيسى عليه السلام، ولم يذكر لموسى وهارون عليهم الصلاة والسلام قصة ولا عبرة، وأيضاً أن التالي للآيات يرى بعد التنويه والإشارة لفضل آل عمران على العالمين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥) ذكر

بعدها قصة أم مريم عليها السلام وقصة ولادتها لمريم عليها السلام، يقول الله تعالى عنها ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦)، فكأنما يراد بذلك التوطئة والتمهيد لمعرفة كيف يكون هذا الاصطفاء لمريم وابنها، فبين كيف بدأ وكان، وكيف دام وبقي، وأن

(١) سورة آل عمران: ٣٣

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٣٢٨/٥)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٣٤/٢).

(٣) انظر "تفسير مقاتل بن سليمان" (ص ٢٧١).

(٤) قاله : الحسن البصري ووهب بن منبه انظر: "تفسير البغوي" (٢٨/٢-٢٩)؛ و"زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (٣٧٥/١)؛ ورجح ذلك الإمام ابن كثير والباقعي والألوسي والعيني -شراح صحيح البخاري- وغيرهم وهو الأصوب .

(٥) سورة آل عمران: ٣٣

(٦) سورة آل عمران: ٣٥

هذا الاصطفاء ليس بعجيب فقد ولدت مريم عليها السلام بعد عقم، وولد ابنها منها بلا أب، وكلهم من ذرية آدم، ولكنهم ممن اصطفاهم الله بفضائل النبوة والعبادة، وتأكيدا إلى أن عيسى عليه السلام الذي يفصل ذكره في سورة آل عمران ما هو إلا بشر من ذرية عمران ليس له من الإلهية شيء، والله أعلم^(١).

الآثار الواردة في اصطفاء وتفضيل آل عمران:

- ١- فعن قتادة^(٢): في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال: (ذكر الله تعالى أهل بيتين صالحين، ورجلين صالحين، ففضلهما على العالمين، فكان محمد ﷺ من آل إبراهيم).^(٤)
- ٢- وجاء عنه أيضا قوله: (رجلان نبَّانِ اصطفاهما الله على العالمين)^(٥).

- ٣- عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾^(٦) وهم المؤمنون^(٧).

- ٤- عن الحسن البصري في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال: (فضلهم الله على العالمين بالنبوة، على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المصطفين لربهم).^(٨)

(١) انظر "تفسير ابن كثير" (٣٣/٢)؛ و"نظم الدرر" للبقاعي (٤/٣٤٥-٣٤٦)؛ و"روح المعاني" للألويسي (١٢٧/٢)؛ و"التحريف والتنوير" لابن عاشور (٢٢٩/٣)؛ و"عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" (٢٢/١٦).

(٢) سورة آل عمران: ٣٣

(٣) سورة آل عمران: ٣٣

(٤) "تفسير ابن جرير" (٣٢٩/٥)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٣٥/٢).

(٥) "تفسير ابن جرير" (٣٢٩/٥).

(٦) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

(٧) أورده البخاري معلقا في "الصحيح" (١٣٦/٤) عند باب قول الله تعالى: { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مكانا شريفاً } [مریم: ١٦]، وانظر: "تفسير ابن جرير" (٣٢٨/٥)؛ و"تفسير ابن المنذر" (١٧١/١).

(٨) "تفسير ابن جرير" (٣٢٩/٦)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٣٤/٢).

فيدل جميع ما سبق على : اصطفاء واختيار آدم ونوح عليهما السلام وإبراهيم وعمران عليهما السلام، والمؤمنون من ذريتهما بالنبوة والكتاب والطاعة على العالمين والناس كلهم، ومعنى الاصطفاء هنا هو الاختيار، والاختيار من أفعال الله سبحانه وتعالى. وهذا الاختيار نوعان :

١- اختيار عام : وهو المرادف للمشيئة والخلق ، فإن الله لا يخلق إلا باختياره

٢- اختيار خاص : وهو المقصود هنا، وهو بمعنى اجتناب واصطفاء من صفوة خلقه ، والاختيار العام قبل الخلق أي اختيار للخلق فهو أسبق، والاختيار الخاص بعد الخلق، فهو متأخر وهو من الخلق، فهو سبحانه كما أنه منفرد بالخلق فهو متفرد بالاختيار^(١)، وقد اصطفى آدم بالتكليف والنبوة، واصطفى نوحا بكونه أول رسول من الله إلى أمته، واصطفى آل إبراهيم وآل عمران بالعبادة والنبوة لبعض ذريتهما وجعلها في ذريتهما خاصة^(٢).

تنبيه : قد نبه الحافظ ابن حجر على زعم الرافضة أن آل عمران هم آل أبي طالب، و هذه إحدى كذباتهم وتحريفهم لنصوص القرآن والسنة، وهذا القول مردود نقلا وعقلا، حيث إن اسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهم زعموا ذلك القول بناء على فساد ما يعتقدون من إسلام أبي طالب، فقاموا بالكذب في تأويل القرآن والوضع في السنة، وهو قول باطل نقله ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة"^(٣)، الذي ألفه في رده على الرافضي ابن مطهر الحلي^(٤)، وقد وردت الأحاديث الصحيحة التي تثبت موت أبي طالب على الكفر، منها حديث شفاعة النبي عليه ﷺ لأبي طالب في تخفيف العذاب وغيرها من الأحاديث الصحيحة، ونبه أيضا رحمه الله على عدم صحة الحديث الذي أخرجه ابن إسحاق من حديث ابن عباس بسند فيه من لم يسم: " أن أبا طالب لما تقارب منه الموت بعد أن عرض عليه النبي ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى، قال فنظر العباس إليه وهو يجر ك شفتيه فأصغى إليه فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها "، وذكر رحمه الله أن كل الأحاديث الواردة في إسلام أبي طالب التي هي من وضع أهل الرفض لا يثبت منها شيء^(٥).

(١) انظر "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم (٤٠/١-٤١).

(٢) انظر "تفسير ابن جرير" (٣٢٨/٥)؛ و"تفسير ابن كثير" (٣٣/٢)؛ و"عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" (٢٢/١٦).

(٣) انظر منهاج السنة (٤٠٤/٣)

(٤) سورة آل عمران: ٣٣

(٥) انظر "فتح الباري" لابن حجر (١٩٤/٧).

المطلب الثاني: قبول الله عز وجل لنذر أم مريم عليها السلام^(١):

المقصود من هذه المسألة ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، من قبول الله لنذر امرأة عمران أم مريم عليها السلام التي وهبها بعد عقم وكبر، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، أي أنها نذرت أن تجعل ما في بطنها محرراً عتيقاً من عمل الدنيا، ويتفرغ لعمل الآخرة، وخدمة الكنيسة والمسجد الأقصى، فتقبل الله منها هذا النذر فهو السميع لدعائها العليم بنيتها، وتقبل الله منها هذه النذيرة وهي مريم عليها السلام وأنبته نباتاً حسناً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^{(٤) (٥)}.

الأحاديث في قبول الله لنذر أم مريم عليها السلام:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ولد آدم الشيطان نائل منه تلك الطعنة ولها يستهل المولود صارخاً، إلا ما كان من مريم وابنها، فإن أمها حين وضعتها قالت: إني أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرحيم، فضرب دونها الحجاب فطعن فيه، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبته نباتاً حسناً، وهلكت أمها فضمتهما إلى خالتها أم يحيى»^(٦). وكل الأحاديث الواردة في ذلك جاءت بنفس المعنى.

(١) قدمت لهذه المسألة على مسألة التعويد وذلك لأنها مبنية على بداية قصة أم مريم عليها السلام.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٥

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٧

(٥) انظر "تفسير الطبري" (٣٤٤/٥-٣٤٥)؛ و"تفسير ابن كثير" (٣٥/٢).

(٦) أخرجه البيهقي في "الكبرى" (٤٢١/٦ - رقم ١٢٤٨٥)؛ والحاكم في "المستدرک" (٣٩٨/٢ - رقم ٤٢١٧)؛ وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (١٧٤/٦).

و أما الآثار الواردة في ذلك :

٢- عن ابن جريج ^(١) في قوله ﷺ: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ﴾، قال: (تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة، وأجرها فيها) ^(٢).

٣- وعن الحكم بن الصلت ^(٣)، قال: سألت شرحبيل بن سعد ^(٤)، عن قوله: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ﴾ فقال: (وقبل الله أئناهم أن يجعلوها في البيعة) ^(٥).

٤- وعن قتادة في قوله تعالى ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾

قال: (حَدَّثَنَا أَنَّهُمَا كَانَا لَا يَصِيبَانِ الذَّنُوبَ كَمَا يَصِيبُهَا بَنُو آدَمَ، وَأَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ كَمَا كَانَ يَمْشِي عَلَى الْبَرِّ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْيَقِينِ وَالْإِحْلَاصِ) ^(٦).

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ﴾ أي: "سلك بها طريق السعداء" ^(٧).

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي أصله رومي، لم يلق أحدا من الصحابة، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلّس ويرسل، مات سنة خمسين أو بعدها وقد جاز السبعين وقيل جاز المائة ولم يثبت، انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٢٥/٦)؛ "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للحافظ المزي (٣٣٨/١٨).

(٢) "تفسير الطبري" (٣٤٥/٥)؛ و"تفسير ابن المنذر" (ص ١٧٨).

(٣) الحكم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب القرشي المطلبى ﷺ، شهد خيبر، وأعطاه رسول الله ثلاثين وسقًا، وكان من رجال قريش وجلتهم، استخلفه محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة على مصر، حين خرج إلى معاوية وعمرو بن العاص بالعريش، انظر: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (١/٣٥٦)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٢/٩٠).

(٤) شرحبيل بن سعد، أبو سعد شرحبيل بن سعد الخطمي المدني، مولى الأنصار، وهو باسمه أشهر منه بكنيته، كان شيخا قديما، روى عن بعض الصحابة، صدوقًا اختلط بآخره واحتاج حاجة شديدة، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود وابن ماجه، مات سنة ثلاث وعشرين ومئة، انظر: "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" (١٢/٤١٦-٤١٧)، "تهذيب التهذيب" لابن حجر (٤/٣٢٠-٣٢٢).

(٥) "تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٦٣٨).

(٦) "تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٦٣٨)؛ و"تفسير ابن جرير" (٥/٣٤٢).

(٧) "تفسير البغوي" (٢/٣١)؛ و"تفسير القرطبي" (٤/٦٩).

ومعنى القبول المذكور في الآية : هو ما ذكره السلف في النصوص السابقة ، وهو يدور على معنيين :
الأول: تقبل الله لدعاء أم مريم وتقبل نذرها الذي هو تحرير مولودها للكنيسة وأن يؤتيها ثواب ذلك وأجره منه سبحانه ورضاه عليها^(١).

وأما الثاني: فهو تقبله ﷻ واستقباله لمريم عليها السلام وتكفله بها سبحانه، وتربيته لها أحسن التربية، وهي تربية خاصة، لا تكون إلا لأوليائه وخواص خلقه، كما قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره لتربية الله تعالى: (وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة، فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا، والخاصة: تربيته لأوليائه، فيرببهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة)^(٢).

فمن تربية الله الخاصة بمريم عليها السلام كما ذكر ذلك أهل التفسير: أنه تعالى قبلها واستقبلها من أول ولادتها، ولم يتقبل أنثى قبلها، وذلك أن الله تعالى جعل شكلها مليحاً ومنظرها بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول والمحبة، فتكفل بتربيتها والقيام بشأها، فرباها تربية حسنة صالحة في عبادة وطاعة لربها، حتى ترعرعت وكبرت، فلم تكن ممن يصيب الذنوب كسائر بني آدم، فتنافس الصالحون على كفالتها، وقرنها بهم تتعلم منهم الخير والعلم والدين، ومن تربيته سبحانه وحفظه كفالة زكريا لها، فبني لها محراباً لا يدخل عليها غيره، وكل هذا إرهاب بأن سيكون منها رسول ناسخ لأحكام كثيرة من التوراة؛ وكان يأتيها رزقها بلا كد ولا تعب في محرابها، وجعلها أفضل نساء العالمين في زمانها عليها السلام^(٣).

المطلب الثالث : تعويد أم مريم عليها السلام ابنتها وذريتها بالله تعالى من الشيطان الرجيم .

المقصود من هذه المسألة أن أم مريم عليها السلام لما وضعت ابنتها قالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٤) فوضعت مولودتها وسمتها مريم، وعودتها وألجأت حمايتها وحفظها وكذلك ذريتها بالله تعالى من الشيطان الرجيم، فاستجاب الله دعاءها فأعاد ابن مريم وأمه من الشيطان الرجيم، ولم يجعل له عليهما سبيل، فكانوا مختصين بذلك من سائر البشر حتى من الأنبياء

(١) "تفسير الطبري" (٣٤٥/٥)؛ و"تفسير ابن المنذر" (ص ١٧٨)؛ و"تفسير البغوي" (٣١/٢)؛ و"تفسير ابن عطية" (ص ٤٢٤).

(٢) "تفسير السعدي" (تفسير سورة الفاتحة ص ٣٩).

(٣) انظر "تفسير البغوي" (٣١/٢)؛ و"تفسير القرطبي" (٧١-٦٩/٤)؛ و"تفسير ابن كثير" (٣٦-٣٥/٢)؛ و"التحرير والتنوير" (٣/٢٣٥-٢٣٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

والأولياء ، حيث إن كل مولود يولد يظعن الشيطان في جنبه لذلك يستهل صارخاً باكياً إلا ابن مريم وأمه أراد الشيطان أن يطعنهما فذهبت طعنته إلى الحجاب كما ستبين الأحاديث الآتية .

الأحاديث و الآثار الواردة في تعويد أم مريم عليها السلام ذريتها^(١) من الشيطان الرجيم :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة واقراءوا إن شئتم

﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٢) .^(٣)

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فظعن في الحجاب ».^(٤)

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها ».^(٥)

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: « كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم؛ كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها ».^(٦)

٥- عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: " ما ولد مولود إلا وقد استهلّ، غير المسيح ابن مريم، لم يسلط عليه الشيطان ولم ينهزه " .^(٧)

(١) سورة آل عمران: ٣٣

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٦ .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٤/٦ - رقم ٤٥٤٨)؛ وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/١٨٣٨ - رقم ٢٣٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٢٥ - رقم ٣٢٨٦).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في "الصحيح" (٤/١٨٣٨ - رقم ٢٣٦٦).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في "الصحيح" (٤/٢٠٤٨ - رقم ٢٦٥٨).

(٧) "تفسير ابن جرير" (٥/٣٤٢).

٦- عن وهب بن منبه ^(١) قال: (لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس، فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها، فقال: هذا حادث مكانكم، وطار حتى جاء خافقي الأرض، فلم يجد شيئاً، ثم جاث البحار فلم يقدر على شيء، ثم طار أيضاً فوجد عيسى قد ولد عند مزود حمار، فإذا الملائكة قد حفت حوله، فرجع إليهم فقال: إن نبيا قد ولد البارحة، وما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذه، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن اتوا بني آدم من قبل الخفة، والعجلة). ^(٢)

الاستعاذة: عبادة تعني الالتجاء إلى الله والاستجارة بجنابه والاعتصام به سبحانه من شر كل ذي شر، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أَعِذُّهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ^(٣) استعاذة بالله من الشيطان الرجيم أن يضر مولودتها في دينها أو دنياها وكذا ذريتها.

والاستعاذة نوعان:

الأولى: استعاذة العبد في أمر لا يقدر عليه إلا الله، مع توجهه باطنه وقلبه إلى معيذة أو المستعاذ به، وهذا صرفه لله تعالى وحده عبادة وتوحيد، وصرفه لغير الله شرك أكبر وتنديد مخرج عن ملة الإسلام إلى ملة أهل الأوثان.

الثانية: استعاذة جائزة، وهي ما كانت في مقدور المخلوق مع اعتقاد أنه سبب وتعلق القلب وتوجهه إلى الله وحده، ومن ذلك ما جاء في الحديث؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم .. ثم قال: فمن وجد فيها ملجأ، أو معاذا فليعذ به» ^(٤)؛ ولقد استعاذت أم مريم عليها السلام عند ولادتها فاستجاب الله دعائها فحفظها وذريتها من الشيطان، فلم يسلط عليهم لا في أبدانهم فلم يستهل عيسى عليه السلام ولا أمه بالصراخ عند الولادة، ولم يسلط عليهم في دينهم فحفظوا من الوقوع في الذنوب والخطايا كحال بني آدم. ^(٥)

(١) وهب بن منبه الحافظ أبو عبد الله الصنعاني عالم أهل اليمن: ولد سنة أربع وثلاثين، روى عن أبي هريرة يسيرا، وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام، كان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الأحبار في زمانه. قال العجلي: كان ثقة تابعيا على قضاء صنعاء. انظر "تذكرة الحفاظ" للذهبي (١/٧٨)؛ و"تهذيب الكمال" (٣١/١٤٠).

(٢) "تفسير ابن جرير" (٥/٣٤٢)؛ و"تفسير عبد الرزاق" (ص ٣٨٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩/٥١٩ - رقم ٧٠٨٢).

(٥) انظر "تفسير ابن جرير" (٥/٣٣٩)؛ و"التمهيد لشرح كتاب التوحيد" للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (ص ١٦٨-١٧١)؛ و"القول المفيد على كتاب التوحيد" للشيخ ابن عثيمين (١/٢٥٦).

المطلب الرابع : الإخبار عن الغيب الماضي علم من أعلام نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

المقصود من هذه المسألة ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(١)؛ وهي تدل على علم من أعلام نبوة رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، ودلالة على صدق حجته وثبوت نبوته واصطفاء الله له، بأن أوحى الله تعالى له أخبار عيسى وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام، وما ذكر الله من أخبار مريم عليها السلام وطريقة كفالتها، وهي ردُّ على كفار أهل الكتاب الذين كذبوه وعادوه وصدُّوا عنه، حيث إنه اتاهم بخفي خبير من أخبارهم، يخفى على كبار أبحارهم ورهبانهم فضلا عن مشركي العرب ومن كان بجوارهم، فكيف يعلم ذلك من لا يقرأ ولا يكتب، عليه صلوات ربي وسلامه وبركاته.^(٢)

الآثار الواردة في أن الإخبار عن الغيب الماضي من أعلام نبوة محمد ﷺ :

جاءت الآثار في معنى قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٣) منها:

١- عن قتادة في قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾: (يعني محمدا ﷺ).^(٤)

٢- وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾: " وإن مريم لما وضعت في المسجد، اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي، فافترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها، فقال الله ﷻ لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾.^(٥)

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢) "تفسير ابن جرير" (٤٠٥/٥-٤٠٦)؛ و"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية (١٩٨/٣-١٩٩).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٤) "تفسير ابن جرير" (٤٠٣/٥).

(٥) "تفسير ابن جرير" (٤٠٤/٥)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٤٩/٢).

٣- وعن الحسن في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ﴾، قال: (حيث اقترعوا على مريم، وكان غيباً عن محمد ﷺ حين أخبره الله).^(١)

٤- عن محمد بن جعفر بن الزبير:^(٢) في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، (أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها، يخبره بخفي ما كتموا منه من العلم عندهم، لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه).^(٣)

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أنواع المعجزات والآيات ترجع إلى ثلاثة أمور التي تمامها وكما لها لا تصلح إلا لله ﷻ، وللمخلوق ما يليق به وهي: ١- العلم، ٢- القدرة، ٣- التأثير.

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الكمالات الثلاثة قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَمْلِكُ خَزَائِنَ اللَّهِ وَلَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ لَهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَلَا يَبْلُغُ مِنْ تِلْكَ الْكُمالات الثلاثة إلا بقدر ما يعطيه الله تعالى من العلم و المكاشفات رؤية وسماعاً وخطاباً، وما كان من باب القدرة والتأثير فيما يكون في العالم العلوي وما دونه، والغنى مما يغنيه الله من الأمور المخالفة للعادة والناس، ويدخل فيه جنس الغنى عن الحاجات البشرية، وقد كان للنبي ﷺ من كل نوع آيات باهرات ومعجزات بالغات^(٤).

ومن آيات النبي ﷺ إخباره وإعلامه بما كان في الماضي وما يكون في المستقبل بأمر عظمة لم يأت بمثله نبي قبله عليهم الصلوات والسلام، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥)؛ وفي القرآن الكريم أبلغ حجة، وأبين آية، وأوضح برهان، وأعظم وحي على أشرف

(١) "تفسير ابن جرير" (٤٠٥/٥).

(٢) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، قال ابن سعد: كان عالماً وله أحاديث، وقال البخاري: قال لي زهير عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير وقال كان من فقهاء أهل المدينة وقراءهم؛ وقال الدارقطني: مدني ثقة، وذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات بين عشر ومائة إلى عشرين ومائة. انظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي (٣٠٧/٣)؛ و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٩٣/٩).

(٣) "تفسير ابن جرير" (٤٠٦/٥)؛ و"تفسير ابن حاتم" (٦٥٠/٢).

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٥) انظر "قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات" من "مجموع الفتاوى" (٣١٢/١١)؛ و"النبوات" (١٥٠/١)؛ و"الصفدية" (١٨٣/١).

(٦) رواه البخاري في "صحيحه" (١٨٢/٦ - رقم ٤٩٨١)؛ ورواه مسلم في "صحيحه" (١٣٤/١ - رقم ١٥٢).

رسول، فيه كثير من الغيبات الماضية التي تخفى على كثير من علماء أهل الكتاب، وفيه فصلٌ لكثير من القضايا التي اختلفوا فيها، وفيه كذلك من الأمارات والعلامات المستقبلية التي اتفق فيه مع بشارات وإنذارات إخوانه النبيين، و القول الحق فيما اختلف فيه من الغيوب المستقبلية، وهو كثير أيضا في أحاديثه الصحاح عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن هذه الأمور قصة كفالة مريم عليها السلام، قال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا

كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾، وكل هذه الإخبارات والإعلامات إنما هي أدل دليل على نبوة نبينا

محمد ﷺ، والتي هي أشد وضوحا من وضوح النهار، لا يختلف فيه إلا مشاق غارق في الضلال. ^(١)

(١) انظر "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام (٣/٢٤٧-٣٢٠)، وسيتم تفصيله في الفصل الثاني .

المبحث الثاني: ما ورد في فضل مريم عليها السلام:

المطلب الأول: اثبات كرامة مريم ابنت عمران عليها السلام

المقصود بهذه المسألة ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَاقْبَلْهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَيْمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(١)، والتي تدل على إكرام الله تعالى لمريم عليها السلام، حيث إن زكريا عليه السلام كلما دخل عليها وجد عندها رزقا وطعاما ليس في وقته وليس عند أحد، يأتي به الله تعالى إكراما لها بلا سبب ولا بشر.

الآثار الواردة في إثبات كرامة مريم عليها السلام :

١- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كان زكريا يدخل عليها المحراب، فوجد عندها عنبا في مكنل في غير

حينه، فقال: يا مريم، أنى لك هذا؟ قال: فقالت: ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴾^(٢).

٢- وعنه أيضا رضي الله عنه في قوله: ﴿ يَمْرَيْمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴾ "أن زكريا - عليه السلام - وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد".^(٣)

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٢/٣٤٨ - رقم ٣٢٠٩)، وصححه ووافقه الذهبي (٢/٣١٩ - رقم ٣١٥٠).

(٣) "تفسير الطبري" (٥/٣٥٩)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٦٤٠)؛ و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (٩/٧٦).

٣- وعنه أيضا ﷺ، وعن مجاهد والضحاك^(١) وقاتادة والربيع وسعيد بن جبير، عن السدي قولهم في تفسير هذه الآية: (أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف)^(٢).

٤- عن مجاهد^(٣) في هذه الآية: ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال: (علما أو صحفا فيها علم).^(٤)

٥- عن الحسن قال: (كان زكريا إذا دخل عليها - يعني على مريم- المحراب وجد عندها رزقا من السماء، من الله، ليس من عند الناس، وقالوا: لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده، لم يسألها عنه).^(٥)

٦- وقد أورد بعض أئمة أهل الحديث والأثر في عقائد أهل السنة والجماعة هذه الآية احتجاجا على إثبات كرامات الأولياء^(٦)، وأنها ثابتة عند أهل السنة والجماعة^(٧) لثبوتها في القرآن والسنة، وتواترها نقلا عن كثير ممن وقع لهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان وغيرهم من الصالحين^(٨)، وقد ذكر أهل العلم في مراتب خوارق العادات ثلاثا: آيات الأنبياء ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، روى عن ابن عمر وابن عباس، وقيل لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة مأمون؛ وقال ابن معين وأبو زرعة: ثقة؛ قال ابن عدي: عُرف بالتفسير وأما روايته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك كله نظر، وإنما اشتهر بالتفسير؛ مات سنة ١٠٦هـ، وقد ذكر البخاري عنه شيئا موقوفا وهو تفسير قوله تعالى: {ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَمًا} فقال في كتاب اللعان: وقال الضحاك إلا رمزا أي إشارة. انظر: "تهذيب التهذيب" لابن حجر (٤/٤٥٤).

(٢) "تفسير الطبري" (٥/٣٥٤-٣٥٦)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٦٤٠).

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المقرئ المفسر، أحد الأعلام، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد في خلافة عمر، وسمع خلقا من الصحابة، ولازم ابن عباس ﷺ، قال عن نفسه: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أفضه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال الثوري: أخذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك. وقال خصيف: كان مجاهد أعلمهم بالتفسير. وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد؛ قيل: توفي سنة ثلاث ومئة، وقيل أربع ومائة؛ انظر "تاريخ الإسلام" للذهبي (٣/١٤٨)؛ و"تهذيب الكمال" للمزي (٢٧/٢٢٨).

(٤) "تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٦٤٠).

(٥) "تفسير ابن جرير" (٥/٣٥٧).

(٦) انظر "كرامات الأولياء" للالكائي من "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٩/٧٢)؛ و"الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث" لأبي بكر البيهقي (ص ٣٠٧).

(٧) خلافا لمن أنكرها من المعتزلة بدعوى أن العادة لا تحرق إلا لنبي، وأثبتها الأشاعرة ولكن خالفوا أهل السنة في طريقة إثباتها، حيث جؤزوا خرق العادة للأنبياء وغيرهم ولم يفرقوا بين الأنبياء وبين الأولياء والسحرة في خرق العادة، إلا بالدعوى المقرونة بها، على اختلاف بينهم، انظر "النبوات" لشيخ الإسلام (١/١٢٩-١٤٣).

(٨) انظر "شرح العقيدة الطحاوية" للشيخ صالح آل الشيخ (٢/١٢٨٠-١٢٨١)؛ وانظر "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لشيخ الإسلام (ص ٣٠٠-٣٢٠).

والكهان؛ وكرامة الولي هو أمر خارق للعادة - أي عادة أهل ذلك الزمان - جرى على يد ولي^(١)، وكما قال شيخ الإسلام: (كرامات الأولياء مؤكدة لآيات الأنبياء ومستلزمة لنبوتهم ودالة على صدقهم وهي من معجزاتهم أيضا، فكانت كرامة مريم عليها السلام بأنواع الكرامات، إرهاسا لقدم رسالة ابنها عيسى عليه الصلاة والسلام ومصدقة لها، وإثباتا لنبوته عليه السلام).^(٢)

المطلب الثاني : فضل الصديقة مريم عليها السلام ومكانتها في الجنة :

والمقصود من هذه المسألة تفضيل الله لمريم عليها السلام وذكر شرفها ومنزلتها في الدنيا والآخرة، وما يندرج وفيها من المسائل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، حيث اصطفاهما أولا في تطهير دينها وشرفها من كل الأكار والأدناس، وجمال صفاتها وكرم أقوالها وأفعالها بطاعته وكثرة عبادته، واصطفاهما ثانيا على جميع النساء إما على نساء عالمي زمانها أو مطلقا في كل الأزمان، وإن شاركتها في الوصف آسيا وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن كما سيأتي تقريره، ولما كانت لها من الكرامة عند الله وصفها سبحانه بالصديقة، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾^(٤).

(١) انظر "النبوات" لشيخ الإسلام (١٤١/١)؛ و"شرح العقيدة الطحاوية" للشيخ صالح آل الشيخ (بتصرف يسير) (٢/١٢٨٠-١٢٨١)؛ وانظر "الفرقان" (ص ٣٠٠-٣٢٠).

(٢) انظر "النبوات" (١٤٢/١) و(٧٩٤/٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٥.

الآثار الواردة في فضل مريم عليها السلام:

• ما يدل على فضل مريم عليها السلام على نساء أهل الدنيا و نساء زمانهم :

١- عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون».^(١)

٢- عن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة».^(٢)

٣- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».^(٣)

• ما يدل على فضل مريم عليها السلام على نساء أهل الجنة :

١- فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط قال: «أتدرون ما هذا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون».^(٤)

٢- وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة، وفاطمة سيادة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران».^(٥)

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٣٨٣/١٩ - رقم ١٢٣٩١)؛ والترمذي في "الجامع" (٧٠٣/٥ - رقم ٣٨٧٨)؛ وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" برقم (٣٨٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٨/٥ - رقم ٣٨١٥)؛ ومسلم في "صحيحه" (١٨٨٦/٤ - رقم ٢٤٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٥٨/٤ - رقم ٣٤١١)؛ ومسلم في "الصحيح" (٣٤١١/٤ - رقم ٢٤٣١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (٧٧/٥ - رقم ٢٩٠١)؛ وابن حبان في "الصحيح" (١٠٠/١٠ - رقم ٦٩٧١)؛ وصححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٣/٤ - رقم ١٥٠٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (٢٧٩/١٨ - رقم ١١٧٥٦)؛ والنسائي في "السنن" (٤٥٥/٧ - رقم ٨٤٦١)؛ وصححه الألباني في "الصحيح" (٤٢٣/٢ - رقم ٧٩٦).

وقد أجمع العلماء واتفقوا على فضل مريم عليها السلام، وهي ممن فُضِّلت كما جاء في الحديث على سائر نساء العالمين هي والسيدة فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة، واتفقوا أيضا على أن مريم عليها السلام بلغت درجة الصِّدِّيقِيَّة بِشهادة الله تعالى لها أما نبوة مريم عليها السلام فقد اختلفوا فيها، وسبب الاختلاف مبني على الأدلة التي جاءت في تصريح مشافهة الملائكة الكرام لها، قال الله ﷻ عنها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٣﴾ يَمْرِيئُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ١٧﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩﴾ (٢) ، وقد اختلفوا في نبوتها، لإختلافهم في جواز نبوة النساء، أما الرسالة فهم متفقون على منعها.

وأقوال العلماء في ذلك:

١- منهم من أجاز نبوة النساء، فاتفقوا على نبوة مريم عليها السلام، واختلفوا في حواء وسارة وهاجر وأم موسى عليهم السلام ، وممن أجازها القرطبي وابن حزم، ونُقل ذلك عن أبي الحسن الأشعري، وتبعهم في ذلك بعض أهل العلم.

٢- ومنهم من توقف في جوازها كجماعة من الفقهاء ومنهم السبكي الكبير (٣) كما نقل عنه ذلك ابن حجر في الفتح حيث قال: (لم يصح عندي في هذه المسألة شيء). (٤)

(١) سورة آل عمران: الآيات ٤٢-٤٣-٤٤-٤٥.

(٢) سورة مريم: الآيات ١٧-١٨-١٩.

(٣) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخرزجي، أبو الحسن، تقي الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) سنة ٦٨٣هـ، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه: (الدر النظيم) في التفسير لم يكمله، و(مختصر طبقات الفقهاء)، توفي سنة ٧٥٦هـ. انظر: "طبقات الشافعية" لابنه تاج الدين (١٤٦/٦)؛ و"الأعلام" للزركلي (٣٠١/٤).

(٤) "فتح الباري" لابن حجر (٤٧١/٦).

٣- وجهور أهل العلم على منعها مطلقاً، بل نقل بعضهم الإجماع على أنه ليس من النساء نبية، قال شيخ الإسلام: (وقد حكى الإجماع على أنه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر بن الطيب ^(١) والقاضي أبي يعلى ^(٢) وأبي المعالي الجويني ^(٣)، والقرآن والسنة دلاً على ذلك كما في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ ^(٤) وقوله: ﴿ مَا أَلْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّیقَةٌ ﴾ ^(٥) فذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقية ^(٦)؛ والقول الأخير هو الأصوب، فلو كانت أم مريم نبية لأنها أوحى إليها وكذلك أم موسى نبية قبلها لزم أن تكون أم موسى أفضل نساء العالمين مثل مريم عليها السلام، ولم تذكر في الحديث، بل ذكر مع مريم عليها السلام آسيا امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ ولسن نبيات قطعاً، فعلم منعه عن النساء. ^(٧)

(١) : محمد أبو بكر بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني، الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة المتكلم على مذهب أبي الحسن الأشعري، إمام وقته من أهل البصرة وسكن بغداد سمع من القطيعي وابن ماشا وغيرهما وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته؛ وكان حسن الفقه، عظيم الجدل، وكانت له بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة، وكان ينزل الكرخ وكان مالكيًا؛ توفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة. انظر "الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون المالكي (٢٢٩/٢).

(٢) القاضي أبو يعلى البغدادي محمد بن الحسين، الإمام، العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، صاحب (التعليقة) الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب. ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مائة. أفتى ودرس، وتخرج به الأصحاب، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره، والنظر والأصول، وكان أبوه من أعيان الحنفية، مات ولأبي يعلى عشرة أعوام، كان متعففاً، نزهة النفس، كبير القدر، ثخين الورع. توفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة. انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٨٩/١٨)؛ و"طبقات الحنابلة" أبو الحسين بن أبي يعلى (١٩٣/٢).

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حمويه، إمام الحرمين أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني، الفقيه الملقب بضياء الدين، المتوفى: ٤٧٨ هـ، رئيس الشافعية بنيسابور. كان إمام الأئمة على الإطلاق، المجمع على إمامته شرقاً وغرباً، لم تر العيون مثله. ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة في المحرم، وتفقه على والده، فأنتى على جميع مصنفاته، وتوفي أبوه وله عشرون سنة، فأقعد مكانه للتدريس، خرج إلى الحجاز، وجاور بمكة أربع سنين، يدرس ويفتي، ويجمع طرق المذهب، إلى أن رجع إلى بلده نيسابور بعد مضي نوبة التعصب، فأقعد للتدريس بنظامية نيسابور، واستقامت أمور الطلبة، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، مسلم له الحراب، والمنبر، والخطابة والتدريس، ومجلس الوعظ يوم الجمعة، وظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل. انظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٢٤/١٠).

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٥

(٦) "مجموع الفتاوى" (٣٩٦/٤).

(٧) انظر: "فتح الباري" لابن حجر (٤٧١/٦)؛ و"تفسير القرطبي" (٨٣/٤)؛ و"تحجيل من حرف التوراة والإنجيل" لأبي البقاء الهاشمي (٢٢١/٢-٢٢٢)؛ و"الجواب الصحيح" لابن تيمية (٣٤٩/٢-٣٥٠)؛ و"مجموع الفتاوى" له (٣٩٦/٤)؛ و"الصفدية" له (ص١٩٨-١٩٩).

وكما أن الآيات والأحاديث دلت على فضل مريم عليها السلام، فقد دلت على بشريتها وأنها أمةٌ تعبد الله تعالى ولا تُعبد، وليس لها في حق الألوهية شيء، فلا هي إله ولا أم إله، خلافا لما تزعمه بعض فرق النصارى^(١)، الذين جعلوها إلهًا تستحق العبادة بدعوى التبجيل والتكريم، فخصَّصُوا لها بإسمها من دون الله سبحانه قربات وصلوات وتسيحات، ويدعوونها، ويطلبون منها الشفاعة وسائر الحاجات، و حدَّدوا لها أعيادا ليعظم لها الرغبات والتوسلات، وبُنيت بإسمها الكنائس ودور العبادات، وغلوا في إطرائها وتلقيبها حتى جعلوها ذات طبيعة إلهية، فهي زوجة إله وأم إله؛ ومن فرق النصارى من تزعم أنهم لا يعبدونها من دون الله، ولكنهم في الحقيقة يصرفون لها أنواعا من العبادة كالتسبيح لها، ودعائها، وطلب الشفاعة منها، والصيام لها في أيام مخصصة لها، وكذلك السجود والنذور وإن كانوا لا يرون عصمتها وإلهيتها^(٢)؛ وقد ردَّ الله تعالى في كتابه العظيم على هذه الفرية والإفك المبين بأن مريم عليها السلام إنما هي بشر ابنة بشر، صديقة لا تستحق من العبادة والإلهية شيء، ولم تأمر هي ولا ابنها بذلك، قال الله ﷻ في شأنها: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾^(٣)، وقد أثبت الله بشريتها بقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ ﴾^(٤) (٥).

(١) وهم فرقة الكاثوليك كما هو مشهور عنهم، وهي منتشرة في مواقعهم النصرانية الأجنبية انظر كتاب "حياة مريم أم يسوع" الأب فرنسيس قندلا اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ببيروت (١٩٤٩)؛ وكتاب "العبادة الحقيقية لمريم البتول الأم الإلهية" للطوباوي لويس دي مونفور (١٩٠٨).

(٢) وهم فرقة الأرثوذكس القبطية، انظر كتاب "بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية" د. حنين عبد المسيح (ص ٥٧-٦٧)، وكتاب "طلبة سيدتنا مريم العذراء - شرح وتفسير"، مطبوعات كنيسة السيدة العذراء بلوس انجلوس كاليفورنيا ط - ٢٠٠٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٦

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٥) انظر كتاب "الله جل جلاله واحد أو ثلاثة" منقذ محمود السفار (ص ٢١٨).

الفصل الثاني : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام :

(فيه مبحثان)

المبحث الأول : مقدمات في النبوة ودلائلها (وفيه ثلاث مطالب)

المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة ، المطلب الثاني : دلائل النبوة بين أهل السنة والمتكلمين

المطلب الثالث : إثبات نبوة عيسى ﷺ وأنه من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثاني : ما ورد في دلائل نبوة عيسى ﷺ : (وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول : ما ورد في الاستدلال بحال نبي الله عيسى ﷺ وصفاته : (وفيه خمس مسائل)

المسألة الأولى : الإرهاصات التي كانت قبل مولده عليه السلام ، المسألة الثانية : ولادته من غير أب .

المسألة الثالثة : التكلم في المهد ، المسألة الرابعة صفاته الخلقية ، المسألة الخامسة : صفاته الخلقية .

المطلب الثاني ما ورد في الاستدلال بآيات ومعجزات عيسى ﷺ : (وفيه خمس مسائل)

المسألة الأولى : أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .

المسألة الثانية : إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ﷻ . المسألة الثالثة : إحياء الموتى .

المسألة الرابعة : الإخبار بالمغيبات . المسألة الخامسة : نزول المائدة .

المطلب الثالث : ما ورد في الاستدلال بدعوة عيسى ﷺ : (وفيه أربعة مسائل)

المسألة الأولى : دعوته لتوحيد الله ﷻ وإلى الإسلام ، المسألة الثانية : تصديقه لمن قبله من الأنبياء ،

ومتابعته للتوراة ، المسألة الثالثة : أمره بتقوى الله ﷻ والإيمان به وطاعة نبيه ﷺ .

المسألة الرابعة : الدعوة إلى أصول الشرائع من الصلاة والزكاة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الرابع : ما ورد في الاستدلال بنجاة عيسى ﷺ من أعدائه ونصرته بإلقاء الشبه على غيره

ويرفعه ﷺ .

الفصل الثاني: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه السلام:

المبحث الأول : مقدمات في النبوة ودلائلها :

المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة:

تعريف النبي لغة :

١- أنه مأخوذ من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿١﴾﴾^(١)، فالنبي هو الذي ينبئه ويخبره الله سبحانه وتعالى، ويوحى إليه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٢﴾﴾^(٢) فهو إذا أنبأه الله صار نبياً .

٢- وقيل مأخوذ من النبوة، وهو الطريق الواضح والمكان المرتفع كالنابئ، والعرب تطلقه على العلم من أعلام الأرض، والأنبياء على هذا المعنى هم أرفع الخلق وأشرفهم وأعلامهم في الدنيا والآخرة، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس في صلاح دنياهم وأخراهم، وهم الطريق الموصلة لرضوان الله وحنّته^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (معنى النبي في اللغة: وهو من النبأ. وأصله الهمز، وقد قرئ به، وهي قراءة نافع، يقرأ النبيء، لكن لما كثر استعماله ليئت همزته، كما فعل مثل ذلك في: الذريرة، وفي البرية؛ وقد قيل: هو من النبوة؛ وهو العلو؛ فمعنى النبي: المعلى، الرفيع المنزلة.

والتحقيق: أنّ هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأه الله، وجعله مُنبئاً عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر علياً^(٤).

تعريف الرسول في اللغة: الرسول مشتق من الإرسال، أي التوجيه، قال تعالى ذاكراً عن ملكة سبأ أنها

قالت ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥﴾﴾^(٥).

(١) سورة النبأ، الآية ١-٢.

(٢) سورة التحريم: الآية ٣.

(٣) انظر: "لسان العرب" لابن منظور (مادة-نبأ-١/١٦٢)؛ و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي (مادة ن ب أ، ٥٣)، و"تاج العروس"

للمرتضى الزبيدي (١/٤٤٤)، وانظر "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٣/٥).

(٤) كتاب "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨٨٢).

(٥) سورة النمل: الآية ٣٥.

وقيل: إن الرسول الذي يُتابع أخبار الذي بعثه ، أخذنا من قولهم : جاءت الإبل رسلا ، أي متتابعة^(١) ،
قيل: إن الرسول بمعنى الرسالة، وقد جاء المرسلون برسالة من الله تعالى^(٢).

وبالجمع بينهم فالرسول هو الموجه من عند الله برسالة إلى عباده.

وأما في الاصطلاح فقد اختلف أهل العلم على قولين :

أحدهما: أنه لا فرق بين النبي والرسول، وأتصفاً بمعنى واحد، فالنبي رسول و الرسول نبي، و الرسول مأخوذ من تحمل الرسالة و النبي مأخوذ من النبأ و هو الخبر إن همز لأنه مخبر عن الله تعالى وقد أخذ بهذا القول طائفة قليلة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين، ومنهم من يُنسب إلى السنة.

والقول الثاني: أن هناك فرقا بينهما وهو الأصح الذي عليه أكثر أهل العلم والمحققون منهم، وذلك

يعرف لاختلاف المسميات ، ويدل على صحة الفرق بين النبي والرسول قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

يُخَيِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣)، فعطف النبي على الرسول، وذلك يدل على المغايرة

بينهما؛ وعلى هذا التفريق جرى عامة المفسرين من الإمام الطبري إلى من بعده، وكذلك ما وصف به بعض

رسله بالنبوة والرسالة ووصف غيرهم بالنبوة دون الرسالة كقوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَأذْكَرٌ فِي

الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(٤)؛ وكذلك ما جاء في حديث في عدّة الأنبياء وأنهم

مائة ألف وأربعة وعشرون نبي، وعدّة الرسل وأنهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا^(٥) ، وقد ذكر الإجماع في أن

(١) انظر "لسان العرب" لابن منظور (مادة رسل، ١١/٢٨٣)؛ تحذيب اللغة للأزهري (أبواب السين والراء ١٢ / ٢٧٢)

(٢) انظر "مختار الصحاح" للجوهري (مادة رسل، ص١٢٢)؛ و"تاج العروس" للزبيدي (مادة ر س ل، ٢٩/٧٣).

(٣) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٤) سورة مريم: الآية ٥١.

(٥) الحديث عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير...» الحديث، أخرجه بطوله أبو نعيم في "الحلية" (١٦٦/١ - ١٦٨)، الطبراني في "المعجم الكبير"

(١٦٥١)، وأورده الهيثمي في "المجمع" (٤/٢١٦)، وقال: رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو

حاتم وأبو زرعة، وقال الشيخ الألباني في تحاية تخريج الحديث في كتاب "ضعيف موارد الظمان لابن حبان" (٩٤/١٠): (ضعيف جدا

"السلسلة الضعيفة" برقم (١٩١٠ و٦٠٩٠) لكن بعض فقراته ثابتة في أحاديث أخرى وقد ذكرت مراتبها في الصحيح - أي صحيح الموارد -

استعجالا بالخير وقد اقتطعت هذه الفقرات وأودعتها في أماكنها من الكتب المناسبة لها كما يأتي ؛ وانظر "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية

(ج ٢/ص ٤١٧)، و"الرسول والرسالات" للأشقر (ص١٢-١٣)؛ و"تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول الرسول" للشيخ محمد بن

عبدالله الإمام، موقع كلمات عبر شبكة الانترنت، ص٢.

الرسول أفضل من النبي لتمييزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة، وعلى ذلك جمهور أهل العلم وعمامة أهل السنة، وقيل أن ابن عبد السلام^(١) خالف فيه، وغلاة الصوفية تزعم أن الرسول دون النبي وهو قول مردود بظاهر الأدلة^(٢)، و قال أهل التحقيق: إن بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، وذكروا أن ذلك هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم.^(٣) وعلى القول بالفرق بينهما اختلف أهل العلم في أوجه الفرق بينهما من السابقين ومن المعاصرين كذلك .

فمن الأقوال المتقدمة: أحدها: أن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي و النبي هو الذي يوحي إليه في نومه ، وهذا ظاهر بطلانه ، والقول الثاني : أن الرسول هو المبعوث إلى أمة و النبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة وهذا القول منسوب لقطرب^(٤) ، وهذا أيضا قول غير صحيح حيث جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، المشهور في الصحيحين قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: «عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد»^(٥) ، والقول الثالث: أن الرسول هو الذي يوحي إليه بشرع جديد، وقد ينزل عليه كتاب، و النبي هو: المبعوث الذي يحفظ شريعة غيره ويقرر، رسالة سابقة عليه ، وهو قول أخذ به عدد من العلماء من السابقين ومن المعاصرين ، ومن المعاصرين الدكتور عمر الأشقر-رحمه الله-^(٦).

(١) ابن عبد السلام أبو الحسن علي بن هبة الله البغدادي الشيخ، العالم، المحدث، المسند، أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام بن عبد الله بن يحيى البغدادي، الكاتب. ولد سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة. قال السمعاني: شيخ كبير، من بيت الرئاسة والتقدم، واسع الرواية، صاحب أصول حسنة مليحة، سمع بنفسه، وأكثر، ونقل وجمع، أكثر سماعه بقراءة ابن الخاضبة، قرأت عليه الكثير، وكان ينحدر إلى واسط من جهة الخليفة على الأعمال التي بها، مات في سابع رجب، سنة تسع وثلاثين وخمس مائة. انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٧/٢٠).

(٢) انظر: "الواعيان البهية" للسفاريني (٥٠/١)، و"أعلام النبوة" للماوردي (ص٣٨)، و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٧٣/٣)، و"تحاف السائل بما في العقيدة الطحاوية من مسائل" للشيخ صالح آل الشيخ (٧٨/١).

(٣) انظر: القرطبي في "تفسيره" (٥٤/١٢) - ابن عطية في "تفسيره" (٣٠٧/١٠) - البغوي في "تفسيره" (١٢٦/٤) - البقاعي في "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" (٧٠/١٣) - الشوكاني في "النيل" (٣٠/١) - البيهقي في "الشعب" (٣٨٣/١) وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" : (٢٩٠/١٠).

(٤) أبو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب؛ كان عالما باللغة والنحو؛ أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، وكان حريصا على الاشتغال والتعلم، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوما: ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب دوية تدب ولا تفتت ، وروى عنه محمد بن الجهم، وكان يذهب إلى مذهب المعتزلة، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه بالجامع، فخاف من العامة وإنكارهم عليه؛ لأنه ذكر فيه مذهب المعتزلة، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته بالجامع ، وله من التصانيف كتاب "معاني القرآن"، وكتاب "غريب الحديث" وغيره ، وهو أول من وضع كتابه "المثلث" في اللغة، وكتابه وإن كان صغيرا لكن له فضيلة سبق ، وتوفي سنة ست ومائتين، في خلافة المأمون ، انظر (نزهة الألباء ١ / ٧٦) ، وكتاب (وفيات الأعيان ٤ / ٣١٢)

(٥) أخرجه البخاري في "الجامع الصحيح" (١٢٦/٧-١٢٦/٧)، ومسلم في "صحيحه" (١٩٨/١-١٩٨/١) رقم (٣٧٢).

(٦) انظر: "الرسائل والرسالات" للأشقر (ص١٤)، و"أعلام النبوة" للماوردي (ص٥١).

والقول الرابع: وهو أشهر ما قيل في الفرق بينهما، وجمهور أهل العلم على ذلك وهو أن النبي: من أوحى إليه الله بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهو قول عليه كثير من المتقدمين كالسفاري (١) في "لوامع الأنوار"، وابن أبي العز (٢) في "الطحاوية"، والشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ومن المعاصرين كالشيخ ابن عثيمين رحمهم الله جميعاً.

القول الخامس: وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وتبع هذا القول عدد من المعاصرين، وهو أن النبي: من ينبئ بما أنبأه الله به، من الأمر والنهي والخبر وهم ينبئون المؤمنين بما أنبأهم الله مما يعرفون أنه حق، والنبي يعمل بشريعة من قبله، فهو إذاً مبعوث في قوم يوافقونه ويؤمنون به، ولذلك لا يسمى رسولا عند الإطلاق، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، كأنبيا بني إسرائيل؛ و الرسول: هو من أنبأه الله وأرسله إلى من خالف أمره ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، فرسل الله يرسلون إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فيكذبهم بعضهم، والرسول يسمى رسولا عند الإطلاق لأنه يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف عليه السلام كان رسولا وكان على ملة إبراهيم عليهما السلام، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة. (٣)

وهذا القول الأخير هو الذي أرجحه، لأن بقية الأقوال السابقة لا تخلو من مناقشة، وإن كانت هذه المسألة من المسائل الاجتهادية التي ليست من المسائل التي يحطأ فيها والله أعلم بالصواب.

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) سنة ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها. من كتبه: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية؛ الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات؛ تفي سنة ١١٨٨هـ؛ انظر "الأعلام" للزركلي (١٤/٦).

(٢) العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعى الصالحى الدمشقى ولد سنة ٧٣١. اشتغل بالعلوم، وكان ماهراً في دروسه وفتاويه، وخطب بحسبان قاعدة البلقاء مدة، ثم ولي قضاء دمشق في المحرم سنة ٧٧٩، ثم ولي قضاء مصر فأقام شهراً ثم استعفى، ورجع إلى دمشق على وظائفه. له كتب منها: شرح العقيدة الطحاوية، التنبيه على مشكلات الهداية. مات سنة ٧٩٢. انظر: "الأعلام" للزركلي (٣١٣/٤).

(٣) انظر: "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧١٦-٧١٩).

المطلب الثاني: النبوة ودلائلها عند المتكلمين و عند أهل السنة والجماعة^(١)

أولاً: النبوة عند المتكلمين :

١- النبوة عند المعتزلة: يذهب المعتزلة إلى أن إرسال الرسل واجب على الله سبحانه بناء على أصلهم أن الله من أفعاله العدل، وأنَّ عدل الله يُقصد به أنه لا يفعل القبيح، ومن مقتضيات عدله أن يرسل الرسل، لأن فيه الأصلاح لنا؛ يقول قاضيهم عبد الجبار^(٢): (إن البعثة متى حسنت وجبت ..)، وقال في موضع قبله: (ووجه اتصاله بباب العدل .. في أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات، فلا بد أن يُعرِّفناها، لكي لا يكون محلاً بما هو واجب عليه، ومن العدل أن لا يُخلَّ بما هو واجب عليه)^(٣). وقد رد عليهم أهل السنة في ذلك، فهم يرون أن إرسال الرسل هو منة من الله وفضلٌ تفضَّلَ اللهُ به على عباده بأن بعث إليهم رسلاً من أنفسهم يتلون عليهم آياته ويزكّونهم ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، وهو سبحانه من له أن يوجب على نفسه ويحرم على نفسه ما يشاء، أما خلقه فليس لهم ذلك^(٤).

وهم لتأثرهم بأحلاط الفلاسفة وعلى أصلهم في خلق أفعال العباد، فإنهم يجعلون النبوة صفة ثبوتية قائمة في نفس النبي، يقول شيخ الإسلام في ذكر معتقداتهم: (وكثير من القدرية المعتزلة والشيعة وغيرهم ممن يقول بأصله في التعديل والتجويز، وأنَّ الله لا يفضِّلُ شخصاً على شخص إلا بعمله، يقول إنَّ النبوة أو الرسالة جزاء على عمل متقدم، فالنبي فعل من الأعمال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة ..)^(٥).

١- النبوة عند الأشاعرة:

وعلى نقيض المعتزلة جوَّز الأشاعرة إرسال الرسل وبعثة الأنبياء، و بعثة كل مكلف، بناءً على أصلهم أنَّه مالك الملك يفعل كل ممكن، وبمحض مشيئته، ولكنهم يقولون: إنَّ الأنبياء أفضل الخلق و أنَّ النبي لا يكون فاجراً، لكن يقولون: هذا لم يُعلم بالعقل بل عُلم بالسمع^(٥)، والنُّبُوَّة عندهم ليس لصفةٍ ترجع إلى

(١) سورة آل عمران: ٣٣

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الحمداني الأسد آبادي، أبو الحسين: قاض، أصولي. كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة ٤١٥هـ، له تصانيف كثيرة، منها: (تنزيه القرآن عن المطاعن) و (الأمالي) و (شرح الأصول الخمسة). انظر "لسان الميزان" (٣/٣٨٦)؛ و"تاريخ بغداد" (١١٣/١١).

(٢) "شرح الأصول الخمسة" للقاضي عبد الجبار (ص ٥٦٣-٥٦٤).

(٣) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢/٨-٧٣)، وشرح العقيدة السفارنية للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ص ٥٢٥-٥٢٦).

(٤) "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤١٥/٢).

(٥) المصدر السابق (٤١٩/٢)، وانظر: "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به" للباقلاني (٩٢/١).

النبي ولا إلى أمور يكتسبها النبي، بل هو أمر تابع لمشيئته سبحانه، يقول شيخ الإسلام: (والتنبؤة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه، والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه إليه النبوة؛ عندهم صفة ثبوتية ولا مستلزمة لصفة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية) ^(١) ، وفي ذلك يقول أحد كبارهم: (ولا يشترط فيه - أي في الإرسال- شرط من الأعراض والأحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات والاستعداد الذاتي من صفاء الجوهر وذكاء الفطرة كما يزعمه الحكماء، بل الله سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء من عباده فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئة فقط...) ^(٢).

دلائل النبوة عند المتكلمين:

قد تعددت طرق النظر المتكلمين في دلائل النبوة فنذكرها إجمالاً : منهم من لا يجعل المعجزة دليلاً، بل يجعل الدليل استواء ما يدعو إليه النبي وصحته وسلامته من التناقض ^(٣)، ومنهم من يجعل المعجزة دليلاً على النبوة كالمعتزلة وأكثر الأشاعرة ويقصرون دليل النبوة ويحصرونه على المعجزات، وبعض الأشاعرة يجعل المعجزة هي المعتمد في الدلالة على النبوة و يثبت غيرها من الدلائل مع توهين دلالتها، كأحواله قبل النبوة، وحال الدعوة، وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة، وأحكامه الحكيمة.. وكإخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته، فهي لا تأتي إلا على جهة التكملة وزيادة التأكيد لا على جهة الاستقلال بدلالاتها ولا يعتمد عليها ^(٤).

منهج المتكلمين في إثبات النبوة : بين المعتزلة والأشاعرة اختلافٌ في منهج إثبات المعجزة وتمييزها عن غيرها من حوارق العادات، فالمعتزلة والأشاعرة عرّفوا المعجزة بأنه الأمر الخارق للعادة، المقرونة بدعوى النبوة وكذلك أن تكون مقرونة بتحدي الإتيان بمثله، مع سلامته من المعارضة ^(٥)، والفرق بينهما أنّ المعتزلة يرون أن العادة لا تُخرق إلا لنبيّ فكذبوا بما يُعرفُ ويُذكرُ من حوارق السحرة والكهنة، وكذلك كذبوا بكرامات الأولياء الصالحين، أما الأشاعرة فقد أثبتوا جميع حوارق بلا تفريق في جنسه، إلا أنهم جعلوا الفرق بين معجزات الأنبياء وحوارق العادات التي تكون للأولياء الصالحين أو التي تكون للسحرة والكهّان، أنّ معجزات الأنبياء مقرونة بدعوى النبوة، والتي لولا دعوى النبوة لما دلت المعجزة بعينها على النبوة ^(٦).

(٢) "المواقف في علم الكلام" للإيجي (٣/٣٣٢).

(٣) انظر "المواقف في علم الكلام" للإيجي (٣/٣٣٢).

(٤) انظر "شرح الأصبهانية" لشيخ الإسلام (ص٥٣٨).

(٥) انظر "المواقف في علم الكلام" للإيجي (٣/٣٨٦-٣٨٧) وانظر "شرح الأصول الخمسة" للقاضي عبد الجبار (ص٥٨٦-٥٩٤).

(٦) انظر "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٣٤-١٣٧).

ثانيا: النبوة عند أهل السنة والجماعة :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن النبوة هي اصطفاء من الله تعالى يصطفي من يشاء من عباده بلا معرفة من العبد، لإرادة الله في اصطفاؤه واجتباؤه على العالمين ، ثم إنه سبحانه قبل أن ينبئه ويوحى إليه، فإنه يُعده إعدادا خاصا، و يرثيه تربية خاصة، ويُعده لهذه المهمة العظيمة؛ قال تعالى لموسى عليه السلام:

﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾^(١)، فيمده بالقدرات والمواهب التي تميزه عن سائر الناس، ويجمل باطنه وظاهره بالتركية والأخلاق الحسنة وحسن الشكل وسلامته؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهو الذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النُّظار أنَّ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فالنبي يختص بصفاتٍ ميزه الله بها على غيره في عقله ودينه، واستعد بها، لأنَّ يخصه الله بفضله ورحمته كما قال تعالى: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٢)؛ وقال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٣) ^(٤)، وقال في موضع آخر: (والله سبحانه إذا اتخذ رسولا فضله بصفاتٍ أخرى لم تكن موجودة فيه قبل إرساله، كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمد من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة، وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم، فلا يقال إنَّ النبوة مجرد صفةٍ إضافيةٍ ..)^(٥).

دلائل النبوة عند أهل السنة والجماعة :

بما أنَّ مهمَّة الرسل من أعظم المهام، ودعوى النبوة من أخطر الدعاوى، فأصحابها يقولون أنهم من عند الله أرسلوا ونبؤوا، ويلزمهم بالعبودية لله تعالى وحده وألا يشركوا، وأنَّ لهم حقَّ الطاعة والانقيادِ وأتباع ما به جاؤوا وبلغوا، ومخالفة ما يُخرسه الظنُّ وما تهواه النفوس، وأنَّ المؤمنَ المطيعَ له أحسنُ الثوابِ والمكذَّبِ المعرضُ له أشدُّ العقابِ، فكان من كمال رحمة الله وعظيم حكمته سبحانه أن أرسل مع رسله وأنبيائه

(١) سورة طه: الآية ٤١ .

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٥ ،

(٤) انظر: "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٤١٦).

(٤) انظر: "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٤١٦).

(٥) المصدر نفسه (٥/٤٣٧-٤٣٩).

آيات بيّنت واضحات ودلائل وبراهين ساطعات على صدق من جاء من عنده سبحانه، وأمانة من اصطنعه بالرسالة ، وضلالة من أوحى إليه شيطانه فكذب تعمداً أو خطأً في دعواه النبوة.

وقد أرجعتُ أفراد الدلائل إلى ستة أمور :

الأول: المقدمات والإرهاصات التي تكون قبل ولادة النبي ﷺ أو قبل بعثته.

الثاني: الآيات و المعجزات التي يجريها الله تصديقاً لرسله .

الثالث: بشارَةُ الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين ومعرفةُ أهل الكتاب بذلك .

الرابع: النَّظْرُ في أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفاتهم .

الخامس: النَّظْرُ في دعوة الرُّسُل وما يأتوا به من الأمر والنهي.

السادس: سنَةُ الله ﷻ في تصديق أنبياءه ورسله بتأييدهم ونصرهم وحسن عاقبة أتباعهم وسوء عاقبة مُكذِّبهم.

فالأول: المقدمات والإرهاصات التي تكون قبل ولادة النبي عليه السلام أو قبل بعثته :

من آيات النبوة المقدمات التي تتقدم نبوة النبي الصادق، وهي بمثابة الإرهاصات^(١) قال شيخ الإسلام:

(فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم ، وقبل إنبائهم ..)^(٢) وهي كثيرة متنوعة، مثلها : الرؤيا الصالحة الصادقة التي يراها النبي أو تُرى له، وسجود الكائنات له وتحديثها معه، انقطاع استراق السمع من السماء لشدة حراستها، وهواتف الجن، وكذلك الحوادث العجيبة التي تحدث له أو لعموم الناس، وهذه قد تحدث بعضها لبعض النبيين ولكنها حدثت بتمامها وكما لها للنبي ﷺ وسنذكر منها ما حصل للنبي عيسى عليه السلام^(٣) .

(١) جمع إرهاب، الإرهاص لغة مشتقة من الرّهب - بالكسر؛ وهو العرق الأسفل من الحائط، والإرهاب هو المقدّمة للشيء، والإيدان به؛ والإرهاص اصطلاحاً: ما يصدر من النبي ﷺ قبل النبوة من أمرٍ خارق للعادة تمهيداً لها. انظر: "القاموس المحيط" للفيروز أبادي (ص ٨٠١).

وكتاب "التعريفات" للحرجاني ص (٣١). و"لسان العرب" لابن منظور (٤٤/٧).

(٢) "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٩٤/٢).

(٣) للاستزادة انظر: "دلائل النبوة" للإمام البيهقي (ص ١١١-١١٤-١١٥-١٤٥) في دلائل نبوة النبي محمد ﷺ.

الثاني: الآيات و المعجزات التي يجريها الله تصديقاً لرسوله:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١)، فأيات الأنبياء الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة، ولفظ الآية والبيّنة والبرهان هو الذي جاء في النصوص، أما لفظ المعجزات فهي ليست موجودة في الكتاب والسنة، إنما جاءت عن المتأخرين^(٢).

وهذه الآيات والمعجزات التي يؤتاها الأنبياء والمرسلون لا يشاركها فيها غيرهم، خارجة عن مقدور الإنس والجن، وقد ذكر شيخ الإسلام كلاماً جامعاً فيه فقال: (هي آيات الأنبياء التي يعلم أنّها مختصة بالأنبياء، وأنّها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بُدَّ أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحدٌ أن يعارضها. لكن كونها خارقة للعادة، ولا تمكن معارضتها: هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها. والعلم بأنّها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً؛ كانشقاق القمر، وجعل العصا حية، وخروج الناقة؛ فمجرد العلم بهذه الآيات يُوجب علماً ضرورياً بأنّ الله جعلها آيةً لصدق هذا الذي استدللّ بها، وذلك يستلزم أنّها خارقة للعادة، وأنّه لا يمكن معارضتها)^(٣).

فذكر في هذا التعريف أربعة من وصف هذه الآيات :

١- أنّها مختصة بالأنبياء فلا يشاركهم فيها غيرهم ؛ ٢- أنّها مستلزمة لصدقهم و توجب علماً ضرورياً بأنهم صادقون؛ ٣- خارقة للعادة وخارجة عن قدرة الإنس والجن؛ ٤- لا يمكن لأحد أن يعارضها .

وذكر رحمه الله أنّها نوعان: ١- جنس في نوع العلم ؛ ٢- جنس في نوع القدرة.

فالأول: ما كان من باب العلم كالاطلاع على بعض أمور الغيب مثل ما أخبر به الرسول ﷺ من أخبار في قصص السابقين وأنباء الأمم الهالكة وحوادث أهل الكتاب، وما كان يجري من أمور غيبية نسبياً كأن يحدث الرجلُ عما قاله في نفسه، أو ما يحدثُ من أمر قبل أن يأتيه من يبلّغُه، وإجابة النبي ﷺ لأسئلة اليهود، وذكره الحقّ الذي اختلفوا فيه، وكذلك ذكره لأحداث مستقبلية ومُشاهد غيبية مثل الفتن والوقائع والفتوحات التي تكون بعد مماته وما يكون بين يدي الساعة من أشراف وعلامات وقعت أو لم تقع بعد.

(١) سورة يونس: الآية ١٣.

(٢) انظر: "النبوات" (٢١٥/١)؛ و"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٩٢/١)، و"قاعدة في المعجزات والكرامات" ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٢/١).

(٣) "النبوات" (٧٧٥/٢).

والثاني : وهو ما كان من باب القدرة والتأثير، كخروج الناقة من الصخر، وتحويل العصا أفعى، و إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى، وتكثير الطعام والشراب بين أصابع النبي ﷺ وانشقاق القمر وإجابة الدعاء.^(١)

إنَّ أعظمَ آيةٍ أُعطيها رسولنا محمد ﷺ القرآن الكريم، بل هو أعظم آيات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ففي الصحيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢)، وهي معجزة وآية خالدة باقية ليست كمن قبلها من الآيات المادية التي تخضع لزمان ومكان وأمة، بل هو كتاب عزيزٌ مهيمٌ على ما سبق، ولا يؤتى بمثله ولا بسورة تحديًا لمن لحق، يقول شيخ الإسلام: (والقرآن مما يعلم الناسُ عربُّهم وعجمُهم أنه لم يُوجد له نظيرٌ، مع حرص العرب، وغير العرب على معارضته؛ فلفظه آيةٌ، ونظمه آيةٌ، وإخباره بالغيوب آيةٌ، وأمره ونهيهِ آيةٌ، ووعدُه ووعيده آيةٌ، وجلالته وعظمتُه وسلطانُه على القلوب آيةٌ...)^(٣).

وقد أبطل شيخ الإسلام دعوى المتكلمين في أنَّ الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق غيرهم من السحرة والكهَّان ونحوهم هو (خرق العادة)، ودعوى التحدي، فلو ظهرت آية من تلك الآيات على يدي بشرٍ وادَّعى النبوة ولم يتحد لم تكن آية، فإن ادَّعى التُّبوة وتحدَّى كانت آية، وهذه دعوى باطلة؛ ومن آيات الأنبياء ما يظهر على المؤمنين بهم بسبب إيمانهم بهم واتباعهم وهي التي تسمى بالكرامات وبين المعجزات والكرامات فوارق^(٤).

الثالث: بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين ومعرفة أهل الكتاب بذلك :

من دلائل النبوة والبيئات الدالة على صدق النبي وصدق ما جاء به، أن يُبشِّرَ النَّبِيُّ السَّابِقُ بِقُدُومِ مَبْعُوثِ النَّبِيِّ الْآلِاحِقِ، فيذكرُ اسمه أو صفاته أو أماراته أو ما يدل عليه، قال تعالى: ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ لَهُمُ عِلْمٌ أَنِّيَأْتِيهِمْ رَكُوبُهُ لَخِشَوْا رَبَّهُمْ وَنَذَّوهُوا بِالْحُجْرَةِ حَقًّا لَقَدْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾^(٥)، وأنَّ على أتباعه الإيمان به وبما جاء به، ذلك لأنهم مرسلون من إله واحد سبحانه، وذلك يستلزم وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَوِئْلِي مَا نَعْبُدُكَ أَنتَ إِلَهُنَا حَقًّا وَنَعْبُذُكَ أَنتَ إِلَهُنَا حَقًّا ﴾^(٦).

(١) المصدر السابق (١/١٥٠)، وانظر: "الرسول والرسالات" للأشقر (ص ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦/١٨٣-رقم ٤٩٨١)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/١٣٤-رقم ٢٣٩).

(٣) "النبوات" لشيخ الإسلام (١/٥١٦).

(٤) انظر النبوات لشيخ الإسلام (١/١٦٣-١٧٣-١٧٣-٤٩٨-٥٤١)، و"لواع الأنوار البهية" للسفاري (٢/٣٩٦).

(٥) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ
 وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴿١﴾، وتذكر هذه البشارات في الكتب المنزلة على النبيين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ
 الْأَوَّلِينَ﴾ (٢)، و علماء أهل الكتاب الذين يدرسونه يعرفون صفات النبيين ويعرفون أماراتهم وعلامات
 صدقهم، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (٣) (٤).

الرابع: النظر في أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفاتهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٥) ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ
 قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
 وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥).

قد ذكرت أن النبوة منحة ومنة من الله تعالى، يصطفي بها من يشاء من عباده، فهي رحمة يقسمها الله
 لمن يرى أنه للنبوة أهلاً ولحمل الرسالة أولى، ولهؤلاء الرسل صفات وخصائص وهي:

١- أن هؤلاء الرسل من البشر يأكلون ويشربون، ولم يجعلهم الله من الملائكة ولا غيرهم لحكم عظيمة،

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ
 مَلَكَاتٌ رَسُولًا﴾ (٦)، ولم يجعل لهم من خصائص الألوهية والملكية شيء، وهم مع البشرية يختارهم الله
 من جنس الرجال، لا من النساء، وأنهم من أهل القرى وليسوا من أهل البوادي، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٧)، ومع كونهم بشراً فإن الله يكرمهم ويفضلهم على سائر خلقه بالوحي وبما يخص به رسله

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

(٣) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(٤) انظر "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" ابن تيمية (١٦٠/٥ وما بعدها)؛ و"الرسول والرسالات" للأشقر (١٦٢).

(٥) سورة الزخرف: الآية ٣١-٣٢.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٩٥.

(٧) سورة يوسف: الآية ١٠٩.

وأنبأه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١)

٢- الكمال البشري: فهم اختيار الله وإعداده سبحانه، فلهم من الكمال البشري في كل نواحيه أخصه و أكمله وأكرمه، قال تعالى عن موسى عليه ﷺ: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٢)، فهم في صفاتهم الخلقية والخلقية في أكمل ما يكون عليه البشر، قال ابن حجر معقبا على حديث موسى عليه السلام:

(وفيه أن الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال، وأن من نسب إلى نبي نقصا في خلقته فقد آذاه ويُخشى عليه من الكفر)^(٣)؛ فهم أظهر الناس قلوبا وأزكاهم أخلاقا، قال تعالى عن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤)؛ قد عرفوا بالصدق والعفة والأمانة من قبل بعثهم بالنبوة، وهذا مما استدل به هرقل على أن رسولنا محمد ﷺ نبي مرسل من الله تعالى، حيث قال لأبي سفيان: (هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا ما جرئنا عليه كذبا) الحديث.^(٥)

وكذلك هم خير الناس وأكرمهم نسبا، يحفظهم الله في أصلاب الرجال وبطون النساء جيلا بعد جيل، وهم يحققون بتوفيق الله وبركته عليهم الكمال في تحقيق العبودية، فهم بُعثوا لأجل تحقيق العبودية لله وحده، وبلغوها هم في أكمل درجاتها، فحياتهم ودعوتهم وجهادهم كلها لله ﷻ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٧)

٣- اختصاصهم بالوحي وامتدادهم بالموهب والقدرات في العقل والبيان، وتأيدهم بالآيات والمعجزات لإظهارهم على أعدائهم وإفحام خصومهم بما أوتوا من الحجج والبيانات، وهذا بيّن ظاهر في قصص المرسلين مع أقوامهم كقصة إبراهيم ﷺ مع النمرود، وقصة موسى ﷺ مع فرعون، ثم إن الله تعالى ينزل

(١) سورة الكهف: الآية ١١٤.

(٢) سورة طه: الآية ٤١.

(٣) "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني (٦/٤٣٨).

(٤) سورة القلم: الآية ٤.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٨/١-رقم ٧).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٦٢-١٦٣.

(٧) سورة الفرقان: الآية ١.

على بعضهم الكتب ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ (١)

٤ - عصمتهم عليهم الصلاة والسلام في تحمُّلِ الرِّسَالَةِ وتبليغها :

قد أجمعت الأمة أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون في تحمُّلِ الرِّسَالَةِ من نسيانها والخطأ في الوحي، وكذلك عُصَمُوا عن اتباع الهوى فيه، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٥)؛ وهم مأمورون بتبليغها وعدم كتمانها، حتى فيما يكون عتاباً من الله لهم، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦)، فهم برحمة من الله معصومون في التبليغ من الإقرار على خطأ وكذا النسيان إلا إن أراد الله أن ينسيه شيئاً قد نُسخ، وكذلك عُصَمُوا من الخيانة والكتمان في ذلك، وهذا محلُّ إجماع، وما دون ذلك ففيه نزاع، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع) (٧).

والذي عليه سلف الأمة وتشهد له الأدلة عصمتهم من الشرك ومن الكبائر دون الصغائر، ومعصومون من قبائح الذنوب، ومن الإقرار على الذنوب مطلقاً، وإنهم إن وقع منهم زلات من جنس ذلك فإنهم يتداركونها بالتوبة ويصبح حالهم بعد الذنب أكمل من حاله قبله، وهم أيضاً غير معصومين مما يعرض على الإنسان من الأعراض البشرية كالخوف والغضب والنسيان في غير تبليغ الدين و أمور التشريع. (٨)

(١) سورة الكهف: الآية ١١٤.

(٢) سورة طه: الآية ٢-٣-٤.

(٣) سورة المائدة: الآية: ١٤٨.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٥) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٢/١٠).

(٦) انظر "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام (٣١٩/٤)؛ و"منهاج السنة النبوية" لابن تيمية (٤٧٢/١)، و"الرسائل والرسالات" للأشقر (٩٨-١٠٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام.. وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)^(١).

٥- النظر في دعوة الرسل وما يأتوا به من الأمر والنهي:

فالرسل عليهم الصلاة والسلام رغم تفاوت أزمانهم وبعد أماكنهم، قد اتفقت دعوتهم، فكلهم بُعثوا بالإسلام، وأوصوا به، قال تعالى في وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لبنيه: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣)، وكلهم يأمرون بالتوحيد وينهون عن الشرك، ﴿يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤)، وكلهم يُصدّق بعضهم بعضاً، ويؤمن بعضهم ببعض، وقال سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءِ اتَّيْتِكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٥)، وجاء عن عيسى عليه السلام تصديقه لمن قبله وتبشيره لمن بعده: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٦)؛ وهم قد اتفقوا كذلك في أصول الإيمان، فهم يدعون إلى الإيمان بالله، واليوم الآخر وبقية أركان الإيمان، و أصول شرائع الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج، و أمهات محاسن الأخلاق، وينهون عن المعاصي والآثام، وقد استدللَّ النَّحَاشِيُّ بهذا المسلك على نبوة نبينا محمد ﷺ حيث قال جعفر بن أبي طالب للنحاشي: "أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيءُ الجوار، ويأكلُ القويُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرفُ نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده ونخلعُ ما كنا نحن نعبدُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء

(١) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٩/٤)، و"النبوات" لشيخ الإسلام (٨٧٤/٢).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٩.

(٥) سورة آل عمران: رقم ٨١.

(٦) سورة الصف: الآية ٦.

الأمانة وصلية الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدّماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعُدّد عليه أمور الإسلام فصدّقناه وأمّنّا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحلّ ما كنا نستحل من الخبائث ... فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟... فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقراه عليّ. فقرأ عليه صدرا من كهيعص... فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة".^{(١)(٢)}

٦- سنة الله تعالى في تصديق أنبياءه ورسوله بتأييدهم ونصرهم و حسن عاقبة اتباعهم وسوء عاقبة

مكذبيهم:

فمما يستدل به على صدق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو ما سنه الله تعالى في تصديقه لأنبياءه ورسوله، حيث إن الله تعالى يُظهر صدقَه وآياته، ويؤيّدُه ويحفظه ويكفيه، وأنّه يُبقي دعوته ويرفعها، ويجسّد عاقبة أنصاره وأتباعه وينجيهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدْنَاهُمْ لَغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^(٣) وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾^(٤)، وأمّا أعداء الرُّسل ومكذّبوهم فقد أبقي الله من آثار عقوبته لهم مما يشاهد بالأبصار، وتواترت عليه النقول والأخبار عند أهل الملل وغيرهم، كإهلاك قوم فرعون وغرقهم، و ما يرى من آثار هلاك قوم ثمود في المدائن، وآثار قوم لوط عليه السلام وغيرهم، قال ﷻ: ﴿وَإِن لُّوطًا لِّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٣﴾﴾^(٥) إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٧٧﴾ وَيَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾^(٥) وهذا لا يفعله الله تعالى العليم الحكيم مع المتنبي الكاذب

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٢٦٦/٣-رقم ١٧٤٠) وقال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق فقد روى له مسلم متابعه، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تديسه.

(٢) انظر "شرح الأصبهانية" (٥٤٩)، و "النبوات" (١٨٨٦-٨٨٧).

(٣) سورة الصافات: الآيات ١٧١-١٧٢-١٧٣.

(٤) سورة يونس: الآية ١٠٣.

(٥) سورة الصافات: الآيات ١٣٣ إلى ١٣٨.

الذي لا بد أن يكشفَ كذبه وفجوره ويفضحَه بين الناس، ثم ما يلبث أن ينتقم الله منه كما ينتقم من كلِّ أفاكٍ أثيم، وهذا ما فعله بالمتنبئين الكذَّابين كمسيلمة الكذَّاب والأسودِ العنسي وسجاح، وقد قال تعالى:

﴿لَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ﴾ (١)(٢)

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ إلى ٤٧.

(٢) للاستزادة انظر: "شرح الأصبهانية" (ص ٥٦١)، و"النبوات" (٢/ ٩٥٨-٩٥٩).

المطلب الثالث: إثبات نبوة عيسى ﷺ وأنه من أولي العزم من الرسل عليه الصلاة والسلام :

فإن من مقتضيات الإيمان بالله ﷻ الإيمان بأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، والإيمان بهم جميعاً بلا تفریق بينهم سواء قُصَّ علينا ذكرهم أم لا، ومن الذين أمرنا بالإيمان به من النبيين، و اعتقاد تفضيله وتمييزه من المرسلين سيدنا عيسى عليه ﷻ، فهو من أولي العزم من الرسل المفضّلين عند رب العالمين قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾^(١)، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على نبوة عيسى ﷻ وأنه مرسل من عند الله تعالى، وفي سنة النبي ﷺ الكثير من الأحاديث الدالة على ذلك ومن ذلك ما رواه عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله »^(٣) .

و في نصوص العهد الجديد من كتاب النصرارى المقدس ما يدل على أنه نبي مرسل من عند الله تعالى فمن تلکم النصوص :

١- "ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلةً من هذا فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل" ^(٤).

٢- قول عيسى عليه السلام: « وهذه هي الحياة الأبدية، أن تعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع الذي أرسلته»^(٥).

٣- وقوله: "فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً: « تعرفوني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني»^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/١٦٥-رقم ٣٤٣٥) ، وكل الأحاديث الواردة في الرسالة تثبت نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام .

(٤) إنجيل متى [١١/٢١].

(٥) إنجيل يوحنا [١٧].

(٦) إنجيل يوحنا [٢٨/٧-٢٩].

ولا يؤمن بهذا المعتقد-أي الإيمان بنبوة عيسى ﷺ وأنه عبدٌ مرسلٌ من عند الله تعالى وليس إلهاً- يُعبدُ إلاَّ المسلمون وفرقةٌ من فرق النصارى وهي فئة الموحدين من النصارى تدعى الآريوسية ، وهي فرقة نصرانية تعتقد أن الله واحد، وأن المسيح رسول الله، وترفض التثليث، وتتمثل في كنيسة (جماعة دينية) تؤمن بالوحي والعبادة وعندهم محدثات وبدع كثيرة ولا يعترفون بنبوة محمد ﷺ ، وهم متفرقون في الولايات المتحدة ورومانيا وغيرها من الدول وقد، أصابهم كثير من الاضطهاد والقتل والتشريد، لذلك يخفى أمرهم على كثير من الناس، وإن كان أتباعهم الآن يختلفون عما كان عليه أسلافهم^(١).

(١) وهي نسبة إلى الأسقف الليبي (آريوس) الذي درس على تلميذ بولس السميساطي وهو (لوقيانوس)، وكان آريوس يعلم بأن الله إله واحد غير مولود، أزلي، أما الابن فليس أزلياً، بل وجد وقت لم يكن الابن فيه موجوداً، وهو خرج من العدم مثل غيره من المخلوقات حسب مشيئة الله، فهو ليس إلهاً، ولا يملك شيئاً من الصفات الإلهية، إلا أن الله منحه مجداً جعله فوق كل الخلائق ، واعتقادات أخرى غير ذلك ، ثم اعتقد لأجلها مجمع نيقية سنة = (٣٢٥) م، بأمر الإمبراطور قسطنطين للنظر فيها وغيرها من المذاهب ، التي كان يتوزع إليها النصارى في ذلك الوقت، وكان من أهم ما قرر هذا المجمع هو رفض اعتقاد الحزب الآريوسي ، والحكم على آريوس بالابتداع واللعن ورفضه من الكنيسة ، انظر "مصادر النصرانية" عبدالرزاق عبد المجيد أيارو (ص٧٣٥-٧٣٩)، وانظر بتوسع كتاب "عيسى المسيح والتوحيد - عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحدين الأوائل والأواخر -" لمحمد عطا الرحيم، ترجمة عادل محمد حامد (ص٧٩-١١٩) .

المبحث الثاني: ما ورد في دلائل نبوة عيسى عليه السلام:

المطلب الأول: ما ورد في الاستدلال بحال نبي الله عيسى عليه السلام وصفاته:

- ١- الإرهاصات التي تكون قبل مولده عليه السلام .
- ٢- ولادته من غير أب .
- ٣- التكلم في المهد .
- ٤- صفاته الخلقية .
- ٥- صفاته الخلقية .

الأول: الإرهاصات التي تكون قبل مولده عليه السلام:

يذكر أهل العلم أن من دلائل النبوة الدالة على نبوة النبي الصادق، الآيات التي تكون قبل ولادتهم، وقبل إنبائهم، وقد ذكرت أنواعا منها، وقد ذكر مما وقع لعيسى عليه السلام أمران:

١- سجود يحيى عليه السلام في بطن أمه لعيسى عليه السلام وهو في بطن أمه مريم عليها السلام:

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، قد أخرج ابن جرير أثرًا بسنده موقوفًا على ابن عباس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: (كان عيسى ويحيى ابني خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك، فذلك تصديقه بعيسى سجوده في بطن أمه وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ويحيى أكبر من عيسى)^(٢). وأخرج ابن جرير أثرًا مقطوعًا عن السدي^(٣) قال:

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٢) "تفسير الطبري" (٢/٢٥٣)؛ قال ابن كثير في "تفسيره": (قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين قال: قرئ على الحارث بن مسكين وأنا أسمع، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال: قال مالك رحمه الله: بلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة، وكان حملهما جميعًا معًا، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى أن ما في بطني يسجد لما في بطنك)، انظر "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٥/٢٢١).

(٣) السدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي مولاهم الكوفي الأعور وهو السدي الكبير، كان يقعد في سدة باب الجامع فسمى السدي. روى عن خلق من الصحابة، قال سلم بن عبد الرحمن مر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر لهم القرآن

(لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى، فقالت امرأة زكريا: يا مريم استشعرتُ أني حبلى، قالت مريم: استشعرت أني أيضا حبلى، قالت امرأة زكريا: فياني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك) ^(١).

٢- نكوس الأصنام وسقوطها:

ورد عن وهب بن منبه قال: (لما وُلد عيسى عليه السلام أتت الشياطينُ إبليسَ، فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها، فقال : هذا حادث، مكانكم؛ وطار حتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئا، ثم جاث البحار فلم يقدر على شيء، ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد عند مزود حمار، فإذا الملائكة قد حفت حوله، فرجع إليهم فقال: إن نبيا قد ولد البارحة، وما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذه، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن اتوا بني آدم من قبل الخفة ، والعجلة) ^(٢).

الثاني : ولادته من غير أب:

في ظلام المادية البحتة، والركون إلى الأسباب الحسية، وضعف الإيمان بالغيب الذي انتشر في يهود بني إسرائيل، اقتضت حكمة الله من خلق إنسان بلا أب، لكي تظهر قدرة الله على خلق كل شيء، بأسباب وبلا أسباب، وإرادته النافذة التي لا يعجزها شيء، قال ابن القيم: (ولهذا خلق سبحانه النوع الإنساني أربعة أقسام: أحدها: لا من ذكر ولا أنثى، وهو خلق أبيهم وأصلهم آدم. والثاني: من ذكر بلا أنثى، كخلق أمهم حواء من ضلع من أضلاع آدم، من غير أن تحمل بها أنثى، ويشتمل عليها بطن. والثالث: خلقه من أنثى بلا ذكر، كخلق المسيح عيسى ابن مريم. والرابع: خلق سائر النوع الإنساني من ذكر وأنثى. وكل هذا ليدل على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وكمال حكمته) ^(٣)؛ فقص الله علينا في كيفية خلق عيسى

عليه السلام فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ

فقال: أما أنه يفسر تفسير القوم. وقال أبو طالب عن أحمد: ثقة، قال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق. توفي سنة سبع وعشرين ومائة؛ انظر: "تهذيب التهذيب" لابن حجر (٣١٣/١)؛ و"تهذيب الكمال" للزمري (١٣٢/٣).

(١) "تفسير الطبري" (٢٥٣/٣)، وقال الحاكم في "المستدرک على الصحيحين" (٦٤٨/٢): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) "تفسير الطبري" (٢٤٠/٣)، وتفسير عبدالرزاق (١١٩/١).

(٣) "طريق المحررتين وباب السعادتین" لابن قيم الجوزية (١٢١/١).

(٤) سورة آل عمران: الآيات ٤٥ إلى ٤٧.

دُونِهِمْ حَمَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

فخلق الله عيسى عليه السلام بكلمة كن التي بها يكون ما أراد الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢).

ومن الأحاديث الثابتة في أنه خلق بالكلمة :

١- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». (٣)

٢- وفي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهدي صبيبا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله...». (٤)

٣- وقد جاء فيما روته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حينما كانت في أرض الحبشة ، عن جواب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي حين سأله: «ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت : فضرب النجاشي يده على الأرض، فأخذ منها عودا ، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود...» (٥)

(١) سورة مريم: الآيات ١٦ إلى ٢١ .

(٢) سورة يس: الآية ٨٢ .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/١٦٥-رقم ٣٤٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٦/٨٤- رقم ٤٧١٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/١٨٥- رقم ١٩٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٧/١٧٤)؛ والبيهقي في "الكبرى" (٩/٢٤٢- رقم ١٨٤٢٦) .

ومن الآثار الواردة في أنه خلق بالكلمة :

١- أورد البخاري في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال أبو عبيد: " {كلمته} {كن فكان}. (١)

٢- وقد ورد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: هو قوله: كن ، فكان. (٢)

٣- عن محمد بن جعفر بن الزبير في قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ

اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: " (٣) يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير

بشر، أي إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون، مما يشاء ، وكيف يشاء ، فيكون ما أراد" (٤).

٤- عن شاذ بن يحيى (٥) يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ الْفَآهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: ليس الكلمة

صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى " (٦) (٧)

(١) أورد البخاري في "صحيحه" (٤/١٦٥-) في ترجمة باب قوله تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ .. } .

(٢) انظر "تفسير ابن أبي حاتم" (٤/١١٢٣)؛ "تفسير عبدالرزاق" (ص ٤٨٥- رقم ٦٥٨)، و"تفسير ابن جرير" (٥/٤٠٦-٤٠٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٥ .

(٤) "تفسير ابن جرير" (٥/٤١٥)؛ و"تفسير ابن المنذر" (١/٢٠٤).

(٥) شاذ بن يحيى الواسطي، روى عن: وكيع بن الجراح ونزل عليه وكيع حين خرج إلى عبادان، شيخ صدوق، قال أبو داود: سمعت أحمدا قيل له: شاذ بن يحيى؟ قال: عرفته، وذكره بخير. روى له أبو داود في كتاب "المسائل". انظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي (٥/٦٨٠)؛ و"تهذيب الكمال" للمزي (١٢/٣٤١).

(٦) "تفسير ابن أبي حاتم" (٤/١١٢٣).

(٧) قد جاء في تفسير قوله تعالى: { وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ .. } ثلاثة أقوال ذكرها ابن جرير رحمه الله في تفسيره، والمذكور هو الأصوب، وهو ما رجحه أئمة السلف كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية، وما يظهر من صنيع الإمام البخاري رحمه الله في ذكر هذا القول في صحيحه عند ترجمته للباب، وسيتم تفصيله في الفصل الثالث.

الثالث: التكلّم في المهد :

أخبر سبحانه عن تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد، حيث أُخبرت مريم عليها السلام من قبل الملائكة عندما بشرت بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصُّبْحِ ﴾^(١)، وقد ذكر الله تعالى قصة الصديقة مريم عليها السلام حينما حملته، وعند ولادته، كانت تتمنى أن تكون نسيا منسيا، فلما جاءت به أمام قومها غير مكترثة ولا مبالية، ولكنها واثقة بربها الذي سيرتها، فاستنكروا ذلك منها و قالوا لها ما قالوا، فأنطق الله ابنها عيسى عليه السلام آية من آيات نبوته وبراءة لأمه، قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾^(٢) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا^(٣)، وقد ذكر الله تعالى هذه الآية والمعجزة الدالة على نبوته في معرض منته سبحانه على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، فيما يكون يوم العرض والحساب، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾^(٤)

ومن الأحاديث : ١- ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال أجيبيها، أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته...» الحديث .^(٤)

٢- وما جاء أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل حينما يأتون عيسى عليه السلام فيقولون: « يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد...» الحديث.^(٥)

(١) سورة آل عمران ، آية (٤٦)

(٢) سورة مريم ، آية (٢٩)

(٣) سورة المائدة ، آية (١١٠)

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٦٥/٤-رقم٣٤٣٦)، ومسلم في "صحيحه" (١٩٧٦/٤-رقم٢٥٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٧١٢/٦-رقم٤٧١٢)؛ ومسلم في "صحيحه" (١٨٤/٦-رقم١٩٤).

ومعنى المهد أي: مضجع الصبي وفراشه في وقت رضاعه^(١)، فهو يتكلم في هذا الوقت المبكر الذي لا يفسح الأطفال في هذا الوقت بأي كلمة مفهومة، وذلك لأجل أن يبرأ أمه مما قذفها بها المفترون عليها من اليهود المحرمين، وهي شهادة لها بالبراءة والحصانة والعفاف، وكل نعمة أنعمها سبحانه على عيسى ﷺ فهي نعمة لأمه ديناً ودنياً، ودلالة كذلك على نبوته وأنه سيكون رسولا لبني إسرائيل^(٢)، ومن العجيب أن النصارى ينكرون هذه الآية و المعجزة العظيمة، بل يقدحون في صدق نبوة نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام، لعدم ورود هذه المعجزة في أناجيلهم و أسفارهم المحرفة؛ قال الشيخ ابن عاشور^(٣) في ذلك:

(كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها، وهو طي يُتعجب منه، ويدل على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيّه ﷺ).^(٤) وقد ذكر الجاحظ رحمه الله^(٥) ردا عظيما مفحما لهم بعد أن أورد شبهتهم الضالة، فأسقط نكيرهم وتشنيعهم على نبينا محمد ﷺ، وفضح شهودهم الذين يحتجون بهم على إنكار هذه المعجزة، وعلى تكذيبهم للنبي ﷺ، ولولا خشية الإطالة لعرضت الشبهة وجوابها لقوة رده وعظيم بيانه رحمه الله^(٦). ومن ردود أهل العلم عليهم تخجيل الشيخ أبي البقاء الهاشمي حيث يقول: (فضيحة أخرى: قال النصارى: إن المسيح لم يتكلم في المهد ولم ينطق ببراءة أمه مريم صغيراً، بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه ييوسف النجار وتحكم بأنه ولد زنا. فلزم على سياق قولهم أنه لم تلق أمٌ بسبب ولدها من الشر ما لقيت مريم من المسيح؛ لأنه فضحها وهتك سترها ودعا إلى رميها بالزنا ولم يدفع عنها بحجة تقطع شغب اليهود وهو قادر على ذلك... فبمقتضى قولهم إنه كان مشؤوماً عليها، والله تعالى يقول في حقه: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾).^(٧)

(١) فسرہ ابن عباس وغیرہ، انظر: "تفسير ابن جرير" (٤١٢/٥)؛ وانظر "لسان العرب" (٤١٠/٣)؛ و"تخذيب اللغة" للأزهري (١٢٧/٦).

(٢) انظر "تفسير ابن جرير" (٤١٢/٥)؛ و"نظم الدرر" للبقاعي (٣٣٩/٦).

(٣) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. ولد سنة ١٢٦٩هـ، عُيِّنَ عام ١٩٣٢م شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء الجمعيتين العرييين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن؛ توفي سنة ١٣٧٧هـ. انظر "الأعلام" للزركلي (١٧٤/٦).

(٤) "التحرير والتنوير" لابن عاشور (٩٨/١٦).

(٥) عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ. البصري المتكلم المعتزلي، صاحب التصانيف المشهورة. أخذ عن أبي إسحاق النظام، كان واسع النقل كثير الإطلاع، من أدكباء بني آدم وأفرادهم. قال أبو العباس ثعلب: ليس بثقة ولا مأمون. وقال عنه الذهبي: كان ماجنا، قليل الدين، له نوادر. مات سنة خمسين ومئتين. انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٢٦/١١).

(٦) "المختار في الرد على النصارى" لأبي عمرو الجاحظ (٦٩-٧١).

(٧) "تخجيل من حرف التوراة والإنجيل" لأبي البقاء الهاشمي (٦١٨-٦١٩).

الرابع: صفاته الخلقية : ١- صلاحه وأنه رحمة للخلق:

قال تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾^(٢)؛ فوصفه سبحانه وتعالى بالصلاح في القول والعمل، فله علمٌ صحيح وعمل صالحٌ، فهو من عداد الصالحين وأوليائهم، وهو مع ذلك فهو زكيٌّ مطهَّرٌ من الذنوب، وأنه رحمة للخلق كما هو حال الرسل عليه الصلاة والسلام إذ يعثمهم الله ﷻ للناس رحمة ونورا وهداية لهم، قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾^(٣)، أي رحمة لك ونعمة لمن آمن به واتبعه على دينه، وهو رحمةٌ كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^(٤).

٢- بركته ونفعه للخلق: قال تعالى ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ (٣١: مريم) أي نافعاً بالعلم، معلماً للناس الخير أين كنت وفي أي زمان كنت، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، فكلُّ من جالسه أو اجتمع به نالته بركته وسعد بصحبته، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم الذين يعلمون الناس الخير^(٥).

٣- بره بوالدته وتواضعه: كما أخبر سبحانه عنه بقوله: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾^(٦)، أي: أن الله وصَّاني أيضاً، أن أبرَّ بوالدتي، وأُحسن إليها غاية البر والإحسان لفضلها وشرفها وكونها ولدتي، ولست بعاق لها؛ ولم يجعلني مستكبراً على الله تعالى في طاعته وعبادته وأمره ونهيه بل جعلني متواضعاً ذليلاً خاشعاً له سبحانه، ولم يجعلني جباراً متعالياً على والدتي بل متواضعاً لها ولعباده، غير شقي في دنياي وآخري بل من السعداء في الدنيا والآخرة^(٧).

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٦

(٢) سورة مريم: الآية ١٩ .

(٣) سورة مريم: الآية ٢١ .

(٤) انظر " تفسير الطبري" (١٦٥/١٨)، و"تفسير البغوي" (٢٢٤/٥)، و"تفسير ابن كثير" (٢٢٠/٥)، و"تفسير ابن سعدي" (ص ٤٩١).

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) سورة مريم: الآية ٣٢ .

(٧) "انظر: "تفسير الطبري" (١٩٢/١٨)، و"تفسير ابن كثير" (٢٢٩/٥)، و"توفيق الرحمن في دروس القرآن" ليفصل ابن مبارك (٥٢/٣).

٤- الصدق و الزهد:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم عليه السلام » فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: " يا رسول الله أفنعرف ذلك له ؟ قال: « نعم فاعرفوه له » ^(١).

٥- تعظيم الله تعالى:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو! فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني » ^(٢) ، قال ابن القيم رحمه الله: (وقد تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جَوَزَ أن يكون قد أخذ من ماله، فظنَّه المسيح سرقةً وهذا تكلفٌ، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام أجلاً وأعظمَ من أن يحلف به أحدٌ كاذباً، فلمَّا حلف له السَّارق، دار الأمر بين تهمته وتهمته بصره، فردَّ التُّهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين كما ظنَّ آدم عليه السلام صدقَ إبليس لما حلف له بالله ﷻ وقال: « ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى كاذباً » ^(٣)؛ وهذا أيضاً يدل على حسن ظنِّه بالرجل أنَّه لا يمكن أن يحلف كاذباً لما في قلبه من تعظيم الله، فظنَّ أن كلَّ النَّاس يعظِّمون الله ولا يحلفون به كذباً .

٦- حسن منطقه وكلامه:

جاء في الأثر عن يحيى بن سعيد ^(٤): (أن عيسى ابن مريم لقي خنزيراً بالطريق فقال له: انفذ بسلام، فقيل له: تقول هذا الخنزير؟ فقال عيسى إني أخاف أن أعود لساني المنطق بالسوء) ^(٥).

(١) رواه الترمذي في "السنن" (٥٦٦/٥-رقم ٣٨٠٢) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه "؛ وضعفه الألباني في "ضعيف الترمذي" ٥١٠ / ١

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٦٧/٤-رقم ٣٤٤٤)، ومسلم في "صحيحه" (١٨٣٨/٤-رقم ٢٣٦٨).

(٣) "إغائة اللهفان من مصائد الشيطان" لابن القيم (١١٥/١).

(٤) يحيى بن سعيد بن فروخ الإمام العلم سيد الحفاظ أبو سعيد التميمي مولاهم البصري القطان، ولد سنة عشرين ومائة؛ إمام أهل الحديث غير مدافع، ومنه يؤخذ العلم، وعليه المعول في معرفة ثقات المحدثين وضعفائهم، وإليه المنتهى في التشدد في إثبات الصحيح، وكان في الفروع على مذهب أبي حنيفة. قال أحمد: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان. وقال ابن معين قال لي عبد الرحمن: لا ترى بعينيك مثل يحيى القطان. وقال ابن المديني: ما رأيت أحدا أعلم بالرجال منه. وقال بندار: هو إمام أهل زمانه. قال النسائي: أمنا الله على حديث رسول الله ﷺ مالك وشعبة ويحيى القطان. وقال العجلي: بصري ثقة، نقي الحديث، كان لا يحدث إلا عن ثقة. وقال أبو زُرعة: يحيى القطان من الثقات الحفاظ. وقال أبو حاتم: ثقة حافظ. مات يحيى بن سعيد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر "تهذيب الكمال" للمزي (٣١/٣٢٩).

(٥) "موطأ الإمام مالك" (٥/١٤٣٤-رقم ٣٦٠٩)، وهو أثر مقطوع؛ انظر "جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد" (٤/١٤٢-رقم ٩٧١١).

الخامس : صفاته الخَلْقِيَّة:

- أما صفاته الخَلْقِيَّة فقد وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ في شكله وصفته الخَلْقِيَّة، من هذه الأحاديث :
- ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ أنه قال في الليلة التي أسري فيها: « ورأيت عيسى رجلا مربوعا، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس..»^(١) الحديث .
- وجاء عنه في رواية أخرى أنه قال ﷺ: « ورأيتُ عيسى شابا أبيض، حديد البصر، مبطن الخلق »^(٢).
- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ ليلة أسري به ﷺ أنه قال: « ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس»^(٣)
- و ورد عن ابن عمر ؓ رؤيا للنبي ﷺ في منامه حيث قال: « بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدمُ سبطُ الشَّعر ينطف [أو يُهراق] رأسه ماءً، قلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم « الحديث^(٤).

وهذه الأحاديث تدل على ما يلي :

- ١- وصفٌ يتعلّق بجسده وجسمه ﷺ أنه كان مربوع الخلق، قال أهل العلم: المربوع : هو الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير الحقير^(٥).
- ٢- ووصفٌ يتعلّق بشعره، أنه كان سبط الشعر قال أهل اللغة : (الشعر السبط هو الشعر المنبسط، المسترسل ليس فيه تكسُّر)^(٦).
- ٣- نضارته وجهه عليه السلام وصفاءه: وذلك في قوله « كأنما خرج من ديماس » وفي رواية: « يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء ، أو يهراق رأسه ماء »^(٧).

(١) أخرجه البخاري في " الصحيح " (١١٦/٤-رقم ٣٢٣٩)؛ ومسلم (١٥١/١-رقم ٢٦٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٤٧٧/٥-رقم ٣٥٤٦) وقال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح كسابقه، وصححه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢٦/٥).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٦/٤-رقم ٣٤٣٧)، ومسلم في "الصحيح" (١٥٤/١-رقم ١٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٧/٤-رقم ٣٤٤١)، ومسلم في "الصحيح" (١٥٥/١-رقم ١٦٩).

(٥) انظر "فتح الباري شرح صحيح البخاري" للحافظ ابن حجر (٥٦٩/٦)، و"شرح النووي على مسلم" (٩١/١٥)؛ وانظر: "لسان العرب" لابن منظور (فصل الراء، ١٠٠/٨)؛ و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي (فصل الراء، ٧١٨/١).

(٦) انظر: "لسان العرب" (فصل السين المهملة، ٣٠٨/٧)، و"القاموس المحيط" (فصل السين المهملة، ٦٦٩/١).

(٧) مضى في الأعلى تخريج الحديثين .

قال ابن حجر رحمه الله: (لكن المراد من ذلك وصفه بصفاء اللون، ونضارة الجسم، وكثرة ماء الوجه، حتى كأنه كان في موضع كين فخرج منه وهو عرقان)^(١).

٤ - وفي صفة لونه ﷺ أنه أحمر :

ورد في صفة لونه ﷺ أنه أحمر وهو عند العرب الأبيض، وورد أيضا وصفه بالآدم، أي : الأسمر، كما ورد في الأحاديث السابقة مما يوهم تعارضا بينها، وقد قال أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات أن كونه آدم أو أحمر-والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة- والآدم الأسمر بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر، وقد وافق أبو هريرة ؓ على أن عيسى ﷺ أحمر، فظهر أن ابن عمر ؓ أنكر شيئا حفظه غيره، وأما قول الداودي أن رواية من قال: آدم أثبت فلا يُدري من أين وقع له ذلك، مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر وقد وقع في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى إنه مربوع إلى الحمرة والبياض^(٢).

وقال النووي رحمه الله: (وأما وصف عيسى صلوات الله عليه وسلامه في هذه الرواية وهي رواية أبي هريرة ﷺ بأنه (أحمر) ووصفه في رواية ابن عمر ؓ بعدها بأنه (آدم)، والآدم الأسمر، وقد روى البخاري عن ابن عمر ؓ أنه أنكر رواية (أحمر) وحلف أن النبي ﷺ لم يقله، يعني: وأنه اشتبه على الراوي، فيجوز أن يتأول الأحمر على الآدم، ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة، بل ما قاربها والله أعلم)^(٣).

(١) "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني (٦/٤٨٤)؛ والكبر: جمع أكنان وهي الغيران ونحوها يستكئ فيها، ومثله الأكنة وهو من الغطاء والتستر، انظر: "لسان العرب" (١٣/٣٦١)، تاج العروس (مادة كتن ٣٦ / ٦٤-٦٨)

(٢) أفاده الإمام ابن حجر في "فتح الباري" (٦/٤٨٦).

(٣) "شرح النووي على صحيح مسلم" (٢/٢٣٣).

المطلب الثاني: ما ورد في الاستدلال بآيات ومعجزات عيسى عليه السلام:

١- أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله

٢- إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ﷺ.

٣- إحياء الموتى .

٤- الإخبار بالمغيبات .

٥- نزول المائدة

الأول: أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله :

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ^(١)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ^(٢) .

من المعجزات العظيمة والآيات الباهرة التي خصَّ الله بها عيسى عليه السلام من سائر الأنبياء والمرسلين، آية خلقه للطين، أي تصويره و تشكيكه من الطين كهيئة الطير، وليس هنا الإعجاز ولكن الإعجاز في نفخه في هذا الطير فيكون طيرا عيانا بإذن الله تعالى، تأييدا من الله تعالى له وقوة له في دعوته، و قرأ بعض القراء الطير على الجمع و بعضهم على التوحيد - أي طائر- ^(٣)، والأكثر أن الطائر هو الخفاش، وقال الحسن: أنه الحمام ^(٤).

ومن الآثار التي تفيد في هذا المعنى :

١- ما ورد عن محمد ابن إسحاق ^(٥) " أن عيسى عليه السلام جلس يوما مع غلمان من الكتّاب، فأخذ طينا، ثم قال: « أجعل لكم من هذا الطين طائرا؟ » قالوا: وتستطيع ذلك؟ قال: « نعم بإذن ربي »، ثم هياه حتى

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩ .

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠ .

(٣) انظر: "تفسير الطبري" (٤٢٥/٦ وما بعدها)، و"تفسير البغوي" (٣٩/٢)، و"تفسير ابن كثير" (٤٤/٢)، و"تفسير السعدي" (ص ٢٤٨).

(٤) المصادر السابقة، وانظر: "تفسير ابن المنذر" (٣٠٧/١-٣٠٨).

(٥) أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان المطلبي بالولاء المدني صاحب المغازي والسير، ثبت في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق وذكره البخاري في تاريخه؛ وروي عن الشافعي أنه قال: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. وقال سفيان بن عيينة: ما=

إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال: «كن طائرا بإذن الله»، فخرج يطير بين كفيه، فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم، فأفشوه في الناس، وترعرع، فهمت به بنو إسرائيل، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمير لها ثم خرجت به هاربة^(١).

٢- ما جاء عن وهب بن منبه: "كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى"^(٢).

ومن الحكم العظيمة التي أوردها العلماء في هذه الخصيصة التي اختص بها عيسى عليه السلام من كونه يصنع ويصلح من الطين طيرا فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله :

١- أن الله يُظهر لعباده قدرته على البعث كما ورد ذلك عن ابن اسحاق قوله: (ثم جعل علي يديه - يعني عيسى - أمورا يدل بها على قدرته في بعثه، بعث من يريد أن يبعث بعد الموت وخلقه ما شاء أن يخلق من شيء يرى أو لا يرى، فجعله ينفخ في الطين يكون طيرا بإذن الله)^(٣).

٢- وهذه المعجزة التي هي أنه بعد نفخ عيسى عليه السلام يصبح طائرا ذا روح إنما هو بأمر الله وإذنه، لحكمٍ عظيمةٍ، وهو لا يدلُّ على خصوصية عيسى عليه السلام في تكوُّنه من نفخ جبريل عليه السلام، بل لو شاء الله لجعله الإحياء بنفخ أي شخص، وهي مناسبة وتشبه في كون خلق عيسى من غير أب، كما قال ذلك الألويسي^(٤) في تفسيره^(٥).

وهذا الخلق من الله عَلَّمَهُ، كما قال القرطبي^(٦) رحمه الله:

= أدركت أحدا يتهم ابن إسحاق في حديثه. وقال شعبة بن الحجاج: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين، يعني في الحديث. توفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة، وقيل سنة خمسين. انظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٤/٢٧٦).

(١) "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٢٦/٦)، و"تفسير ابن المنذر" (٢٠٨/١-٤٨٨ رقم) وإسناده: حدثنا زكريا، قال: حدثنا أحمد بن الخليل، قال: حدثنا صدقة بن سابق، قال: قرأت على محمد بن إسحاق.

(٢) "تفسير البغوي" (٣٩/٢)، و"تفسير القرطبي" (٤/٩٤).

(٣) انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" (٦٥٥/٢) وإسناده: حدثنا أبي، ثنا الحسن بن الربيع، ثنا عبد الله بن إدريس، ثنا محمد بن إسحاق

(٤) الألويسي هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. ولد سنة ١٢١٧هـ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر سنة ١٢٦٢هـ إلى الموصل، فالأستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي سنة ١٢٧٠هـ، من كتبه: روح المعاني في التفسير. انظر "الأعلام للزركلي" (٧/١٧٦).

(٥) "تفسير الألويسي" (٧١/٢).

(٦) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، الإمام، العلامة، أبو عبد الله الأنصاري، الخرجي، القرطبي. المتوفى: ٦٧١ هـ؛ إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان؛ وهو كامل في معناه. وله كتاب "الأسنى في الأسماء الحسنى"، وكتاب "التذكرة"، وأشياء تدل على إمامته ودكائه وكثرة اطلاعه. انظر "تاريخ الإسلام" للذهبي (١٥/٢٢٩).

(وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله، كما أن النَّفخَ من جبريل والخلق من الله)^(١).

٣- أن هذا الخلق الذي هو التصوير محرم في الأصل وأهله أشد الناس عذاباً، و ليس بنفسه إعجاز لكونه مقدور لعامة الناس، بل هو ليس بمأذون إلا لعيسى عليه السلام، ولذلك أتمه الله بكون الطير صار حيا بنفخ عيسى عليه السلام فكان طيرا بإذن الله^(٢).

الثاني : إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى :

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾^(٤).

وفي حديث الشفاعة عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « ولكن انطلقوا إلى عيسى بن مريم فإنه يبرئ الأكمه والأبرص) الحديث^(٥).

المقصود أن عيسى عليه السلام كان من معجزاته شفاء وإبراء الأكمه والأبرص، وكان يداويهم بدعائه لهم على شرط الإيمان، كما نقل ذلك ابن جرير و البغوي عن وهب بن منبه^(٦).

الأكمه هو الأعمى، وقيل الذي يُولد أعمى، وقيل هو الأعمش، و قيل الذي يرى ويصير بالنهار ولا يرى في الليل، و رجَّح الطبري أنه الأعمى أو الذي يولد أعمى^(٧)، وذلك أن الله عز وجل لا يحتاج على خلقه في آيات الأنبياء بما يمكن معارضته، فشفاء العمى و بُرؤه لا يستطيع الأطباء ادّعاء علاجه وخاصة لو وُلد أعمى كما فسره ابن عباس و قتادة، بخلاف العمش الذي يمكن للأطباء أن يعالجه بإذن الله تعالى.

(١) "تفسير القرطبي" (٩٤/٤).

(٢) انظر: "الجواب الصحيح لمن بدّأ دين المسيح" (٤٦/٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٩٣/١-رقم ١٥) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن؛ ورواه ابن حبان في "الصحيح"

(٦٤/١٤-رقم ٦٤٧٦) وصححه الشيخ الألباني في "ظلال الجنة تخريج أحاديث السنة لأبي عاصم" (٣٨٢/٢-رقم ٨١٢).

(٦) انظر: "تفسير البغوي" (٤٠/٢)،

(٧) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٢٨/٦)، و"تفسير البغوي" (٤٠/٢)، و"تفسير ابن كثير" (٤٤/٢)،

والأبرص: هو من أصيب بالبرص: وهو بياض يعتري الجلد، وقد ذكر العلماء أن عيسى ﷺ خُصَّ بإبراء هذين الداءين لأنهما أعيا الأطباء فعجزوا عن مداواتهما وعلاجهما، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطبُّ، فأراهم المعجزة من جنس ذلك تأييداً لنبوته وتصديقاً لرسالته^(١).

الثالث : إحياء الموتى بإذن الله :

ومن معجزاته عليه السلام إحياءه للموتى، كما قال سبحانه: ﴿وَأَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾^(٣) وفي حديث الشفاعة الذي مر: « فيقول موسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي ولكن انطلقوا إلى عيسى بن مريم ، فإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى؛ فيقول عيسى: ليس ذاكم عندي»^(٤) الحديث ، وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله تعالى، يدعو لهم، ونُقل أنه كان يصلي ويدعو لهم، فيستجيب الله له، فيحيوا من قبورهم بإذن الله وإرادته وقدرته^(٥).

وقال الألوسي: (وقيد الإحياء بالإذن كما فعل في الأول لأنه خارق عظيم يكاد يُتوهم منه ألوهية فاعله، لأنه ليس من جنس أفعال البشر)^(٦)؛ وسيأتي تفصيل هذا في موضعه في باب ما جاء عن عيسى عليه السلام في الإيمان بالله وتوحيده.

ومن أقوال أهل العلم في هذا الأمر مسائل :

١- أن آية إحياء الموتى من الآيات الباهرة والمعجزات العظيمة الدالة على نبوة عيسى عليه السلام، إذ إنَّ الأطباء لا قدرة لهم على مثل هذه الآيات، وفي هذا ردُّ على اليهود والكفار الذين أنكروا نبوة عيسى ورسالته ﷺ، قال ابن كثير: (ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه، فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله؛ ولهذا جاء في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ما من الأنبياء من نبيِّ إلا قد أُعطي من

(١) انظر "تفسير البغوي" (٤٠/٢)، و"زاد المسير" لابن الجوزي (٢٥٨/١).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٤) تقدم تخرجه ص ٧٤.

(٥) انظر: "تفسير الطبري" (٤٣١/٦).

(٦) "روح المعاني" للألوسي (١٦٢/٢).

الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^(١).

٢- أن من طرق القرآن التي بيّن الله فيها قدرته على إحياء الموتى وبعثهم جسدا وروحا، هو أن يقصّ الله على عباده صورا عمّن أحياهم بعد مماتهم، كما ذكر ذلك عن قوم موسى ﷺ الذين قالوا: أرنا الله جهرة، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾^(٢)، وغيرها من القصص؛ وكما أخبر عن المسيح عيسى عليه السلام أنه كان يجيي الموتى بإذن الله^(٣).

٣- في هذا ردُّ على منكري البعث الذين ينكرون قيام الأجساد كالفلاسفة الدهريين والطبائعين وأتباعهم من مشركي العرب والملاحدة، ومنهم من يشابههم في الإنكار بقوله: أن الله يخلق جسدا وروحا غير التي كانت تطيع وتعصي في الدنيا، بل يخلق بدنا وروحا غير تلك الروح والبدن من كل وجه، عليه يقع العذاب والنعيم، استبعادا لقدرته على ذلك، مع إقرارهم للمعاد، وهم ملاحدة الجهمية ومن وافقهم - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وليس ما قاله هؤلاء هو البعث والقيام الذي اتفقت عليه دعوة الرسل، ودلّ عليه القرآن والسنة وسائر كتب الله تعالى، بل إن الله يعيد هذه الروح وهذا الجسد وينعم المطيع و يعذب التي كفرت بعينها^(٤).

٤- واستدل النصارى الضالون بمعجزات عيسى عليه السلام - الدالة على نبوته وصحة رسالته - بما على ربوبيته واستحقاقه وصف الألوهية، وقد رد أهل العلم على هذه الشبهة الظاهر عورها وبطلانها على أن الرسل والأنبياء الذين ذكروا في كتبهم المقدسة أنهم فعلوا ما فعله المسيح عليه السلام، بل فعل بعضهم أعظم مما فعله عيسى عليه السلام ولم يزعموا فيهم الربوبية كموسى الكليم عليه السلام؛ قال المهتدي نصر بن يحيى المتطبب: (المسيح عليه السلام ما ادعى الربوبية ولا الألوهية، فإن كنتم مستدلين على ربوبيته بأنه أحيى الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء، وصير الماء خمرا، وكثّر القليل، فيجب أن ينظروا إلى كل من فعل مثل هذه الأمور، فتجعلونه ربا وإلهًا)^(٥).

(١) انظر: "تفسير ابن كثير" (٢٢٩/٤)، والحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨٢/٦-رقم ٤٩٨١)، ومسلم في "الصحيح" (١٣٤/١-رقم ١٥٢).

(٢) سورة البقرة: الآيات ٥٥-٥٦.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٤/٩)؛ و"تفسير الطبري" (٤٣٢/٦).

(٤) انظر "كتاب الفوائد" لابن القيم (ص ٥).

(٥) "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" للمهتدي نصر بن يحيى المتطبب (ص ١٠٤).

وقال أبو عبيدة الخزرجي في رده على أحد علماء النصارى: (ثم جعلت حجة على اجلال عيسى عن آدم والاعتلاء به إلى منزلة الألوهة، أنه أحيا ميتا، ولم ترد أن يكون الله تعالى قد جعل له ذلك برهانا على نبوته، ودلالة على صدق رسالته ... ثم قال .. وبإجماع من جميع الملل الثلاثة أن إلياس النبي أحيا الموتى، وكذلك اليسع، فلم تظلمون بعضا دون بعض؟!)^(١).

الرابع: الإخبار بالمغيبات :

قال الله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(٢)؛ فالمقصود أن من المعجزات والآيات البينات على نبوة عيسى عليه السلام، هو أنه كان ينبيء بالغيب الذي لا سبيل للبشر أن يعلموه إلا من الله ﷻ بالرسالة، فكان ينبيء بالغيب ابتداء من الله ﷻ لا كما يفعله المنجّمون والكهنة الذين يتوصّلون إليه بالحيل والنجوم والشياطين، فكان ينبيء ويخبر بما لم يحضره ولم يشاهده مما أكله الناس البارحة، وما خبّثوه ورفعوه من الطعام ولم يأكلوه؛ وكان ابتداء هذه الآية وهو غلام صغير كما ذكر ذلك السّدي وسعيد بن جبيرة وابن اسحاق فكان ﷺ يخبر الصبيان بما يأكلون، وما تدخر لهم أمهاتهم في بيوتهم^(٣)؛ وقيل إنه كان يخبر وينبيء بما يأكلون من المائدة، وما يدّخرون منها، قال : وكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدّخروا ، فادّخروا وخانوا، فجعلوا خنازير حين ادخروا، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم فإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) (٥).

أقوال أهل العلم في الإنباء بالغيب :

-وصف الله تعالى نفسه بأنّه عالم الغيب والشهادة، وأنّه يعلم ما نخفي وما نعلن، ويعلم السّرّ والنّجوى، وما بدا وما كُتم، وذكر عن نفسه أنه مختصّ بعلم الغيب، قال تعالى: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾^(٦)؛ ولا يُظهر على غيبه إلا من اصطفاهم الله من خاصّة عباده وهم الرسل سواء من الناس

(١) "بين الإسلام والمسيحية" لأبي عبيدة الخزرجي (ص ١٣٦-١٣٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٣) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٣٤/٦ وما بعدها)، و"تفسير ابن المنذر" (٢٠١/١)، و"تفسير البغوي" (٤٠/٢).

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٥.

(٥) انظر "تفسير ابن جرير" (٤٣٦/٦)، و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٥٦/٢)، و"فتح القدير" للشوكاني (٣٩٤/١).

(٦) سورة الرعد: الآية ٩.

أو من الملائكة؛ قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦) ﴿لَا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(١)، فيطلعهم الله بشيء من علم الغيب، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٢)؛ فقد اختص الله ﷻ بعلم مفاتيح الغيب، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)؛ وعن ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح البخاري، قال: قال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤)»^(٥)؛ قال الشيخ السعدي في تفسيره: (فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها، فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخبائيا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له)^(٦).

- إنَّ حال الأنبياء والمرسلين تجاه الغيب أنهم ينفون معرفة الغيب عن أنفسهم، فهم لا يعرفون مطلق الغيب، وهذا هو الأدب الحقيقي معهم، فهم عندما يثبتون أموراً وينفون أموراً عن الله ﷻ أو عن أنفسهم عليهم الصلاة والسلام أو عن غيرهم فلا يتقدم المؤمن بين أيديهم، وكأنهم أعلم منهم، ومخالفة هذا الأمر هو سبب ضلال أهل الكتاب كاليهود والنصارى الذين ادَّعوا في أنبيائهم ما لم يدَّعوه، بدعوى التواضع وعدم الفخر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقٍ إِن كُنتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(٧)؛ وقد اتَّبعهم في هذه المخالفة من غلا في النبي ﷻ ورفعه فوق منزلة العبودية والرسالة إلى مالا ينبغي إلا لله ﷻ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأفضل الخلق

(١) سورة الجن: الآية ٢٦ إلى ٢٧.

(٢) سورة الحج: الآية ٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٤) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١١٥/٦-رقم ٤٧٧٨).

(٦) "تفسير الكريم الرحمن" للشيخ ابن سعدي (ص ٦٠٨).

(٧) سورة المائدة: الآية ١١٦.

الرسول، والله سبحانه بعثهم مبشرين ومنذرين ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾، وجعلهم سفراء بينه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيهِ، ووعدهُ ووعدِهِ، وسائر كلامه سبحانه وتعالى. ولم يضمن الرسل للخلق لا رزقا ولا نصرا ولا هدى، بل قال أولهم نوح: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، وأمر خاتمهم وأفضلهم - صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليما - أن يقول ذلك، فقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (١) ...

-قد تقرّر سابقا أنّ الله قد يُطلع عباده المصطفين على بعض الغيب بما تقتضيه مشيئته وحكمته، وبناء على ذلك يُعلم أنه لا بدّ من الإيمان التّام بكلّ ما جاء عن الأنبياء والمرسلين من الغيب، ولا هدى ولا قبول لعبادة ولا وصول إلى الله وجنّته إلا بطريقهم والأخذ عنهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)، وأنّ العلم من غير طريقهم ما هو إلا تحيُّلات شيطانية ووساوس عقلية، قال شيخ الإسلام:

(ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد، لم يعرف ما خصّ الله به محمداً ﷺ إن لم يعرف ذلك من جهته؛ وكذلك لو نظر واستدلّ ماذا عسى أن ينظر، لم يحصل له المطلوب إلا بالتّعلم من جهته، ولا يحصل التّعلم المطابق النافع إلا مع العمل به) (٣).

المسألة الخامسة: نزول المائدة من السماء:

من المعجزات والآيات التي أيّد الله بها رسوله عيسى عليه السلام، نزول المائدة من السماء، وذلك كان بناء على طلب حواربي عيسى عليه السلام، حيث قالوا لما طلبوا نزول هذه الآية من السماء: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤)، لأن عيسى ﷺ ظنّ أنّهم طلبوها اقتراحا للآيات، وهذا ليس سبيل المؤمنين المتقادين لربهم ونبِيِّهم، فوعظهم بتقوى الله، وحدّتهم من طلبهم الذي أُهلك بسببه من كان قبلهم لما طلبوا الآيات وكفروا بها فكان بها هلاكهم، فأجابوه: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ

(١) "جامع المسائل" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٩١-٩٢).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢.

(٣) "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٤٣٠).

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٢.

صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾، فهم طلبوها لحاجتهم للأكل منها وليزدادوا يقينا وإيماننا مع إيمانهم، لا تعنتنا على ربهم، وليكونوا شهداء على أنها آية من الله ويشهدوا على نبوة عيسى عليه السلام (٢).

أقوال أهل العلم فيما يتعلق بآيات نزول المائدة :

١- قد ذكر علماء التفسير اختلاف القراءة في موضع قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾، فقرأ جماعة من الصحابة منهم عائشة رضي الله عنها والتابعين ومنهم سعيد بن جبير (٣) : (هل تستطيع ربك) بالتاء، وربك بالنصب، بمعنى هل تستطيع أن تسأل ربك؟ أو: هل تستطيع أن تدعو ربك؟ أو ترى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكرين أن الله ﷻ قادرٌ أن ينزل عليهم ذلك، وإنما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟ وقرأ عامة قراء المدينة والعراق (هَلْ يَسْتَطِيعُ) بالياء، و (رَبُّكَ) بالضم، بمعنى: هل ينزل علينا أو أنزل علينا، وهم يعلمون أنه قادر، ويقصدون أيستحيب لك ربك ويطيعك أن يُنزل علينا مائدة من السماء، وقد صوب ابن جرير والقرطبي هذه القراءة، لأن عيسى عليه السلام بعد طلبهم كره منهم ما قالوا واستعظمه، وأمرهم بالتوبة والتقوى ومراجعة الإيمان بالله ورسوله عليه السلام، ولا معنى في الأمر بالتقوى في القراءة الثانية، وقيل معناه: هل يقدر ربك، وأن هذا السؤال في ابتداء أمر هؤلاء الحواريون قبل استحكام معرفتهم بالله ﷻ؛ ولهذا قال عيسى عليه السلام في الجواب عند غلظهم وتجوزهم على الله ما لا يجوز: ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا تشكُّوا في قدرة الله تعالى (٤)، وقد رد كثير من السلف وأهل التأويل هذا المعنى؛ لأن الحواريين خلصاء الأنبياء وأنصارهم، وقد عرفوا من طريق الأنبياء ما ينبغي لله ﷻ وما لا ينبغي، إلا أن يكون صدر ممن كان معهم، كما صدر من حدثاء العهد عندما قالوا للنبي ﷺ: (اجعل لنا ذات أنواط) الحديث (٥). (٦).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٣.

(٢) انظر تفسير البغوي (٣ / ١١٧)، وتفسير ابن كثير (٣ / ٢٢٥).

(٣) سعيد بن جبير الوالي مولاهم الكوفي الفقيه أحد الأعلام عن ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن مغفل وعدي بن حاتم؛ قال اللالكائي: ثقة إمام حجة، قال عبد الملك بن أبي سليمان: كان يهتم في كل ليلتين، وقال ميمون بن مهران: مات سعيد وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه؛ قُتل سنة خمس وتسعين كهلا، قتله الحجاج فما أمهل بعده، قال خلف بن خليفة عن أبيه: شهدت مقتل ابن جبير فلما بان الرأس قال لا إله إلا الله لا إله إلا الله فلما قالها الثالثة لم يتمها رضي الله عنه. انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤/٣٢١)؛ و"تهذيب الكمال" للمزي (١٠/٣٥٨).

(٤) انظر "تفسير القرطبي" (٦/٣٦٤)، و"تفسير البغوي" (٣/١١٧).

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في "الجامع" (٤/٤٥-رقم ٢١٨٠)، والنسائي في "الكبرى" (١٠/١٠٠)؛ وأحمد في "المسند" (٣٦/٢٢٥-رقم ٢١٨٩٧)، وقال الألباني في "مشكاة المصابيح" (٣/٤٨٨): صحيح.

(٦) انظر: "تفسير ابن جرير الطبري" (١١/٢١٢ وما بعدها)، و"تفسير القرطبي" (٦/٣٦٤)، و"تفسير البغوي" (٣/١١٧).

٢- قد اختلف المفسرون في نزول المائدة، هل نزلت أم لم تنزل :

القول الأول: أنها لم تنزل، وهو مروى عن مجاهد والحسن البصري، فقالوا: هو مثل ضربه الله تعالى لعباده حتى ينهاهم عن سؤال الأنبياء المعجزات وطلبهم الآيات؛ وقيل : لما وعدهم الله بالإجابة وقال: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾^(١)، فحذَّروهم من عذابه إن كفروا، فاستعقوا منها و استغفروا و أبوا أن تنزل عليهم وقالوا لا حاجة لنا فيها^(٢)، قال ابن كثير: (وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا، ولا أقل من الآحاد والله أعلم)^(٣)، **والقول الثاني:** أنها نزلت، وهو قول الجمهور واختاره ابن جرير وابن كثير، واستدل له بما أخرجه الطبري بسنده عن عمار بن ياسر، قال رسول الله ﷺ: «نزلت المائدة خبزًا ولحمًا، وأمرُوا أن لا يحنونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغدٍ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا، فمسخوها قردة وخنازير»^(٤)؛ وبما نُقل عن الصحابة وأهل التأويل في ذلك؛ قال ابن جرير: (وبعد، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخُلف، وقد قال تعالى ذكره مخبرًا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: (إني منزلها عليكم)، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره: (إني منزلها عليكم)، ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر)^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٥ .

(٢) انظر: "تفسير الطبري" (٢٣١/١١)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (١/٦٠٤)؛ و"تفسير ابن كثير" (٢٣١/٣).

(٣) "تفسير ابن كثير" (٢٣١/٣).

(٤) انظر: "تفسير ابن جرير الطبري" (١١/٢٢٩)؛ و"تفسير ابن كثير" (٣/٢٣١)؛ والحديث أخرجه الترمذي في "الجامع" (٥/٢٦٠- رقم ٣٠٦١)؛ أبو يعلى الموصلي في "المسند" (٣/٢١٢-رقم ١٦٥١)؛ والبخاري في "مسنده" (٤/٢٥٠-رقم ١٤١٩)؛ وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن الترمذي" (ص ٣٧٣-رقم ٥٨٧).

(٥) "تفسير ابن جرير الطبري" (١١/٢٣١-٢٣٢).

ومن الإشارات العقدية :

١- في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(١) دليلٌ يصلح الاحتجاج به على صفة العلو لله ﷻ، وإثبات فوقيته على خلقه؛ وصفة العلو قد ثبتت في القرآن الكريم والسنة المتواترة لفظية ومعنوية وغير المتواترة، التي تورث العلم اليقيني، وإجماع السلف على ذلك، والله تعالى يُثبت هذه الصفة بأصناف العبارات وأنواع الدلالات، فتارة يخبر عن استوائه على العرش، وتارة يُخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها، وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، وتارة يخبر بعلوه وأن من أسمائه العلي الأعلى، وتارة يخبر بقهره مع فوقيته لعباده ويخبر أن ملائكته يخافون ربهم الذي هو فوقهم، وهذا الدليل فيه نزول المائدة من السماء، وأن الأنبياء والمرسلين وأتباعهم يؤمنون بعلو الله على خلقه، وهذا الذي تدل وتشهد عليه الفطرة الصحيحة السليمة والعقل الصريح^(٢).

٢- في دعاء عيسى ﷺ ربه بإنزال المائدة، وقبل ذلك معرفة الحواريين أن إنزال آية المائدة تكون من عند الله، فيه دليل واضح على بطلان ألوهية عيسى عليه السلام، وأنه لا يملك من دون الله نفعا ولا ضرا كسائر خلق الله سبحانه، وأن آيات الأنبياء ليست من تلقاء أنفسهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٤)؛ وهذه الأدلة تدل على أنه ليس بقدرتهم أن يأتوا بحجة ولا آية إلا بإذنه وقت ما يشاء؛ وفي الكتاب المقدس ما يدل على ذلك، فقد جاء في إنجيل يوحنا ((لا يقدر الابن أن يعمل شيئا من عنده، بل يعمل ما رأى الأب يعمل..))، وقال في نفس الإصحاح ((أنا لا أقدر أن أعمل شيئا من عندي، فكما أسمع من الأب أحكم وحكمي عادل، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني))^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٢.

(٢) انظر "مجموع الفتاوى" لشيخ الاسلام ابن تيمية (١٢/٥-١٤-٧٩-١٠٤).

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٨.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١١.

(٥) إنجيل يوحنا [٣٠-١٩:٥] الكتاب المقدس .

٣- ذكر ابن القيم بديعة في قوله تعالى عن نبيه عليه السلام: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١) أنه جاء في دعاء المسيح (اللهم ربنا) ولم يجئ في القرآن مثلها عن الأنبياء ومن دوتهم، وذلك يكمن في سرِّ عجيب دالٌّ على كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له، وهو أنه لما طلب منه إنزال المائدة وهي من الآيات الدالة على قدرة الله وربوبيته واستحقاقه للعبادة، سأل الله ودعاه باسم اللهم الذي فيه الثناء على الله بجميع أسمائه وصفاته، وأتبعه باسمه الرب الذي يقضى به الحوائج ويفرج به الكربات؛ يقول ابن القيم: (إنَّ المقصود من هذا الدعاء وقضاء هذه الحاجة إنما هو أن يثني على الرب بذلك، ويمجِّده به، ويذكر آلاءه، ويظهر شواهد قدرته وربوبيته، ويكون برهانا على صدق رسوله، فيحصل بذلك من زيادة الإيمان والثناء على الله أمر يحسُن معه الطَّلَب، ويكون كالعذر فيه، فأتى بالاسمين: اسم الله الذي يثني عليه به، واسم الرب الذي يُدعى ويسأل به لما كان المقام مقام الأمرين (٢)

(١) سورة المائدة: الآية ١١٤ .

(٢) انظر "بدائع الفوائد" لابن قيم الجوزية (٢/١٩٤) .

المطلب الثالث: ما ورد في الاستدلال بدعوة عيسى عليه السلام:

- ١ - دعوته لتوحيد الله ﷻ وإلى الإسلام .
- ٢ - تصديقه لمن قبله من الأنبياء، ومتابعته للتوراة .
- ٣ - أمره بتقوى الله ﷻ والإيمان به وطاعته عليه السلام .
- ٤ - الدعوة إلى أصول الشرائع من الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ - دعوته لتوحيد الله ﷻ وإلى الإسلام:

ذكر الله ﷻ في كتابه عن دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأنها جاءت لتصحيح توحيد العباد وتخليصه إلى رب الأرباب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۗ ﴾^(٢)؛ ودعوة التوحيد هي دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مهما اختلفت شرائعهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٣)؛ وكذلك أخبر الله عن دعوة رسوله عيسى عليه السلام وأمره لقومه بتوحيد الله ﷻ، وكان يعترف في دعوته بربوبية الله عليه وعلى من يدعوهم، وأنه لا بد لهم بعد هذا الإقرار أن يعبدوه وحده لا شريك له، وكان يحذّرهم من الشرك غاية التحذير، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۗ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرِيرًا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۗ ﴾^(٥).

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٧/٤ - رقم ٣٤٤٣)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٨٣٧/٤ - رقم ٢٣٦٥).

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٤.

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٢.

وقال تعالى مخبراً عن عيسى ﷺ في الآخرة عند المساءلة: ﴿ مَا قُلْتُمْ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾^(١)؛ وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه^(٢) أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ أمر يحيى بن عليهما السلام بخمس كلمات، أن يعمل بهنَّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى: «إنَّك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهنَّ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ، فإمَّا أن تبلِّغهنَّ، وإمَّا أن أبلِّغهنَّ». فقال: «يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أَعْدَبَ أو يُخَسَفَ بي». قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجدُ، فقعده على الشَّرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله ﷻ أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنَّ، وأمركم أن تعملوا بهنَّ، أولهنَّ: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإنَّ مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بوزنٍ أو ذهب، فجعل يعمل، ويؤدِّي غلته إلى غير سيِّده، فأبيحكم سرَّه أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله ﷻ خلقكم ورزقكم، فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً...» الحديث^(٣)، فدعوة الأنبياء اتفقت في أصولها، واختلفت في شرائعها، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤)؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهو سبحانه أخذ الميثاق على النبيِّ المتقدِّم أن يصدِّق من يأتي بعده، وعلى النبيِّ المتأخِّر أن يصدِّق من كان قبله؛ ولهذا لم تختلف الأنبياء، بل دينهم واحد كما قال النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»... وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ فدين الأنبياء واحد وهو دين الإسلام، كلُّهم مسلمون مؤمنون، كما قد بيَّن الله في غير موضع من القرآن؛ لكن بعض الشرائع تتنوع، فقد يشرع في وقت أمراً لحكمة ثم يشرع في وقت آخر أمراً آخر لحكمة..)^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٢) الحارث بن الحارث الأشعري، له صحبة رضي الله عنه، روى عنه أبو سلام الأسود، واسم أبي سلام ممتور الحبشي، له عنه حديث واحد، عن النبي ﷺ، هو هذا الحديث، انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٢٨٤/١)؛ و"الإصابة في تمييز الصحابة" (١/٦٦١).

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٩-٣٣٥-رقم ١٧٨٠٠)، وقال عنه محققه الشيخ الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل موسى بن خلف - وهو العمِّي - فهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح؛ وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٩٧/٢-رقم ١٤٩٨).

(٤) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٥) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (٣٦٤/٣٥).

٢- تصديقه لمن قبله من الأنبياء، ومتابعته للتوراة :

وهذا من دلائل نبوة النبي، وعلامة صدقه أن يأتي مصدقا لمن قبله من الأنبياء والرسل، وما أنزل عليهم من الكتب، ومبشرا لمن بعده، لأنهم مرسلون من معبود واحد وهو الله ﷻ؛ وقد كان عيسى عليه السلام على هذه الصفة الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته التي كذب بها الكافرون من بني إسرائيل وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة؛ فعيسى ﷺ أتى مصدقا لمن قبله من الأنبياء، وبالأخص موسى عليه السلام، وكان مؤمنا متابعا لما أنزل عليه من التوراة، فصدق بها وأتبع ما جاء فيها مع نسخه لبعض أحكامها التي كانت فيها شدة، تخفيفاً على بني إسرائيل وذلك في كتابه الإنجيل الذي أوتيته عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٣)؛ وقد نقل ابن جرير عن وهب بن منبه قوله في ذلك: (إن عيسى كان على شريعة موسى ﷺ، وكان يسيث، ويستقبل بيت المقدس، فقال لبني إسرائيل: «إني لم أذعنكم إلى خلاف حرف مما في التوراة، إلا لأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم، وأضع عنكم من الآصار»^(٤)).

٣- أمره بتقوى الله ﷻ والإيمان به وطاعته عليه السلام:

والأمر بتقوى الله ﷻ هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين لأقوامهم، قال تعالى على لسان عيسى ﷺ:

﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^(٥)، وكذلك ما قصه الله عن نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْقِوُكُمْ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ ۗ﴾^(٦)، وكذلك المرسلون من بعده كانوا يأمرون أقوامهم

(١) سورة الصف: الآية ٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٤) "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٣٨/٦).

(٥) سورة آل عمران: ٥٠-٥١.

(٦) سورة الشعراء: الآية ١٠٦-١٠٨.

بتقوى الله ﷻ وطاعة النبي المرسل إليهم؛ قال شيخ الإسلام: (وكذلك قالت الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } ، فجعلوا التقوى لله وجعلوا لهم أن يُطاعوا)^(١).

وتقوى الله تكون بطاعة الله في أمره ونهيهِ، إيماناً بأمره إيجاباً واستحباباً وتصديقاً واحتساباً لوعده وأجره، وإيماناً بنهيهِ تحريماً وتنزيهاً وتصديقاً لوعيده وخوفاً من عقوبته، وهذا يجمع حقوقَ الله وحقوقَ عباده كما قال طلق بن حبيب^(٢) في التقوى: (إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله)، وهذا أحسن ما قيل في حد التقوى كما قال ذلك ابن القيم رحمه الله^(٣).

وقد أمر الله عباده بأن يتقوه هو سبحانه، ويتقوا يوم القيامة وما يكون فيه من عذاب ووعيد، قال تعالى في تقواه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٤) وقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^(٥)، وقال تعالى في الأمر بتقوى يوم القيامة: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾^(٦)، وقال تعالى في التقوى من عذابه: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٧). وتقوى الله وصية الله لهذه الأمة، ووصية الله للأمم السابقة حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾^(٨)؛ و طاعة الرسول أصلٌ متفق عليه بين دعوة الأنبياء، وأنهم يدعون أقوامهم بعد تقوى الله أن يُطيعوا رسولهم الذي أرسل إليهم، ويتبعوا شريعته ومنهاجه.

(١) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٧٢).

(٢) طلق بن حبيب: بصري، زاهد كبير، من العلماء العاملين. حدث عن: ابن عباس، وابن الزبير، وجندب بن سفیان، وجابر بن عبد الله، والأحنف بن قيس، وأنس بن مالك، وعدة. روى عنه: منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، وعوف الأعرابي، ومصعب بن شيبه، وجماعة. وكان طيب الصوت بالقرآن، برا بوالديه. روي عن طاووس قال: ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه، وكان ممن يخشى الله تعالى. وذكره ابن حبان في الثقات؛ قال أبو حاتم: طلق صدوق، يرى الإرجاء. ذكره البخاري في الأوسط فيمن مات بين التسعين إلى المائة. انظر "تهذيب التهذيب" (٣١/٥).

(٣) انظر "الرسالة التبوكية" لابن القيم (١/١٣).

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٥) سورة الحج: الآية ١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٣.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٨) سورة النساء: الآية ١٣١.

قال شيخ الإسلام: (وجميع الرُّسل دَعُوا إلى عبادة الله وتقواه وحشيتته، وإلى طاعتهم كما قال نوح عليه السلام: ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾، وقال كل من نوح والنبين: ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ﴾؛ وطاعة الرسول فيما أمرنا به هو الأصل الذي على كلِّ مسلمٍ أن يعتمد، وهو سببُ السَّعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة (١).

وأما طاعة رسول الله عيسى ﷺ، فكانت واجبة على من أرسل إليهم، وهم بنو إسرائيل بالخصوص، كما يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ ﴾ (٢) وسنزيد تفصيل هذا الأمر في فصل الإيمان بالرسول من هذا البحث.

٤ - الدعوة إلى أصول الشرائع من الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ذكرت فيما سبق أنَّ دعوة الأنبياء اتَّفقت في التوحيد وأصول الدين، وفي الدعوة إلى أصول الشرائع كالصلاة والزكاة والصيام، وكذا عموم مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا نَفَرَكَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٤) وقال تعالى على لسان عيسى ﷺ:

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٥)، وقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦).

(١) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢١/٢٢).

(٢) سورة الصف الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٤) سورة البينة: الآية ٤-٥.

(٥) سورة مريم: الآية ٣١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

ومن الأمور المتفق عليها بين الأنبياء أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من منكرات الأخلاق والإثم و الفواحش، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَافَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٢﴾، وكذلك ما قصَّه على لسان لقمان الحكيم الذي كان من صالحى وحكماء الأمم السابقة، ويقال أنه كان قاضيا على بنى إسرائيل في قوله تعالى:

﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٣﴾.

وأما تفاصيل الدين وفروع الشريعة فهم مختلفون فيها من حيث الكيفية والأوقات والمقادير كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ ﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ ﴿٥﴾؛ وتفصيل هذا المطلب في حكم ما ذكر في القرآن في شرع من قبلنا، و حكم شرائع الأنبياء قبل التبديل وبعده؛ والله الموفق لا إله غيره.

(١) سورة المائدة: الآية ٧٨-٧٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٣.

(٣) سورة لقمان: ١٧-١٩.

(٤) سورة المائدة: ٤٨.

(٥) سورة الحج: الآية ٦٧.

المطلب الرابع: ما ورد في نجاة عيسى ﷺ من أعدائه بإلقاء الشبه على غيره ورفعه .

قد أخبر الله ﷻ عن عادة اليهود في تكذيبهم للرسل ومحاربتهم لهم، ومن ذلك ما فعلوه تجاه نبي الله عيسى ﷺ من تكذيبه وعدم الاعتراف برسالته، قال تعالى مخبراً على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١)، وقد حاولوا كذلك المكر بعيسى عليه السلام بقتله، ولكن الله حال دون ذلك وأنجاه من مكرهم وكيدهم، قال تعالى ممتناً بذلك على عيسى ﷺ: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢)، وكان إنجاء الله لعيسى عليه السلام وتأيدته بأمرين:

الأول: إلقاء شبه عيسى عليه السلام على غيره فلم يتمكنوا من قتله .

الثاني: رفع الله لعيسى عليه السلام إلى السماء .

فالأول: إلقاء شبه عيسى عليه السلام على غيره فلم يتمكنوا من قتله؛ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(٣)، فقله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي أن الله تعالى نجى عيسى عليه السلام بإلقاء شبهه على غيره، فرآه اليهود وظنوا أنه هو عيسى عليه السلام، فقتلوا من شبه لهم؛ قال أبو حيان^(٤) في "تفسيره": (و [شُبِّهَ]: مسندٌ إلى الجار والمجرور [لهم] كقوله: خُيِّلَ إليه، ولكن وقع لهم التشبيه، ويجوز أن يُسند إلى ضمير المقتول الدال عليه: إِنَّا قَتَلْنَا، ولكن شُبِّهَ لهم من قتلوه، ولا يجوز أن يكون ضمير المسيح، لأنَّ المسيح مشبَّه به لا مُشَبَّهٌ) أ.هـ^(٥).

(١) سورة الصف: الآية ٦ .

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٧ .

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النَّفْرِي، أثير الدين، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ، ورحل إلى مالقة. وتقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. توفي سنة ٧٤٥هـ؛ من كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن. انظر "الدرر الكامنة" لابن حجر (٣٠٢/٤).

(٥) "البحر المحيط في التفسير" للواحدى (١٦٢/٤).

وقد اختلف العلماء على مَنْ شُبِّهَ المسيحُ على أقوال:

القول الأول: أنه ألقى شبهُ المسيح ﷺ على أحد تلاميذ المسيح، عندما قال لهم: «أأيكم يُلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكونَ معي في درجتي»، وفي رواية: «وله الجنة»، وفي رواية: «وهو رفيقي في الجنة»، فألقى الشَّبه على هذا التلميذ فقتل، وُرفِع عيسى عليه السلام؛ وهو مروى عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج، وعن القاسم بن أبي بزة^(١) وابن اسحاق في إحدى رواياته^(٢).

القول الثاني: أنَّ شبهة المسيح عليه السلام ألقى على أحد تلاميذه وحواريه من غير تعيين، ولا طلب من المسيح ﷺ، فهتدوهم بالقتل فخرج رجل كان مع عيسى عليه السلام، وقد صُوِّر بصورته فقتلوه؛ وقد ورد ذلك عن ابن وهب وقد مال إليه ورجحه الإمام الطبري^(٣).

القول الثالث: أنَّ شبهة المسيح عليه السلام ألقى على التلميذ الخائن الذي دلَّ اليهودَ على مكان عيسى عليه السلام، وهذا القول رواية أخرى عن وهب بن منبه، نقله عن ابن جرير ونقله غيره واحد من أهل التفسير كالكلبي^(٤) والبغوي وغيرهم من أهل التفسير^(٥).

القول الرابع: وقيل إنَّه رجلٌ من اليهود الذين أرادوا قتله، ألقى الله الشبهة عليه، وقيل إنه لما حبسوا عيسى ﷺ ومن معه في بيت فألقى الله الشبهة على الرقيب الذي جعله اليهود على البيت، فأخذوه وقتلوه^(٦).

(١) القاسم بن أبي بزة واسمه نافع ويقال يسار أبو عبد الله ويقال أبو عاصم القاري المخزومي مولاهم، قيل أن أصله من همدان، روى عن أبي الطفيل وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعدة. قال ابن معين والعجلي والنسائي: ثقة. وقال ابن سعد: قال محمد بن عمر توفي سنة أربع وعشرين ومائة بمكة وكان ثقة قليل الحديث؛ وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة أربع عشرة أو خمس عشرة. قال ابن حبان: ولم يسمع التفسير من مجاهد أحد غير القاسم وكل من يروي عن مجاهد التفسير فإنما أخذه من كتاب القاسم. انظر "تهديب التهذيب" (٣١٠/٨)؛ و"سير اعلام النبلاء" للذهبي (٥٠/١٢).

(٢) انظر: "تفسير عبد الرزاق" لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٤٨٤/١-رقم ٦٥٥) بسنده عن معمر عن قتادة به؛ و"تفسير ابن جرير الطبري" (٣٧٠/٩)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (١١١٠/٤)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (٤٩٤/١)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٤٩/٢)، وساق سنده من ابن أبي حاتم إلى ابن عباس ثم قال: (وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ورواه النسائي عن أبي كريب، عن أبي معاوية، بنحوه، وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال لهم: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني، وهو رفيقي في الجنة؟).

(٣) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٧٤/٩) وذكر سبب ترجيحه له هناك.

(٤) الكلبي محمد بن السائب بن بشر؛ العلامة، الأخباري، أبو النظر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المفسر. وكان أيضا رأسا في الأنساب، إلا أنه شيعي، متروك الحديث. يروي عنه: ولده؛ هشام، وطائفة. أخذ عن: أبي صالح، وجرير، والفردق، وجماعة؛ وكان الثوري يروي عنه، ويدلسه، فيقول: حدثنا أبو النظر؛ توفي: سنة ست وأربعين ومائة. انظر "سير اعلام النبلاء" للذهبي (٢٤٩/٦).

(٥) انظر "تفسير ابن جرير" (٣٦٨/٩)؛ و"تفسير البغوي" (٣٠٧/٢).

(٦) "المصادر السابقة".

الثاني: رفع الله لعيسى ﷺ إلى السماء:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَإِنَّكِفَافَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلٌ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا ابناء الظن وما قتلوه يقيناً﴾^(١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً^(٢)؛ فقد أخبر الله ﷻ في هذه الآيات منته على نبي الله عيسى عليه السلام، بأن نجاه من مكر يهود الذين هموا وأرادوا قتله، بأن رفعه الله ﷻ بروحه وجسده، فكفاه الله شر اليهود، وقتلوا شبيهه، وهم مع ذلك آمنون، عليهم وزر قتله، لأنهم عزموا وأرادوا قتله عليه السلام.

وقد اختلف أهل العلم رحمهم في معنى الوفاة في قوله تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ على أقوال:

القول الأول: أن الله ﷻ توفاه وفاة نوم، أي: منيمك ورافعك، والنوم يسمى الموتة الصغرى كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَا ضَرَفْتُمْ عَلَيْهَا أَلْمُوتَ وَرِيسُلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٣)، قال ابن كثير: (فذكر في هذه الآية الوفاة: الكبرى والصغرى)^(٤)، وكما قال النبي ﷺ: «النوم أخو الموت»^(٥)، وهذا القول مروى عن الربيع بن أنس^(٦).

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٤) "تفسير ابن كثير" (٢٦٦/٣).

(٥) رواه ابن المبارك في "الزهدي" (٩٢/٢)؛ والطبراني في "المعجم الأوسط" (٢٨٢/١-٢٨٢/١)؛ والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٠٩/٦) - رقم (٤٤١٦)؛ وصححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٧٤/٣-٧٤/٣) رقم (١٠٨٧).

(٦) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٥٥/٦)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٦١/٢)؛ و"تفسير البغوي" (٤٥/٢)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٧/٢)؛ و"تفسير القرطبي" (٩٩/٤ وما بعدها)؛ و الربيع بن أنس، هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، بصري. سمع: أنس بن مالك، وأبا العالية الرياحي والحسن البصري. وعنه: سليمان التيمي، والأعمش، والحسين بن واقد، وأبو جعفر الرازي، وعبد العزيز بن مسلم، وابن المبارك، وأحرون. وكان عالم مرو في زمانه. وقد روى: الليث، عن عبيد الله بن زحر، عنه، ولقيه سفيان الثوري. قال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن أبي داود: سجن بمرو ثلاثين سنة، سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه، فسمع منه. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة، وحديثه في السنن الأربعة. انظر "سير أعلام النبلاء" (١٧٠/٦). و"تهذيب الكمال" للمزي (٦٠/٩).

القول الثاني : أَنَّ الله توفاه وفاة موت، فمعنى متوفيك أي مميتك، ونُقل ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه، وذكره ابن اسحاق نقلاً عن النصارى حيث قال: (إِنَّ النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعاه)، وهو قولٌ يحتج به عليهم في بطلان ألوهية عيسى عليه السلام، فكيف يموت عيسى ﷺ وهو إله على زعمهم.

القول الثالث: أَنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، أي إني رافعك إليَّ ومتوفيك بعد نزولك، وهو مروى عن قتادة، وقاله جماعة من أهل المعاني منهم الضحاك والفرّاء.

القول الرابع: أَنَّ معنى قوله: { **إِنِّي مُتَوَفِّيكُ** } أي: قابضك من الأرض ورافعك إليَّ من غير موتٍ، وهو على معنيين كما يقول البغوي في تفسيره: (الأول: أي رافعك إليَّ وافيًا لم ينالوا منك شيئًا، من قولهم: توفَّيتُ كذا واستوفيته إذا أخذته تامًا؛ والثاني: أي مستلمك، من قولهم: توفَّيت منه كذا أي تسلمته) ، قاله الحسن والكلبي وابن جريج؛ وقد نقل ابن جرير عن غير واحد من السلف هذا القول ورجَّحه؛ قال القرطبي: (وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه)^(١)؛ وقد أخذ بهذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنَّ الله رفع عيسى عليه السلام حيًّا سالماً من القتل، لأن الله تعالى قال: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾^(٢)؛ فبيَّن أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته، ولو مات لم يكن بينه وبين غيره فرق؛ فقال: (والمسيح عليه السلام توفَّاه الله، وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض، ليست حاله كحالة أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم والغائط والبول ونحو ذلك)^(٣).

ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء تشير إلى دلالات عقديّة مهمة منها :

١- ففيه إثباتُ صفة العلو لله تعالى، وأنَّ الله عالٍ على خلقه فوق سماواته بائنٌ من خلقه مستوٍ على عرشه، وللنصوص الشرعية دلالاتٌ متنوعةٌ في إثبات علو الله وفوقيته، ومنها: تصرُّحه برفع بعض مخلوقاته إليه، وهنا قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكُ وَرَافِعُكَ** ﴾

(١) المصادر السابقة نفسها.

(٢) سورة النساء: الآية ١٩٨.

(٣) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية (٤/٣٨)، و"دقائق التفسير" لابن تيمية (٢/٩٦).

(٤) سورة النساء: ال لا تعنتنا على ربهم آية ١٥٨.

إِلَى وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾؛ وعلوُّ الله تعالى على خلقه ثابتٌ في القرآن والسنة، واتفق عليه أئمة السلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لنصوص العلوِّ ومنها الآيات السابقة: (وأجمعت الأمة على أنَّ الله رفع عيسى إلى السماء) (٢).

٢- فيه دلالة على قدرة الله تعالى على تحويل الأشياء، حيثُ قلب صورة الرجل الذي كان مع عيسى عليه السلام، أو الذي كان يعاديه-على خلاف سبق ذكره- فحوَّله إلى شبه عيسى عليه السلام، وأخذ مكانه فقُتِل، قال تعالى في إثبات توحيدِه وتفردِه في تصرفه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والآية هنا قصد بها التعميم لكلِّ ما يُدعى من دون الله، فكلُّ من دعا ميثًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية، كما تناول من دعا الملائكة والجن، ومعلومٌ أنَّ هؤلاء يكونون وسائطَ فيما يقدره الله بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى عن دعائهم، وبَيَّنَّ أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين، ولا تحويله، لا يرفعونه بالكيفية ولا يحوِّلونه من موضع إلى موضع أو من حال إلى حال كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: وَلَا تَحْوِيلًا، فذكر النكرة تعم أنواع التحويل) (٤).

٣- وهذه من أعظم المسالك في إثبات نبوة الأنبياء، وصدقهم عليهم الصلاة والسلام وتكذيب المدعي الكاذب، فإنَّ الله تعالى يؤتي الأنبياء آياتٍ وبراهينَ تدلُّ على صدقهم قبل مبعثهم، وبعد مبعثهم، في حياتهم وبعد مماتهم؛ وهي سنة الله في أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، من نُصرتهم وكفائتهم وحسن العاقبة لهم ولأتباعهم، ولمن آمن بهم ونصرهم، وسوء العاقبة بالانتقام من أعدائهم ومخالفينهم ومن كذبهم وكذب عليهم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ (٥)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا لَجُنَدَا

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٢) "دره تعارض العقل والنقل" لابن تيمية (٢٠٥/٦)؛ و"مجموع الفتاوى" (٢٢٦/٣)؛ وانظر "رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب" لأبي الحسن الأشعري (١٣٠/١).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٦.

(٤) "مجموع الفتاوى" (٢٢٦/١٥).

(٥) سورة غافر: الآية ٥١.

لَهُمُ الْغَلْبُونَ ﴿١﴾؛ وهي سنَّة من الله معلومة، وعادة مكتوبة، قال شيخ الإسلام: (فإن الله سبحانه وتعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، وذلك أيضا معلوم بالتواتر، كتواتر الطوفان وإغراق فرعون وحنوده...^(٢))، وقال عن العلم بها: (إنها من أظهر العلوم المتواترة وأجلها)^(٣)؛ ومن الآيات الدالة على ثبوت عيسى عليه السلام في حياته وعند موته أنه نجَّاه من أعدائه، وكفاه الظالمين من اليهود والملاحدة الذين كانوا يعززون على قتله، فكفاه كيدهم كفاية عظيمة بحمده سبحانه، بأن رفعه إليه، وألقى الشبه على غيره، قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٥)، وقال ممتنا عليه بما أخبر أنه سيكون يوم القيامة: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٦)، وكذلك ما أخبر الله ﷻ عن حسن عاقبة أتباعه إذ يقول: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُومِهِمْ فَاصْبِرُوا لَظِهْرِنَ﴾^(٧)، وقوله سبحانه لعيسى عليه السلام: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فمن أتبع المسيح عليه السلام، جعله الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وكان الذين أتبعوه على دينه الذي لم يُبدل قد جعلهم الله فوق اليهود، وأيضا فالنصارى فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيامة، وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به، بل لما بدَّل النصارى دينه، وبعث الله محمداً بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء، جعل الله محمداً وأُمَّته فوق

(١) سورة الصافات: الآية ١٧١-١٧٣.

(٢) "شرح العقيدة الأصفهانية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٠/١).

(٣) المصدر السابق (١٥٤/١)، وانظر "النבות" لابن تيمية (٩٥٩/٢-٩٦٤).

(٤) سورة النساء: الآية ١٥٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٧) سورة الصف: الآية ١٤.

(٨) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

النصارى إلى يوم القيامة كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّا معاشرَ الأنبياءِ ديننا واحد، وإنَّ أولى الناس بابن مريم لأننا، إنه ليس بيني وبينه نبيٌّ»^(١)^(٢).

(١) الحديث أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٧/٤-رقم ٣٤٤٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٨٣٧/٤-رقم ٢٣٦٥) ولفظهما: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبيٌّ».

(٢) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية (١٧٨/٢).

الفصل الثالث: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالله تعالى:
(وفيه ثلاث مباحث):

المبحث الأول: ما ورد في تقرير ربوبية الله عز وجل (وفيه ثلاثة مطالب):

المطلب الأول: إقرار نبي الله عيسى عليه السلام بتوحيد ربوبية الله تعالى.

المطلب الثاني: شرك النصارى في توحيد الربوبية .

المطلب الثالث: ما ورد في نبي الله عيسى عليه السلام من مفردات ربوبية الله ، (وفيه أربعة مسائل) :

المسألة الأولى : الخلق؛ المسألة الثانية : الملك لله، والنفع والضر لله سبحانه

المسألة الثالثة : الرزق ، المسألة الرابعة : الإذن الكوني .

المبحث الثاني : ما ورد في تقرير الإيمان بتوحيد الألوهية فيما ورد في نبي الله عيسى عليه السلام
(وفيه ثلاثة مطالب)

المطلب الأول : الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك به سبحانه .

المطلب الثاني : تقرير عبودية عيسى عليه السلام لله عز وجل .

المطلب الثالث : الشرك في الألوهية: (وفيه مسألتين) :

الأولى : شرك الطاعة . الثانية: شرك الغلو في الصالحين .

المبحث الثالث: : ما ورد في تقرير الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: (وفيه أربعة مطالب):

المطلب الأول: ما ورد في أسماء الله تعالى ، المطلب الثاني: ما ورد في صفات الله تعالى وأفعاله .

المطلب الثالث: المضاف إلى الله ، المطلب الرابع: تقرير الإيمان بالقضاء والقدر .

الفصل الثالث: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالله تعالى

المبحث الأول: ما ورد في تقرير توحيد ربوبية الله تعالى.

تمهيد: معنى كلمة "الرب" وكلمة "الإله".

معنى لفظ الرب :

وردت كلمة " رب " لعدة معاني في معاجم اللغة ولكنها عند التحقيق اللغوي ترجع إلى ثلاثة أصول: وهي كما يقول ابن الأنباري^(١) فيما نُقل عنه: (الرب ينقسم على ثلاثة أقسام، يكون الرب: المالك ، ويكون الرب: السيد المطاع، ويكون الرب: المصلح)^(٢).

فالأصل الأول: تأتي بمعنى مالك الشيء وصاحبه والمتصرف فيه، ومنه قولهم: فلان رب الدار، ورب الدابة، أي مالكتها وصاحبها، وفي حديث إجابة الدعوة: « اللهم رب هذه الدعوة »^(٣) أي صاحبها^(٤)، فالله تعالى بهذا المعنى: هو مالك العالمين والخلائق أجمعين، يقول القرطبي: (فالله سبحانه رب الأرباب يملك المالك والمملوك ... ، وكل مملوك فمُملَك بعد أن لم يكن، ومنترع ذلك من يده، وإنما يملك شيئاً دون شيء)^(٥).

والأصل الثاني: السَّيِّدُ المطاعُ، وهو من سياسة القوم والسيادة عليهم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي

عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٦) أي سيدك، وعلى هذا المعنى فالله تعالى هو السيد الذي كُمل في سُؤده، يقول ابن جرير في هذا المعنى: (فربنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْهَ لَهُ، ولا مثل في سُؤده)^(٧)

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار على الفرات سنة ٢٧١هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ؛ وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. من كتبه: "الزاهر في اللغة"، و"شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات" و"إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله تعالى". انظر "الأعلام للزركلي" (٣٣٤/٦)، و"وفيات الأعيان" (٥٠٣/١).

(٢) "تاج العروس من جواهر القاموس" لمرتضى الزبيدي (مادة ريب، ٤٥٩/٢)؛ وانظر "لسان العرب" لابن منظور (فصل الراء، ٤٠٠/١).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢٦/١-رقم ٦١٤).

(٤) "تاج العروس من جواهر القاموس" لمرتضى الزبيدي (مادة ريب، ٤٥٩/٢)؛ وانظر "لسان العرب" لابن منظور (فصل الراء، ٤٠٠/١).

(٥) "تفسير القرطبي" للإمام القرطبي (١/١٣٧).

(٦) سورة يوسف: الآية ٤٢.

(٧) "تفسير ابن جرير الطبري" (١/٤٢١).

الأصل الثالث: وتطلق كلمة " الرب " أيضا على المصلح المرابي الذي يدبر أمر من يربيه و يقوم عليه بالرعاية والحفظ، فقول أن الرب مشتق من التربية ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَرَبِّبْكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ ﴾^(١)، فسُمِّي بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها، والله سبحانه هو الرب لأنه المصلح لأحوال خلقه بما أسبغ عليهم نعمه، ومدبر لهم، ومربيهم^(٢).

ولفظ "الرب" لا يطلق معرفة ب(أل) العهد بلا إضافة إلا على الله ﷻ ويختص به سبحانه كما جاء في الحديث: « فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط»^(٣)، وأما إن أُضيف فبحسب الإضافة، فيشترك فيه الله ﷻ ومن دونه من عباده سبحانه، مثال ما يضاف ويراد به الله ﷻ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ ﴾^(٥)؛ ومثال ما يضاف ويراد به غير الله قوله تعالى: ﴿ أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾^(٦)، وقوله: ﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾^(٧)^(٨).

وهذه المعاني الثلاث كلها صحيحة لمعنى كلمة الرب، وفي ذلك يقول ابن جرير رحمه الله: (وقد يتصرف أيضًا معنى "الرب" في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة)^(٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرب: هو الذي يرَبِّي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها)^(١٠)؛ وقال الخليلي^(١١) فيما نقله عنه البيهقي: (معنى الرب: هو المبلِّغ كلَّ ما أبدع حدًّا

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (باب رب، ٣٧٢/٢). وانظر "تفسير ابن جرير" (١٤٢/١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٣٨/٦-٤٨٤٩ رقم).

(٤) سورة الفاتحة: الآية ٢.

(٥) سورة الرحمن: الآية ١٧.

(٦) سورة يوسف: الآية ٤٢.

(٧) سورة يوسف: الآية ٥٠.

(٨) انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (١٧٩/٢)؛ و"مختار الصحاح" للرازي (ص ١١٦)؛ و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي (٨٧/١)؛ و"تفسير القرطبي" (١٣٧/١).

(٩) "تفسير ابن جرير الطبري" (١٤٢/١).

(١٠) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (٢٢/١).

(١١) الخليلي هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم؛ القاضي، العلامة، رئيس المتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، الشافعي. أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي. كان متفننا، سيال الذهن، مناظرا، طويل الباع في الأدب والبيان. أخذ عن: الأستاذ أبي بكر القفال، والإمام أبي بكر الأودني. ولد في سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة. توفي في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وأربع مائة. وللحافظ أبي بكر البيهقي اعتناء بكلام الخليلي ولا سيما في كتاب: (شعب الإيمان). انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٣١/١٧).

كماله الذي قدره له، فهو يسيل النطفة من الصلب،... فهو القائم عليه والمبْلَغُ إياه الحد الذي وضعه له، وجعله نهاية ومقداراً له^(١)

معنى لفظ الإله:

والإله هو الله **وَعَلَى**، ومنه اشتق اسم الله **وَعَلَى** على القول بأنه مشتق^(٢)، والإله في اللغة تأتي لعدة معاني:

منها: أنه مأخوذ من أَلِهَ يَأْلُهُ إذا تَحَيَّرَ، فيأتي بمعنى التحير وذهاب العقل، وأصله: وَلِهَ يَوْلُهُ وَلَهَا، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية^(٣)؛ وقد اختاره ابن الأثير^(٤) في "النهاية"^(٥)، وهو معنى ضعيف لا تستقيم معه نصوص القرآن، قال ابن فارس^(٦): (فأما قولهم في التحير أله يأله فليس من الباب، لأن الهمزة واو)^(٧).

وقيل مأخوذ من: أله يأله إلى كذا، أي لجأ إليه، لأنه سبحانه المفرع الذي يُلجأ إليه في كل أمر، وروي عن الخليل^(٨)؛ وروي عن الضحاك أنه قال: إنما سمي "الله" إلهاً، لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم،

(١) "الأسماء والصفات" للإمام البيهقي (١/٨٤-رقم ١٢٣).

(٢) والقول الثاني أن اسم الله جامد غير مشتق؛ قال أبو حيان في "تفسيره": "والله علم لا يُطلق إلا على المعبود بحق، مرتجل غير مشتق عند الأكثرين"، (١/٤١).

(٣) "لسان العرب" لابن منظور (١٣/٤٧٦)؛ و"معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (١/١٢٧)، و"غريب الحديث" لابن قتيبة (٣/٧٢٨).

(٤) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب عز الدين، كانت ولادته في ربيع جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسائة بجزيرة ابني عمر، وهم من أهلها. وتوفي في شعبان سنة ثلاثين وستمائة، رحمه الله تعالى، بالموصل؛ كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه "الكامل" ابتداءً فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ، واختصر كتاب "الأنساب" لابن السمعاني. انظر: "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٣/٣٤٨).

(٥) "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (١/٦٢).

(٦) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، ولد سنة ٣٢٩هـ، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة ٣٩٥هـ، وإليها نسبته. من تصانيفه: "مقاييس اللغة" و"المجمل". انظر "الأعلام" للزركلي (١/١٩٣)؛ و"سير الأعلام النبلاء" (١٧/١٠٣).

(٧) "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (١/١٣٧).

(٨) الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام. حدث عن: أيوب السخيتاني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطان. أخذ عنه: سيبويه النحوي، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي، ووهب بن جرير، والأصمعي، وآخرون. وكان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن. وله كتاب (العين) في اللغة. وثقه: ابن حبان. وكان -رحمه الله- مفرط الذكاء. ولد: سنة مائة. ومات: سنة بضع وستين ومائة. وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في العربية. انظر: "سير أعلام النبلاء" (٧/٤٢٩)؛ و"تهذيب الكمال" للزكري (٨/٣٢٦).

ويتضرعون إليه عند شدائدهم؛ وذكر عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه - بنصب اللام -
ويألهون أيضا "بكسرهما" وهما لغتان^(١)؛ وهذا المعنى داخل في العبودية والألوهية كما ذكره شيخ الإسلام^(٢).

ويأتي الإله كذلك بمعنى المعبود، أصله من أله يأله بالفتح، أي عبد يعبد، و من أله الله فلان إلهة، أي:
عبد الله فلان عبادة، ويقال: تأله فلان أي تعبد، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج:

لله دُرُّ الغانيات المدَّة سبَّحن واسترجعن من تأهِّي

يعني: من تعبدني وطليي الله بعمل^(٣)؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَيَذَرِكْ وَعَالِهَتَكَ﴾^(٤) جاءت قراءة لابن
عباس أنه قرأها: (وَيَذَرِكْ وَإِلَاهَتَكَ) بكسر الهمزة، أي وعبادتك، وهذه الأخيرة عند ثعلب^(٥) كأنها هي
المختارة، قال: (لأن فرعون كان يُعبد ولا يُعبد)^(٦).

وهناك معاني أخرى، ولكن هذه أشهرها وبعضها لا تخلو من ضعف، وبعضها داخل في هذا المعنى
الأخير، وهو أن الإله بمعنى المعبود، وهو الأظهر في تفسير كلمة الإله في القرآن الكريم، وهو ما اختاره
جماعة من أهل التفسير كابن جرير والبعوي وابن كثير وغيرهم^(٧)، وأن معنى لا إله إلا الله هو لا معبود إلا
الله، ولا يستحق العبادة سواه، قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَتَبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٨): (لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي
هو فائق الحب والنوى)^(٩).

(١) "لسان العرب" لابن منظور (مادة أله ٤٦٩/١٣)؛ و"تاج العروس" لمرئضى الزبيدي (مادة أله ٣٦٤/٣٦). و"تفسير القرطبي"
(١٠٣/١).

(٢) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠٥/٢).

(٣) "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (١٢٧/١)، و"لسان العرب" لابن منظور (٤٧٦/١٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٧.

(٥) أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، العلامة، المحدث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم، البغدادي،
صاحب "الفصيح" والتصانيف. ولد: سنة مائتين، وكان يقول: ابتدأت بالنظر وأنا ابن ثمان عشرة سنة، ولما بلغت خمسا وعشرين سنة، ما بقي
علي مسألة للفراء، وسمعت من القواريري مائة ألف حديث. له كتاب "اختلاف النحويين"، وكتاب "معاني القرآن" وعمر، وأصم، صدمته دابة،
فوقع في حفرة، ومات منها في جمادى الأولى، سنة إحدى وتسعين ومائتين. انظر: "سير أعلام النبلاء" (٤/١٠٥)؛ و"وفيات الأعيان"
(١٠٢/١).

(٦) "المخصص" لابن سيده (٦٣/٤)؛ و"جامع البيان" لابن جرير الطبري (١٢٣/١).

(٧) انظر: "جامع البيان" لابن جرير الطبري (١٢٣/١)؛ و"معالم التنزيل" للبعوي (٥٠/١)، و"تفسير ابن كثير" (١٢٣/١).

(٨) سورة الأنعام: الآية ١٠٦.

(٩) "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٢/١٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الإله: هو الذي يُؤَلَّه فيُعَبَّدُ محبةً وإِنابةً وإجلالاً...)، وقال رحمه الله: (والإله من يستحق إن يؤلَّه العبادُ، ويدخل فيه حُبُّه وخوفُّه، فما كان من توابع الألوهية فهو حقُّ محضٌ لله)، وقال أيضاً: (الإله هو المألوه الذي يستحق أن يؤله فيعبد، والعبادة تجمع غايةَ الدُّلِّ وغايةَ الحبِّ وهذا لا يستحقه إلا هو).^(١)

(١) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (١/٢٢، ٧٦) و (٨ / ٣٧٨).

المبحث الأول: ما ورد في تقرير الإيمان بتوحيد ربوبية الله

المطلب الأول: إقرار نبي الله عيسى عليه السلام بربوبية الله تعالى.

قال الله تعالى مخبرا عما قاله عيسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُواهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(١)، وقال تعالى مخبرا عنه أيضا: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢)، وقال تعالى مخبرا عنه عليه السلام يوم القيامة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣)، وفي هذا إقرار عيسى عليه السلام بأنه عبد مربوب لا رب معبود كسائر خلقه، إلا أن الله تعالى أيده بالنبوة والآيات التي تدل على صدق رسالته ونبوته^(٤)؛ يقول محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ: تبرُّاً من الذي يقولون فيه - يعني: ما يقول فيه النصارى - واحتجاجاً لربه عليهم^(٥)؛ وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: "سيدي وسيدكم"^(٦)؛ وقال وهب بن منبه: (عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه، ومولده، وموته، وبعثه عليه السلام إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ: أي إني وإياكم عبيد الله).^(٧)، فقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا﴾ أي: أنه مالكي ومالككم، وسيدي وسيدكم، فإنما أنا بشر مثلكم، فوحده وحده بالعبادة^(٨)، فإذا ربوبية الله على جميع خلقه وعلى عبده عيسى عليه السلام هو ما اعترف به عيسى عليه السلام كما جاءت الآيات السابقة بذلك

(١) سورة آل عمران: الآية ٥١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٤) انظر: "القول المفيد شرح كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (١/٧٢)؛ و"القول السديد شرح كتاب التوحيد" للسعدي

(ص ٢٣)؛ و"تفسير ابن جرير الطبري" (٦/٤٤٢).

(٥) انظر "تفسير ابن جرير" (٥/٤٣٤)؛ و"تفسير ابن المنذر" (ص ٢١٣)، "تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٦٥٨).

(٦) "تفسير ابن أبي حاتم" (٤/١٢٥).

(٧) "تفسير ابن جرير" (١٥/٥٤٠).

(٨) انظر "تفسير ابن جرير" (٨/٥٧٩)؛ و"تفسير السعدي" (١/١٣١).

وكذلك ما استفاضت به عبارات الكتاب المقدس عند النصارى، وقد قال المهتدي نصر المتطبب في رده على النصارى: (فكيف تنسبونه إلى الربوبية وتنحلونه اللاهوتية وتجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم... ، - ثم قال- بل قد أفصح في كل الأناجيل في كلامه ومخاطباته ووصاياها بأنه عبد مثلكم، مريبوب معكم ومرسل من عند ربه وربكم، وحكى مثل ذلك من أمره تلاميذه وحواريوه فتأولتم في ذلك أنه أخرج كلامه في معنى الناسوت)^(١)

وقد ذكر أهل العلم عدة معاني لتوحيد الربوبية، ومن أجمعها ما ذكره صاحب تيسير العزيز حيث قال: (هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، ويده الخير كله، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر)^(٢)، فهو متفرد في خلقه وملكه ورازقه وتدبيره وتربيته لكافة خلقه وخاصة عباده، فوحدانيته في ربوبيته هو تفرده في أفعاله **وَجَلَّ**، ولتوحيد الربوبية أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَسْلُومِينَ** ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾^(٤) **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾^(٥) **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾^(٦) **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُك** ﴾^(٧) **قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾^(٨) **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ** ﴾^(٩)، إلى غير ذلك من الآيات، وقد ورد عن السلف تقرير هذا النوع من التوحيد، فقال محمد بن نصر المروزي^(١٠): (الحمد لله الممتن على عباده المؤمنين بما ذلهم عليه من معرفته، وشرح صدورهم للإيمان به، والإخلاص بالتوحيد لربوبيته، وخلع كل معبود سواه)^(١١)، وقال في موضع آخر عند حديثه عن الإسلام والإيمان:

(١) "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" لنصر بن يحيى المتطبب (ص ١٠٢).

(٢) "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" سليمان بن عبد الله التميمي، (ص ١٧).

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٢.

(٤) سورة المؤمنون: الآيات من ٨٤-٨٩.

(٥) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ. مولده: ببغداد، في سنة اثنتين ومائتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند. كان أبوه مروزيًا، ذكره الحاكم، فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث. وكتب الكثير، وبرع في علوم الإسلام، وكان إمامًا مجتهدًا علامة، من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، قل أن ترى العيون مثله. مات سنة أربع وتسعين ومائتين. انظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٣/١٤)؛ و"تهذيب التهذيب" (٤٨٩/٩).

(٦) "تعظيم قدر الصلاة" لمحمد بن نصر المروزي (٨٥/١).

(إلا أنّ له أصلاً وفرعاً، فأصله الإقرار بالقلب عن المعرفة، وهو الخضوع لله بالعبودية، والخضوع له بالربوبية...)^(١) ؛ وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: (وقوله: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق)^(٢).

وقال ابن بطة العكبري^(٣): (وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء: أحدها: أن يعتقد العبد انّيته ليكون بذلك مابينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا)^(٤).

(١) المرجع السابق (٢/٧٠٠).

(٢) "تفسير ابن جرير الطبري" (٢١/٤١٠).

(٣) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة، الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، مصنف كتاب "الإبانة الكبرى"، ولد سنة أربع وثلاث مائة، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة. انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٦/٥٢٩).

(٤) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية" لابن بطة العكبري (٦/١٤٩).

المطلب الثاني: شرك النصارى في ربوبية الله:

الشرك في ربوبية الله: نوعان: الأول: شرك التعطيل، والثاني: شرك التمثيل .

فالأول: شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك يكون بأمرين :

أ- إنكار الله ﷻ وجحود الرحمن ﷻ، وهو كشرك فرعون الذي قال: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١)، وكذلك عموم الفلاسفة كالطبائعيون والدهريون القائلين بقدم العالم، والذين يقولون: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾^(٢)،

ب- تعطيل الله ﷻ عما ينبغي له من الكمال الثابت من أسمائه وصفاته، ومنهم الجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

والثاني: شرك التمثيل، وهو كمن أشرك مع الله ﷻ باتخاذ إله آخر، واعتقد بأكثر من صانع للعالم، أو جعل لغير الله خصائص وصفات كالتي يختص بها الله سبحانه، وهو أكثر شرك واقع في الأمم السابقة كالمجوس وعبدة الكواكب وهذه الأمة، كالقدرية وغلاة الرافضة والصوفية، وهذا هو شرك النصارى الذين جعلوا الإله ثالث ثلاثة^(٣)؛ فمن النصارى من جعل عيسى ﷺ وأمه إلهين من دون الله، ومنهم من جعل عيسى ﷺ و روح القدس جبريل عليه السلام آلهة من دون الله، قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِاَكْلَانِ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرِ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٤)؛ ومن التشبيه الذي وقع فيه النصارى أن شَبَّهوا الله سبحانه ، بعامه خلقه في البنوة والتوليد المعروفة في المخلوقات - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾^(٥)؛ وقد نفى الله هذا الاعتقاد في كثير من آي القرآن، لكامل غناه عن الولد والوالد ، منه قوله تعالى في سورة هي

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٣ .

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٤ .

(٣) انظر "تجريد التوحيد المفيد" لتقي الدين المقرئ (ص ٢٤)؛ وانظر "تيسر العزيز الحميد" لسليمان التميمي (ص ٢٦).

(٤) سورة المائدة: الآيات ٧٣-٧٤ .

(٥) سورة التوبة: الآية ٣٠ .

من أعظم سور القرآن: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(١)، وقال أيضا: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رادا على النصارى (ولهذا يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله، البنوة المعروفة في المخلوقات، ويقولون: إن مريم زوجة الله وهذا لازم لعامة النصارى، وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لا بد له من زوجة، ولهذا قال تعالى ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وجعل الرب والد المولود أنكر في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة، أو بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى ..^(٣)

المطلب الثالث: ما ورد في نبي الله عيسى ﷺ من مفردات ربوبية الله ﷻ :

١- الخلق: قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥)؛ وخلق عيسى ﷺ من الأمور الخارقة للعادة، حيث إنها آية من آيات الله تعالى في خلقه، ومعجزة لن تكون بعده لأحد، حيث إنه خلقه من أم بلا أب كما أشرت إلى ذلك سابقا، وكان ذلك بإرادة الله تعالى وكلمته كن فكان عيسى ﷺ بهذه الصورة، وهذه الآية جعلها الله تعالى برهانا وحجة على بني إسرائيل خاصة وللعالمين عامة، تدلُّ على عموم قدرته، و نفوذ مشيئته وكلماته، و علامة على صحة نبوته، خاصة وأن بني إسرائيل الذين بعث لهم عيسى ﷺ خاصة كانت أمة قاسية عاصية، تارة يعبدون الأصنام والأوثان، وتارة يعبدون الله، وتارة يقتلون النبيين بغير الحق، وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل^(٦)؛ فبعث فيهم هذا النبي الرسول الذي كان آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين نبينا محمد ﷺ نبي، كما سيتبين ذلك في موضعه^(٧)، وإثبات أن الله هو الخالق لكل

(١) سورة الإخلاص: الآية ٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠١.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ / ١٩٢)

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

(٦) انظر "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٠٦/٢٨).

(٧) في الفصل الخامس، المبحث الثاني.

شيء وخالق لعيسى عليه السلام ، فيه: بطلان ألوهية عيسى عليه السلام ، وأنه مخلوق لا كما يزعم النصارى في شريعتهم الكفرية أنه مولود غير مخلوق.^(١)

والخلق من أعظم مفردات الربوبية ويأتي معناه في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الإنشاء على مثال أبداعه ولم يسبق إليه، والآخر: التقدير؛ وخلق الله الشيء يخلقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن، فالخلق في اللغة يعني التقدير، والإنشاء، والإيجاد، والإبداع، والخلق يكون المصدر ويكون المخلوق^(٢)، و المراد هنا الفعل الذي هو المصدر: خلق يخلق خلقاً، قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّسٍ وَاحِدٌ ﴾^(٣)، وقال ﷺ: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطْنٍ أُمَّهَاتِكُمْ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٥)؛ وصفة الخلق عند أهل السنة والجماعة صفة ثابتة لله ﷻ ذاتية باعتبار أن أصلها قديم، فالله متصف بها أزلاً، فهو سبحانه لم يزل ولا يزال خلاقاً، وفعلية باعتبار أن أحاد خلقه تتعلق بمشيئته وإرادته سبحانه، وهي بذلك تُصنّفُ أتمها من الصفات الفعلية التي يفعلها الله متى شاء، وهي تعني إيجاد الكائنات وإنشائها من العدم، أو إعدامها بالموت على وفق ما قدره الله ﷻ وكتبه في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾^(٦)؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الخلق هو إبداع الكائنات من العدم وإن كنا لا نكيّف ذلك الفعل، ولا يشبه أفعالنا، إذ نحن لا نفعل إلا الحاجة إلى الفعل، والله غني حميد)^(٧)؛ ويقول الإمام الطحاوي^(٨): (خالق بلا حاجة)^(٩).

(١) وهو يسمى (بالشريعة الإيمانية) أو (القانون الإيماني) للنصارى ، سيتم ذكره في الفصل الرابع

(٢) انظر: "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (مادة خلق، ٢/٢١٣)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (١٠ فصل الخاء، ٨٥).

(٣) سورة لقمان: الآية ٢٨.

(٤) سورة الزمر: الآية ٦.

(٥) سورة الكهف: الآية ٥١.

(٦) سورة الملك: الآية ٢؛ وانظر: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (١٦/٣٦٥)؛ و"شرح السفارينية" للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٨٢).

(٧) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٣٥٧).

(٨) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٣٥٧).

(٩) الطحاوي هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري الطحاوي، الحنفي، محدث الديار المصرية وفقهها، مولده: في سنة تسع وثلاثين ومائتين. انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر بن أبي عمران، وأبي حازم وغيرهما، وكان شافعيًا يقرأ على أبي إبراهيم المزني، له تصانيف أشهرها "العقيدة الطحاوية" و"معاني الآثار"، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. انظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي (٧/٤٣٩) و"طبقات الحنفية" عبد القادر بن أبي الوفاء (ص ١٠٢).

(٩) "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (ص ٧٨).

٢- الملك والنفع والضر لله سبحانه: قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ بُنِيتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَنْ يُؤْفِكُوا﴾^(٢) ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾^(٣). ففي هذه الآيات يخبر الله ﷻ احتجاجه على النصراني القائلين بألوهية المسيح في قولهم ابن الله، وقولهم ثالث ثلاثة، بأن عيسى عليه السلام وأمه الصديقة بشرٌ كسائر البشر، يأكلون الطعام، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا دفعا لقدر قضاه الله، فلو أراد الله أن يهلك المسيح وأمه بإعدامهم عن الحياة، فلا أحد يقدر على دفع أمره ولا رده، فهو الغالب القاهر الذي يحيي ويميت، ويبدئ ويعيد، ويفني ويبعث، ولا يُسأل عما يفعلُ ويريدُ، وذلك أن له الملك وحده، ؛ وقد أمر الله تعالى نبيه أن يقول للنصارى الضالين في إلههم ومعبودهم: أن ما تعبدون من دون الله ولو كان عيسى عليه السلام، لا يملك لكم ضرا يدفعه عنكم إن أحله الله بكم، ولا نفعا يجلبه إليكم إن لم يقضه الله لكم، بل هذا لا يكون إلا لله ﷻ، فأخلصوا له العبادة دون العجزة الذين لا يملكون نفعا ولا ضرا، وفي هذه الآيات ذكر صفتين من صفات الله ﷻ، وهي **الملك، والنفع والضر**، وهما من أفراد ربوبية الله وأفعاله ﷻ؛ ومعنى الملك في اللغة: إحتواء الشيء، والقدرة على الإستبداد؛ وقيل: التصرف بالأمر والنهي^(٤)، وقيل: الملك: ما ملكت اليد من مال وخول^(٥)، وورد لفظ **الملك** و**المملك** و**المالك** و**مالك** الملك في آيات كثيرة من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾^(٨)، وورد لفظ الملك في السنة، ومنه قوله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»^(٩)، ومعنى الملك في الكتاب والسنة هو المعنى الوارد في اللغة، يقول شيخ الإسلام: (والمملك قد يراد به القدرة

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٥-٧٦.

(٣) انظر "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (مادة ملك، ٣٥٢/٥)؛ و"تاج العروس" للزبيدي (مادة م ل ك، ٣٤٦/٢٧)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (فصل الميم، ٤٩٢/١٠).

(٤) انظر "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (باب الكاف واللام والميم، ٣٨٠/٥).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٧.

(٦) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٧) سورة طه: الآية ١١٤.

(٨) الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٨٠/٤-رقم ٧٣٨٢).

على التصرف والتدبير، ويراد به نفس التدبير والتصرف، ويراد به المملوك نفسه الذي هو محل التدبير، ويراد به ذلك كله^(١)؛ ويقول ابن القيم: (إذ الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي، فيتصرف في خلقه بقوله وأمره، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك، إذ المالك هو المتصرف بفعله، والمالك هو المتصرف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره)^(٢)؛ وقال ابن كثير في معنى الملك: (أي المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة، ولا مدافعة)^(٣).

فالمُلك هو صفة ذاتية للرب ﷻ، وتعني ملكه واحتوائه لجميع الأشياء، وتصرفه وتدييره في ملكه وقدرته على كل شيء بلا مدافعة ولا ممانعة، والمملك صفة مشتقة من اسمه تعالى الملك، والمالك والمليك. وأما النفع والضرر فهما كذلك من أفعاله سبحانه، مختص بهما، لا يملكهما غيره سبحانه، فالنفع والضرر من أفراد الربوبية ومن خصائص الإلهية، تفرد به الله ﷻ، وذلك يستلزم من العباد أن يعلّقوا رجائهم وخوفهم ودعائهم وتوكلهم بالله وحده دون غيره، ومن توجّه بشيء من تلكم العبادات لغير الله فقد شبّه الله الكامل من كل وجه بالمخلوق الناقص من كل وجه، شبّه الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا بالذي له الخلق والأمر كله^(٤)؛ وقد ضل في هذا الاعتقاد أكثر الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾^(٥)، فالمشركون وإن أفروا بأغلب أفراد توحيد الربوبية إلا أنهم ضلّوا في هذا الأمر، واعتقدوا أنّ غير الله يملك النفع والضرر، ولذلك جاءتهم رسالهم بتقرير اعتقاد أنّ النفع والضرر بيد الله وحده، كما ذكر الله عن هود: ﴿ إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بَعْضُ الْهَيْئَةِ سَوْءٌ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(٥) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُو فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦﴾، وإنكار الله على قوم موسى ﷺ في عبادتهم العجل: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾^(٧)، ومثله ما ذكر من إنكار الله ﷻ على النصارى في عبادتهم عيسى ﷺ الذي لا يملك نفعا ولا ضرا. وكذلك خالفت في ذلك طوائف من هذه الأمة كالقدرية التي زعمت أن الله يخلق الخير والإنسان يخلق فعلة،

(١) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/١٩٥).

(٢) "بدائع الفوائد" لابن القيم (٤/١٦٥).

(٣) "تفسير ابن كثير" (٨/٨٩).

(٤) انظر: "الجواب الكافي" لابن القيم (١/١٣٦)؛ و"تيسير العزيز الحميد" لسليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/٨٨).

(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

(٦) سورة هود: الآيات من ٥٤-٥٦.

(٧) سورة طه: الآية ٨٩.

وكذلك غلاة الرافضة والصوفية التي تعتقد النفع والضرر استقلالاً أو سبباً في أوليائهم وأئمتهم، وكذلك الضالين الذين يعتقدون النفع والضرر في السحرة والكهان فيأتونهم ويسألونهم ويلجئون إليهم في حوائجهم، وقد كان قول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أكمل البشرية يقولون ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وما كانت معجزاتهم والآيات التي تجرى على أيديهم إلا بركةً من الله تعالى لهم لإثبات نبوتهم وصدق دعواهم.

٣- الرزق: قال تعالى: ﴿فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، الرزق هو عطاء الله ﷻ لوقت^(٣)، ومصدره الرِّزْقُ بالفتح، واسمه الرِّزْقُ، ويجوز أن يوضع موضع المصدر، ومنه رَزَقَهُ اللهُ يَرْزُقُهُ رِزْقًا، والرِّزْقُ على لفظ المصدر ما رَزَقَهُ إِيَّاهُ والجمع أرزاق، وهو من صفات الله وأفعاله سبحانه، ومن أسمائه ﷻ الرزاق والرازق، لأنه يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم^(٤)؛ وقد كثر ورود هذه الصفة في القرآن، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا تَوْفِكُونَ﴾^(٥)، وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبيع حاضر لباد، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ»^(٦). والرزق نوعان: ظاهر للأبدان كالأقوات، وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم، ومنه الهدى الذي أرسل الله به الرسل، قال ابن القيم -رحمه الله- في النونية:

والمعنى	وكذلك الرزاق من أسمائه
والرزق من أفعاله نوعان	رزق على يد عبده ورسوله
نوعان أيضا ذان معروفان	رزق القلوب العلم والإيمان
والرزق المعد لهذه الأبدان	

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٣) انظر "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (مادة رزق، ٣/٢٨٨)؛ و"تاج العروس" للزبيدي (مادة رزق، ٢٥/٣٣٦).

(٤) انظر "القاموس المحيط" للفيروز آبادي (فصل الراء، ١/٨٨٦)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (فصل الراء، ١٠/١١٥).

(٥) سورة فاطر: الآية ٣.

(٦) رواه البخاري في "صحيحه" (٣/٧٢-٢١٥٨) مختصراً، والترمذي في "الجامع" بلفظه (٣/٥١٨-رقم ١٢٢٣).

والثاني سوق القوت للأعضاء

في تلك المجاري سوقه بوزان^(١)

والله تعالى كان يرزق مريم عليها السلام رزقا بغير حساب وبلا أسباب ، ولا تسبب منها بسعي منها أو بسعي غيرها من البشر ، كما جاء عنها في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢)، فقد كان يأتيها من الطعام و الثمار في غير حينه^(٣)، وقد رزقها الله أحسن الرزق وأكرمها، في صلاح دينها وقوت دنياها، ومن أعظم رزقها أن جعل من نسلها رسولا عظيما كريما لم يولد بمثله بشر، وهو عيسى عليه الصلاة والسلام .

٤- إذن الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِّعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾^(٥).

فإذن الله تعالى ينقسم إلى قسمين: إذن كوني وإذن شرعي، ومثله في ذلك القضاء والإرادة والأمر والكتاب والحكم والتحریم والكلمات ونحو ذلك يكون كونيا وشرعيا، والإذن الكوني: متعلق بربوبية الله وحلقه، لا بد أن يقع، ولا يلزم منه أن يحبه الله ويرضاه، وهو شامل للخير والشر، فيدخل فيه الإذن الديني الشرعي بالضرورة؛ وكل الآيات السابقة الذكر هي في الإذن الكوني ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ بِضَّكَّارِينَ بِهِءِ

(١) "الكافية الشافية" أو النونية لابن القيم (ص ٢١١).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧

(٣) كما جاءت الآثار بذلك وقد أوردتها في الفصل الأول ، تحت مطلب : اثبات كرامة أم عيسى عليها السلام

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٩ .

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٠ .

مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿^(١)﴾، وقوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿^(٢)﴾.

أما الإذن الديني: فمتعلق بإلاهية الله وشرعه، وهذا قد يقع وقد لا يقع، وهو خاص بالخير، ويلزم منه المحبة والرضا من الله ﷻ عنه كقوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿^(٣)﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ﴿^(٤)﴾.

وتدل هذه الآيات التي مرت معنا أن عيسى ﷺ لم يأت بهذه المعجزات ولم تجر هذه الآيات على يده إلا بإذن الله ﷻ، وهي دلالة صريحة على نفي الألوهية لعيسى ﷺ، وعلى بشريته ﷺ، مع كونه رسولا من عند الله، و ليس هو إله أو ابن إله كما تزعم النصارى، و هذا جاء مصدقا لما في كتابهم المقدس المحرف، فقد ورد في العهد الجديد قولاً لعيسى عليه السلام: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين، ودينوتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني»، وفي نفس الإنجيل، ورد عن عيسى عليه السلام قوله: «متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي». ﴿^(٥)﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٢) سورة التغابن: الآية ١١.

(٣) سورة الحشر: الآية ٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٤؛ وانظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية" (٤١٢/٢)؛ و"شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" لابن القيم (٢٨٢/١).

(٥) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا (٥: ٣٠)، (٨: ٢٨).

المبحث الثاني: ما ورد في تقرير الإيمان بتوحيد الألوهية .

المطلب الأول: الأمر بعبادة الله ﷻ والنهي عن الشرك به سبحانه.

قال تعالى مخبراً على لسان عيسى ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^(١)، وقال: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(٢)، وقال: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾^(٣)؛ وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: « إن الله ﷻ أمر يحيى بن عليهما السلام بخمس كلمات، أن يعمل بهنَّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى: «إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فِيمَا أَنْ تَبْلُغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أَبْلُغَهُنَّ». فقال: «يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى أَنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذِّبَ أَوْ يُخَسِّفَ بِي»... ثم قال: « إن الله ﷻ أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنَّ، وأمركم أن تعملوا بهنَّ، أوْهَنْ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بَوْرَقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأُتِيَكَ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...» الحديث^(٤).

(١) سورة آل عمران: الآية ٥١ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢ .

(٤) تقدم تخريجه ص ٨٥ .

فتنيد الآيات السابقة ما يلي :

- ١- أن عيسى ﷺ يأمر بني اسرائيل الذي بعث لهم خاصة، بتوحيد الله وعبادته والتذلل له وحده.
- ٢- وتفيد تحذيره عليه السلام من الشرك الذي يحرم على صاحبه دخول الجنة، ويؤوي صاحبه إلى النار خالدا فيها ولا يجد له أنصار ينقذوه منها.
- ٣- وتفيد الآية الأخيرة أن عيسى عليه السلام يبرأ يوم القيامة من كون النصرارى عبدته واتخذه هو وأمه آلهة من دون الله سبحانه، وأنه لم يأمرهم بهذا بل أمرهم بما أمر الله ﷻ به جميع الأنبياء والمرسلين بعبادة الله وحده دون ما سواه، و هو علام الغيوب يعلم الضمائر وما تخفي النفوس.
- ٤- ويفيد قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ ^(١)، وقوله تعالى: ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** ﴾ ^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ ^(٣) إقرار عيسى ﷺ أن الله ربه وربهم، ومالكة ومالكهم، وسيده وسيدهم، وهذا يستوجب عليهم توحيد حديده في عبادته ﷻ، كما يقول أهل العلم أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية. ^(٤)
- ٥- والحديث فيه دلالة على أن دين الله الذي أرسل به جميع الرسل والذي لا يقبل دينا سواه هو الإسلام، قال تعالى: ﴿ **قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ ^(٥)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ ^(٥١) ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ** ﴾ ^(٦)؛ وأن الله أمر يحيى وعيسى بالتوحيد والدعوة إليه، وأنه حق خالص لله ﷻ، ولا ينبغي أن يُصرف هذا الحق لغيره سبحانه.

(١) سورة آل عمران: الآية ٥١.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٦.

(٤) انظر "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (٣٧٧/١٤)؛ و"إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان" لابن القيم (١٣٥/٢).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٥١-٥٢.

المطلب الثاني: تقرير عبودية عيسى ﷺ لله ﷻ:

وذلك من خلال ما يلي :

١- أن عيسى عليه السلام إنما هو عبدٌ يعبدُ الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢)، وقال ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٣)؛ ففي هذه الآيات دلالة واضحة أنَّ عيسى ﷺ عبدٌ لله ﷻ، فهو عبد لا يأنف ولا يستكبر أن يكون عبدا ذليلا خاضعا لله ﷻ كما هو حال الملائكة المقربين، وقد اعترف عيسى ﷺ بعبوديته لله كما أظهر نبوته ورسالته بنزول الكتاب عليه، فهو إنما هو عبدٌ لا يُعبدُ، أنعم عليه ربه بالنبوة فهو لا يكذب، و جعله آية وعبرة يستدل به على قدرته سبحانه .

٢- أنه يدعو الله ﷻ فيستجاب له، ولا يُدعى من دونه سبحانه: قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥)؛ فقد دلت الآيات السابقة على أن عيسى عليه السلام كان بشرا رسولا يدعو الله فيستجيب له، وكانت حصول آياته وتحققها بالدعاء، مثل نزول المائدة من السماء، فإنه دعا الله باسمين فقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ فهو هنا يعترف بربوبية الله وألوهيته.

(١) سورة النساء: الآية ١٧٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٣٠.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٥٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

وقد أورد ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه في تفسيره ما يدل على أن إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له ربه، فقال: (وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله)^(١).

وهذه دلالة واضحة على أنه ﷺ يدعو الله ولا يدعى من دون الله سبحانه فيه بطلان دعائه عليه السلام من دون الله سبحانه وتعالى، كما قال المهتدي عبد الله الترجمان^(٢) في رده القوي على النصارى: (وفيه التصريح بأن عيسى قال يا إلهي فأقر بأن إلهاً يدعى في الشدائد، وتبرأ من ادعاء الألوهية فلزم تكذيب عقائد النصارى ضرورة لا محيد لهم عنها، ولكنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون...)^(٣).

٣- بطلان عبادة عيسى ﷺ من دو الله ﷻ: قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُنِّيتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّي يُؤَفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اتَّعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾، وفي الحديث الطويل الثابت في الصحيحين أنه ﷺ قال: «ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر، أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيزاً ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم؛ ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا

(١) انظر: "تفسير الطبري" (٤٣١/٦).

(٢) هو عبد الله بن عبد الله أبو محمد الترجمان الميورقي، قس نصراني أسلم حين بلغ خمساً وثلاثين سنة، له مؤلف في الرد على النصارى وعقائدهم الباطلة اسمه "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"، قال عنه حاجي خليفة في "كشف الظنون" (٣٦٢/١): (تحفة الأريب، في الرد على أهل الصليب لعبد الله بن عبد الله الترجمان، وكان من أفاضلهم. ولما أسلم أراد أن يبين أباظليل نواميسهم، وتناقض أناجيلهم، وفساد عقولهم، بالنقل والعقل، فبدأ بذكر بلده، ومنشئه، ثم رحلته، ودخوله في الإسلام في عصر أبي العباس: أحمد، صاحب تونس...؛ توفي سنة ٣٨٢هـ. انظر: "مقدمة تحقيق كتاب" تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" لصاحبه عمر وفيق الداعوق، وهي رسالة ماجستير.

(٣) "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" لعبد الله الترجمان (ص ١٠٩).

(٤) سورة المائدة: الآيات ٧٥-٧٦.

فيتساقطون...» الحديث^(١). وهذه النصوص تدل دلالة واضحة على بطلان عبادة غير الله سبحانه، سواء أكان نبيا أم كان دونه، وأنَّ كلَّ معبود غير الله تعالى لا يملك نفعا ولا ضرا، وأنَّ الله تعالى لم يدعُ إلى عبادة غيره، وكذلك أنبياءه ورسله وملائكته الكرام، ليس لهم أن يدعوا إلى عبادة أنفسهم فضلا عن غيرهم، قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(٢).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢٩/٩-رقم ٧٤٣٩)؛ ومسلم في "صحيحه" (١٦٣/١-رقم ١٨٢).

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٢.

المطلب الثالث: الشرك في الألوهية:

١-شرك الطاعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١)، أي: اتخذ اليهود والنصارى علمائهم ورؤسائهم أربابا وأسيادا، يطيعونهم في معصية الله، فيحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله؛ وقد جاء عن عدي بن حاتم رضي الله عنه^(٢) أنه قال: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: « يا عدي اطرح هذا الوثن»، وسمعتة يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ ، فقلت: "إنا لسنا نعبدهم" قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه، فتلك عبادتهم»^(٣)، وتشريع الأحكام من حلال وواجب وحرام إنما حق لله تعالى ولرسله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، فهم يطاعون في تشريعهم ، ومن أطاعهم فقد أطاع الله، واعتقاد التشريع وأمره الشرعي داخل من هذه الجهة في الربوبية، ولكن لزوم الطاعة والانقياد لأوامر الله ورسله من العبادة، فهو بذلك داخل في توحيد الألوهية كما في قوله تعالى في

الآية السابقة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ ، ثم قال في خاتمة الآية: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤)، فجعل طاعة الأحرار والرهبان شركا مضادا لعبادة الله وحده التي أمروا بها، وفي الحديث السابق جعل النبي صلى الله عليه وسلم تحليل الحرام وتحريم الحلال عبادة لهم؛ وقد أمرنا بطاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء في المعروف، ولا

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي، أبو وهب وأبو طريف: أمير، صحابي، من الأجداد العقلاء. كان رئيس طيء في الحاهلية والاسلام. خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم. وكان إسلامه سنة ٩ هـ وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الحمل وصفين والنهروان مع علي. عاش أكثر من مئة سنة. وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل، توفي سنة ٦٨ هـ رضي الله عنه. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (١٠٥٧/٣).

(٣) أخرجه الترمذي في "الجامع" (٢٧٨/٥-رقم ٣٠٩٥)؛ وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٥٦/٧-رقم ٣٤٩٣٦)؛ والطبراني في "المعجم الكبير" (٩٢/١٧-رقم ٢١٨)؛ والبيهقي في "السنن" (١٩٨/١٠-رقم ٢٠٣٥١)؛ وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي (برقم ٣٠٩٥).

(٤) سورة التوبة: الآية ٣١.

يطاعون في معصية الله سبحانه؛ ففي وجوب طاعتهم جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني»^(١)؛ وهذه الطاعة تكون في كل حال إلا إن أمروا بمعصية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وَمَنْ سَوَى الرَّسُولِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَائِخِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْمُلُوكِ إِنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُمْ إِذَا كَانَتْ طَاعَتُهُمْ طَاعَةً لِلَّهِ، وَهَمَّ إِذَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِطَاعَتِهِمْ فَطَاعَتُهُمْ دَاخِلَةٌ فِي طَاعَةِ الرَّسُولِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ الآية^(٣)، فلم يقل: وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ بل جعل طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة الرسول؛ وطاعة الرسول طاعة لله^(٤)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل عظيم يفرق بين ما يكون في طاعتهم شرك وكفر، وما يكون معصية أو خطأ مغفور قال رحمه الله (وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا - حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين: (أحدهما): أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا - وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم - فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله؛ مشركا مثل هؤلاء، و (الثاني): أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام^(٥) ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب....، ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذ الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٦١/٩-رقم ٧١٣٧)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٤٦٦/٢-رقم ١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٦٣/٩-رقم ٧١٤٤)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٤٦٩/٢-رقم ١٨٣٩).

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦٦/١٠).

(٥) أشار أحد النساخ في هامش التحقيق: وقوله هنا (بتحريم الحلال وتحليل الحرام) قد أشار عدد من أهل العلم إلى أنها قد تكون تصحيفا

من النساخ، والأظهر أن العبارة هي (بتحريم الحرام وتحليل الحلال).

اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه^(١) وأما ما يقع فيه النصارى من الشرك في طاعتهم فقد اعترف التائبون منهم بهذا الغلو الذي غلت فيه جهال النصارى برؤسائهم وأسيادهم، ومما شرعته رهبان النصارى وقسيسوهم الضالون، التغطيس والتعميد لأطفالهم، والمتنصرين لدينهم الضال، الاعتقاد بالقربان بأكل خبز وشرب خمر واعتقاد أنه لحم عيسى عليه السلام ودمه، والإقرار بجميع الذنوب والمعاصي للبابا واعتقاد أنه خليفة الله في أرضه له أن يغفر ما شاء لمن شاء ويدخل الجنة من شاء و يسرح من النار من شاء ويأخذ على ذلك الأموال الكثيرة، وقد كان أسبقهم في تحريف دين عيسى عليه السلام وما جاء من تصديقه وإقراره لشريعة موسى عليه السلام قبله ، هو بولس عليه من الله ما يستحق ، فقد أبطل كثيرا من الأحكام كالختان و حلل كثيرا من الحرام كلحم الخنزير و الخمور ، إلى غير ما ابتدعه من العقائد الوثنية كالثلث وتوارث الخطيئة والبدع الشركية كالقربان والصلبان^(٢)

٢- شرك الغلو في الصالحين: قال تعالى: ﴿يَتَّهَلَّ الْأَكْتَبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣)، وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَنَّاَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ﴾^(٤)؛ وعن ابن عباس رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»^(٥)، فأفادت الآيات السابقة مع الحديث النبوي بيان ما وقع فيه النصارى من الغلو في دينهم، ومجاوزة الحد في إطرانهم وإفراطهم في حق نبيهم عيسى عليه

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧ / ٧٠ - ٧١)

(٢) انظر كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للمهدي عبدالله الترجمان الأندلسي ص ٧٩ - ٩٧ ، وكتاب المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس للمهدي المعاصر نبي نيقولا جورج ص ٥٠ - ١٢٧

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٤) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٧-رقم ٣٤٤٥).

السلام، بأن جعلوه إلهًا مع الله سبحانه، حيث إنه تعالى نهاهم عن ذلك وأمرهم بألا يقولوا على الله إلا الحق، ولا يعتدوا فيكذبوا على الله سبحانه بإدعاء الولد له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ فعيسى عليه السلام حاله حال نبينا محمد ﷺ، وحال جميع رسل الله وأنبياءه، أنه عبد لله لا يُعبد، ورسول من الله لا يُكذَّب، خُلِقَ بكلمة كن فكان عليه السلام، كما اعترف بذلك وهو في المهدي، قال تعالى على لسانه عليه السلام:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَكَذَّبْتَنِي فَسَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ يَا مَرْيَمُ اقْنُصِي ظَهْرَكَ وَإِنَّمَا تَأْمُرُ بِالسُّلُوكِ الْيَقِينِ ۗ ﴾^(١) والشرك الذي وقع فيه النصارى لم يقتصر على جعل عيسى عليه السلام ابناً لله ﷻ، بل تعدوا ذلك وجعلوه إلهًا مع الله سبحانه، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة؛ يقول شيخ الإسلام بعد أن ذكر أشهر طوائف النصارى: (فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة: الأب والإبن وروح القدس، فتقول عن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح إنه الله، وتقول أنه ابن الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت، وأن المتحد هو الكلمة)^(٢).

وقد شابته النصارى في الغلو في الأنبياء والصالحين طوائف منتسبة إلى الإسلام من غلاة الصوفية والرافضة، حيث إنهم شابهوهم في العموم بأن رفعوا المخلوق الفقير إلى منزلة الخالق الكبير، وألبسوا المملوك العاجز خصائص الإله المليك المالك من خصائص الربوبية والألوهية قال شيخ الإسلام: (ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة، حتى خالط كثيراً منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه)^(٣).

(١) سورة مريم: الآية ٣٠.

(٢) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٢).

(٣) "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨٩/١).

المبحث الثالث: ما ورد في تقرير الإيمان بأسماء الله تعالصفات:

المطلب الأول: ما ورد في أسماء الله تعالى:

إنَّ الانحراف الذي وقع فيه النصارى هو الانحراف في الإيمان بالله ﷻ وما يستوجب هذا الإيمان من اليقين بكمال صفاته وتنزهه في كماله عن مشابهة مخلوقاته، وعن النقائص التي تلزم المخلوق؛ فخللُ النصارى وقع في تعريفهم الإيمانَ بالله ﷻ وذلك بسبب الانحراف في الإيمان بأسماء الله وصفاته الذي هو من الإيمان بالله ﷻ، ولذلك كان لابدَّ من ذكر الأسماء والصفات التي جاءت في سياق النصوص التي ذُكر فيها المسيح عيسى ﷺ أو جاء فيها نفي اتخاذ الولد لله سبحانه .

فأول الأسماء التي ذُكرت:

١ - اسم الله الأعظم (الله) :

وقد ذُكر هذا الاسم في آيات كثيرة منها: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) ، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾^(٣) ، إلى آخر هذه الآيات الكثيرة؛ وهو اسم مشتق من الإله، والإله: هو المعبود وهو المقصود وحده بالعبادة، وقد استوفينا ذكر الإله في بداية هذا الفصل، وفي هذا الاسم العظيم قد انحرَف النصارى فيه انحرافا عظيما، حيث إنهم جعلوا الله ﷻ هو نفسه عيسى الرسول ﷺ، وقد فسروا طبيعة عيسى عليه السلام بأنه الربُّ، وأتحدت عندهم الطبيعتان: اللاهوتية والانسوتية، وجعلوه بثلاثة أقانيم: الآب والابن وروح القدس^(٤)، وقيل غير ذلك؛ فاختلَفوا في تفاصيل هذا البدعة القبيحة اختلافا عظيما، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧ .

(٤) انظر "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٢).

كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٦﴾، قال شيخ الإسلام: (ففي الجملة ما قال قومٌ من أهل الملل قولاً في الله إلا وقول النصارى أقبح منه، ولهذا كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: " لا ترحمهم فلقد سبوا الله مسباً ما سبه إياها أحد من البشر")^(١).

٢- اسم الرحمن:

قال الله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾.

ففي هذه الآيات ذكر هذا الاسم العظيم مرتبطاً ببداية قصة ولادة مريم عليها السلام للمسيح عيسى عليه السلام، فقد استعادت بهذا الاسم بالخصوص ممن جهلت أنه رسول من عند الله؛ وفي هذه الآيات ردُّ على ما ادَّعته النصارى في حق الله تعالى في أنَّ الأب أرسل ابنه الوحيد ليدخل في جوف امرأة، وتحدد طبيعته اللاهوتية بالطبيعة الناسوتية البشرية لكي يخلص النَّاس من الخطيئة التي ارتكبها آدم عليها السلام، بأن يُقتل ويُصلب فترتفع الخطايا عن بني آدم، وهذا ليس من مقتضيات رحمة الله تعالى أن يُحمّل أحداً خطيئة غيره، وهو مقرَّر في الكتب المنزلة على الأنبياء، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾

وَابْتِهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزُرُ وَازِرَةً وَّزَرَّ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾.

(١) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٢) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٠٠).

(٣) سورة مريم: الآيات من ١٦-٢١.

(٤) سورة مريم: الآيات من ٨٨-٩٣.

(٥) سورة النجم: الآيات من ٣٦-٣٩.

وقد اختتم أيضا بهذا الاسم في آخر سورة مريم في معرض نفي اتِّخاذ الله للولد -تعالى الله عما يقولون-، ومن الإعجاز اللغوي اختيار هذا الاسم الذي لا يُسمَّ به إلا الله ﷻ كحال اسم لفظ الجلالة (الله)، فهذان الاسمان علمٌ على ذاتِ الله ﷻ، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(١)، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه بسنده أنه قال: "ليس أحدٌ يُسمَّى الرحمنُ غيره"^(٢)؛ وهذا فيه إشارة للفرق بين مقام الألوهية التي تتعالى وتستغني عن نقائص العباد واحتياجهم وفقدهم، و مقام المخلوق الذي من لوازمه الفقر، ومن خصائصه الحاجة للتناسل والتكاثر.

٣- اسما العزيز الحكيم:

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَابْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ۝٦١ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦٢ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١١٨ ﴾^(٤)، وقال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ ﴾^(٥).

(١) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

(٢) الأثر أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٢٧١/١-٢٧٢ رقم)، واورده ابن حاتم في "تفسيره" (٢٧١٥/٨-٢٧١٥ رقم) بسنده عن الفضل بن شاذان، ثنا إبراهيم بن موسى، أنبأ ابن أبي زائدة، أخبرني إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، به؛ وأورده الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢٥٠/٥).

(٣) سورة آل عمران: الآيات من ٥٩-٦٢.

(٤) سورة المائدة: الآيات ١١٧-١١٨.

(٥) سورة النساء: الآيات: ١٥٧-١٥٨.

وهذه الآيات العظيمة قد ناقشت عدة قضايا جليلة وخطيرة، انزلت فيها أقدام النصارى، وانحرفوا بزبالات أفهامهم عن صراط الله المستقيم، والنهج القويم الذي يوصل إلى رضوان الله وحنان التعميم، الذي يزعمون أنه يكون بالإيمان بالمسيح ابن مريم ربا، و للبشرية مُخْلِصًا، وللذنوبِ مُمَحِّصًا ومُطَهِّرًا.

ففي الآية الأولى ذكر الله ﷻ خلق عيسى عليه السلام، وقد كانت ولادته المعجزة حكمةً من الله الحكيم، والتي كانت من دلائل توحيد الله، وآيةً لبني إسرائيل تدل على عظيم عزته وقهره وعموم قدرته، ونفوذ مشيئته على خلقه، فهو مثل خلقه لعيسى عليه السلام بخلق لآدم عليه السلام أبو البشر، فإنه سبحانه خلق آدم عليه السلام من تراب من غير ذكر ولا أنثى، و خلق زوجته حواء من ضلع زوجها من ذكر بلا أنثى، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١)، وخلق المسيح ﷺ من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر البشر من ذكر وأنثى؛ قال شيخ الإسلام: (فهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان، وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون)^(٢).

فمن عظيم قدرته وقوته أنه خلق عيسى ﷺ بلا أب، كما خلق آدم ﷺ بلا أم ولا أب، وقد قال عن نفسه في خلقه بهذه الكيفية: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾^(٣)، فهو هينٌ يسيرٌ سهلٌ على الله ﷻ، وقد خلقه لحكمٍ عظيمةٍ، فهو آيةٌ وحجةٌ على خلقه، ورحمةٌ لمن آمن به، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(٤).

وأما الآية الثانية فقد ذكر هذان الاسمان: العزيز والحكيم في معرض خطابٍ بين الله ﷻ وعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٰ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيٰ﴾^(٥)، وختمها بمهذين الاسمين فقال: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦)؛ فالآيات تدلُّ على بطلان ألوهية

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) "الجواب الصحيح لمن بدل ين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٥/٤).

(٣) سورة مريم: الآية ٩.

(٤) سورة مريم: الآية ٢١.

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٨.

عيسى ﷺ ونفي اتخاذه ولدا لله سبحانه؛ ومن معاني العزيز: الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، قال أبو سليمان رحمه الله: العزيز هو المنيع الذي لا يُغلب، والعزُّ قد يكون بمعنى الغلبة، يقال منه: عزَّ يَعُزُّ بضم العين من يعز، وقد يكون بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عزَّ يَعُزُّ بفتح العين، وقد يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عزَّ الشيءُ يَعُزُّ بكسر العين، فيتأوَّلُ معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له ^(١)؛ وقد وردت هذه الصفة في تنزيه الله عما يقوله الظالمون المفترون في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ^(٢)، فالله ﷻ ذي العزة والقوة والبطش، سبَّح نفسه عَمَّا يصف هؤلاء المفترون الكاذبون عليه من المشركين والكافرين، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله ^(٣).

ولهذه الصفة ارتباط وثيق بصفة المغفرة لله ﷻ، وهي قضية خطيرة ضلت فيها فهم النصارى، وابتدعوا فيها بدعة حرَّفَتهم عن دين المسيح والصراط الصحيح، وهي بدعة القول بخطيئة آدم عليه السلام من أكله للشجرة وتوريثه هذا الإثم لذريته، وأنَّ هذه الخطيئة لا يُكفرها إلا سفك الدم، فوقع هذا التَّكفير بالصَّلب المزعوم على عيسى ﷻ والذي فدى به البشر ورفع عنهم هذا الوزر العظيم، وهذه البدعة الضَّالة والعقيدة الفاسدة تخدم في أصلين من أصول شجرة الإيمان ^(٤)، التي أنزل الله بها كتبه وأرسل به رسله، الأول: أنَّ لكلِّ إنسان ما سعى، وله ما كسب من عُثمٍ وعليه ما اكتسب من جُرمٍ، وبذلك يتحقق العدل الإلهي، وهو ما جاء به كتابنا المحفوظ وما سبقه من الكتب المنزلة، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ

﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ^(٥)، وقد جاء ذلك صريحاً في الإنجيل المحرف مع ما فيه من الخلط والبهتان؛ والثاني: أنه يهدم أصل اليقين بأن الله على مغفرة الذنب والعفو عن السيئة لقدِيرٍ، وأنه لا يعجزه ذنبٌ أن يغفره، ولا يؤده عقوبة عن صاحبه يمسكه أو يدفعه، ولذلك نجد أن عيسى عليه السلام يختم كلامه بهذين الاسمين: العزيز الحكيم مع ذكر مغفرة الله تعالى.

(١) انظر "الأسماء والصفات" للإمام البيهقي (٩٤/١).

(٢) سورة الصافات: الآية ١٨٠.

(٣) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (١٣٣/٢١).

(٤) والذي ابتدع هذه البدعة هو المحرف اليهودي بولس، انظر كتاب "الغفران بين الإسلام والمسيحية"، إبراهيم بن خليل أحمد - القس سابقا (ص ١٠٦-١١٣)؛ وكتاب "بولس والمسيحية" لمحمد أبو الغيط الفرت (ص ٥١-٦١).

(٥) سورة النجم: الآيات من ٣٦-٣٨.

قال ابن القيم في معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) : (أي: فَإِنَّ مَغْفِرَتَكَ لَهُمْ مَصْدَرٌ عَنْ عِزَّةٍ هِيَ كِمَالُ الْقُدْرَةِ لَا عَنْ عِزِّ وَجْهِهِ)^(٢).

والدليل على ضرورة هذا اليقين، و عظم أجر هذا الاعتقاد ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَأَغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا - أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَأَغْفِرْهُ؛ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا - قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَأَغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^(٣)، وقد جاءت نصوص مصرحة في الإنجيل تخالف عقيدتهم التي ابتدعوها وتوافق ما هو معلوم في ضرورة الدين الصحيح والعقل الصريح بأن الله هو وحده الغفور القدير .

وأما قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤) فهي نظير ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٥)، وقد ذكرت فيها قصة مكر اليهود بعيسى عليه السلام وسعيهم لقتله، ومنة الله تعالى عليه في نجاءه من كيدهم برفعه صلى الله عليه وسلم وإلقاء الشبه على غيره، واختتم صلى الله عليه وسلم الآيات بإسمه العزيز الحكيم، فهو عزيز منيع الجناب لا يرام جنباه ولا يضام من لاذ به، عزَّ جازؤه، ونصرَ رسله، وغلبَ جنوده، مهما حصل من سجال ومكاره فله العاقبة ولأعدائه الخزي والذُّل والهوان، فهو عزَّ عبده عيسى عليه السلام بإنجاءه وانتقامه من أعدائه، وهو الحكيم الذي له الحكمة البالغة والنافذة في تديبه وقضائه وأحكامه^(٦).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٨

(٢) "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" لابن القيم (ص ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٤٥/٩ - رقم ٧٥٠٧)؛ ومسلم في "الصحيح" (٤/٢١١٢ - رقم ٢٧٥٨).

(٤) سورة النساء: الآية ١٥٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٦) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٧٨/٩)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٤٩/٢).

٤- اسما الرقيب والشهيد: ومن أسماء الله تعالى التي وردت اسمي "الرقيب" و"الشهيد" وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(١) وهما بمعنى متقارب، فالرقيب: أي الحفيظ لأعمالهم، والذي لا يغيب عنه شيء، والمرقب لهم، يراهم ويسمعهم أين كانوا، والشهيد: هو الرقيب لهم، الحاضر معهم، أقرب إليهم من حبل الوريد^(٢)، وهذه الآية تذكر محاجة الله ﷻ لعيسى ﷺ في عبادة النصارى لعيسى عليه السلام، وبراءة عيسى عليه السلام وأمه مريم من ادعاء الألوهية واستحقاق العبادة، وأنه لما كان شهيدا حاضرا لم يرضَ بعبادة غير الله تعالى، وهذا حال جميع الأنبياء والأولياء أنهم لا يرضون في حياتهم ما ادَّعى في حقهم من التَّأليه والتَّقديس فوق منزلة العبودية والبشرية، ولا يَمَكَّنُون أحداً من الشرك بهم مع الله ﷻ بل ينهونهم ويتبرئون من ذلك، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾^(٣) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤)؛ وقد فعل ذلك نبينا محمد ﷺ، بل وأحاديثه في ذلك متواترة مستفيضة في نهيهِ عن الشرك ووسائله وذرائعه، فعن ابن عباس ؓ، أن رجلاً قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت؟ فقال ﷺ: « جعلني الله عدلاً » وفي رواية: « ندا »، بل ما شاء الله وحده^(٥)؛ وهذه الآية تدل على أن الأنبياء بعد توفيقهم لا يعلمون الغيب، وغيرُ مَطَّلَعين على ما يكون من العباد، فهم شهداء في حال حياتهم وحضورهم، فقول عيسى عليه السلام: ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ دليلٌ على أنه بعد توفيقه لم يكن الرقيب عليهم إلا الله ﷻ دون المسيح، فإنَّ قوله: { كنت أنت } يدل على الحصر، فَعَلِمَ أَنَّ المسيحَ بعد توفيقه ليس رقيباً على أتباعه، بل الله هو الرقيب المطلع عليهم^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٢) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٢٣٩/١١ وما بعدها)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (٣٦٧/١)؛ و"تفسير ابن كثير" (٢٠٦/٢)؛ و"تفسير السعدي" (ص ٢٤٩)؛ وانظر: "شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة" سعيد بن وهف القحطاني (ص ١١١-١١٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٩-٨٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٣٣٩-٣-١٨٣٩)؛ والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٧٤/١-٢٧٤-١)؛ والطبراني في "الكبير" (١٢/٢٤٤-٢٤٤-١٣٠٠)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١-٢٦٦-١٣٩)؛ وانظر لهذه المعاني: "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام (٨٠/٢٧)؛ و"مدارج السالكين" لابن القيم (٢/٣٨٥).

(٥) انظر "دقائق التفسير" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٩٧-٩٨).

المطلب الثاني : ما ورد في صفات الله تعالى وأفعاله.

إن هناك صفاتٍ لله ﷻ ترد مع سياق نفي ألوهية عيسى ﷺ ونفي اتخاذ الولد أو نفي الشريك، و لكن قد تتأكد وتتكرر بعض الصفات ومن أهمها في بحثنا: ١- صفة الوجدانية والصدمية، ٢- صفة الغنى وصفة الكبرياء والعلو؛ وهي صفات أخذت من الأسماء التي وردت في السياق، ومعلومٌ من قواعد عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى أنه يشتق من الأسماء الصفات.

أولاً: صفة الوجدانية:

وكذلك الأحادية التي لله ﷻ تكررت في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ أَنْتَهُمُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ ۗ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورٌ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحِدًا ۗ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣)، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤) وفي الحديث: «قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَمَ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَمَ أُلِدْ، وَمَ يَكُنْ لِي كُفْوًا أَحَدٌ»^(٥)؛ وصفة الوجدانية التي تثبت لله وحده إنما تكون في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته، وهي صفة لازمة لله تعالى قد أظهرها الله وبينها بآياته الدينية والكونية وقررها مع أنبياءه ورسله، وهي أعظم صفات الرب سبحانه، فهي تنفي عن خلق الله مماثلته ومشاركته في كماله سبحانه، وإليها يرجع كل أنواع حمده من أسمائه وصفاته وأفعاله، قال شيخ الإسلام: (وأما الواحد الذي يفعل وحده فليس إلا الله فكما أن الوجدانية واجبة له لازمة له فالمشاركة واجبة للمخلوق لازمة له والوجدانية مستلزمة للكمال والاشتراك مستلزم للنقصان والنقصان مستلزم له والكمال مستلزم لها)^(٦)؛ وهذه الصفة المأخوذة من اسم الله الواحد

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحیح" (٦/١٨٠-رقم ٤٩٧٤).

(٦) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٦).

والأحد تنافي التجزأة والتقسيم الذي يقول به النصارى في ادعاء أن الله ثلاثة أقانيم: الآب، الابن، روح القدس، وتُنافي ادعائهم ألوهية المسيح عيسى ﷺ فالله إله واحد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

ثانيا: صفة الصمدية:

وأما الصمدية فقد اشتقت من اسم الله الصمد، ولهذا الاسم عدة معاني عند السلف كلها تدور حول ثلاثة أمور والتي تدل على إثبات غاية الكمال لله ﷻ، وهي:

أ- الصمد الذي لا جوف له، فلا يخرج منه شيء، فهو سبحانه لم يلد ولم يولد، ولا يدخل فيه شيء فهو يُطعم ولا يُطعم.

ب- السبيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له.

ج- هو الذي من كماله يفتقر إليه كل ما عداه، ويسأله كل أحد، وهو الغني الذي لا يحتاج إلى أحد^(٢)

وفي إثبات هذه الصفة ردُّ على النصارى الذين وقعوا في الشرك فألَّهوا غير الله ﷻ بزعمهم في عيسى ﷺ، وجعلوا الله الصمد الذي لا يخرج منه شيء والدأ وولداً، فقالوا الله هو الآب وقالوا أنه الابن. قال شيخ الإسلام في الرد على التحريف النصراني: (الولادة والتولد وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين، وما كان من المتولد عيناً قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها، وما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به. فالأول: نفاه بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير، فيمتنع أن تكون له صاحبة، والتوالد إنما يكون بين شيئين، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، فنفى سبحانه

(١) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٢) انظر لهذه المعاني: "تفسير ابن جرير الطبري" (٦٩٢/٢٤)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٣٤٧٤/١٠)؛ و"تفسير البغوي" (٣٣٠/٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠١.

الولد بامتناع لازمه عليه، فَإِنَّ انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم، وبأنه خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق له، ليس فيه شيء مولود له؛ والثاني: نفاه بكونه سبحانه: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾، وهذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين، كتولد الحيوان - من أبيه وأمه - بالمخني الذي ينفصل من أبيه وأمه، فهذا التولد يفتقر إلى أصل آخر، وإلى أن يخرج منهما شيء، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى، فإنه: ﴿أَحَدٌ﴾ فليس له كفؤ يكون له صاحبة ونظير، وهو: ﴿الصَّكْمُ﴾ لا يخرج منه شيء، فلأن الله أحد صمد يمتنع أن يكون والدا، ويمتنع أن يكون مولودًا بطريق الأولى والأخرى^(١).

واسم الصمد وصفة الصمدية تنفيان ألوهية عيسى ﷺ، ذلك بأن الله تعالى صمد لا يأكل ولا يشرب، والله تعالى يقول عن نفسه: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، وقال في وصفه لنبئه عيسى وأمه عليهما السلام: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾^(٣)؛ فالله تعالى لا يدخل فيه شيء، وقد نفى ذلك بنفيه عن نفسه أنه يُطْعَمُ، ووصف نبئه عيسى ﷺ بأنه يأكل الطعام هو وأمه كي يُظهر استحالة استحقاقهم لوصف الألوهية كما يدعيه النصارى، قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي﴾^(٤)، وقد جاء في كتابهم المحرف أن عيسى عليه السلام كان يأكل^(٥).

ثالثا: صفات الغنى والكبرياء والعلو لله ﷻ: ١ - صفة الغنى: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَنِيُّ﴾^(٦)، وأيضا ما يفهم من مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ

(١) انظر "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٠/١٧).

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٥) انظر: "إنجيل يوحنا": [١٣: ١٨]؛ و"إنجيل متى": [٩: ١١].

(٦) سورة يونس: الآية ٦٨.

وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ﴿١﴾ ، وقوله: ﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿٩٣﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٣﴾؛ فالله تعالى يبيِّنُ غناه عن الحاجة والفقر والتي هي من صفات النَّقص، ومن لوازم المخلوق الذي يعاني الشهوة ويفتقر إلى الزواج ويحتاج الذرية وخاصة في الكبر، وكل من سوى الله تعالى إنما هو مخلوق مفتقر إليه، مملوك لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً إلا بإذنه سبحانه؛ قال الإمام ابن جرير: (لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عوناً له في حياته وذكراً له بعد وفاته، والله عن كل ذلك غني، فلا حاجة به إلى مُعين يُعينه على تدبيره، ولا يبيدُ فيكون به حاجة إلى خليفٍ بعده).^(٤)

فصفة الغنى ردُّ على النصارى الذين يعتقدون أن عيسى ﷺ إله ابن إله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- ورغم أن كتابهم المقدس كتابٌ محرَّفٌ إلا أنه قد وُجد فيه نصٌّ يردُّ على هذا الكذب والبهتان العظيم فقد جاء في سفر العدد (٢٣/١٩): (لَيْسَ اللَّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ، وَلَا ابْنُ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمُ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفِي؟).^(٥)

٢- صفتا الكبرياء والعلو: وقد جاءت هاتان الصفتان في سياق آيات عديدة فيها نفي الشريك والنظير لله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿٦﴾، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٧﴾، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿٨﴾، وقوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ

(١) سورة البقرة: الآية ١١٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٣) سورة مريم: الآيات ٩٢-٩٣.

(٤) "تفسير ابن جرير الطبري" (١٤٥/١٥).

(٥) "دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية" للدكتور سعود بن عبدالعزيز الخلف (ص ١٠٧).

(٦) سورة الإسراء: الآية ١١١.

(٧) سورة الحج: الآية ٦٢.

(٨) سورة غافر: الآية ١٢.

يَعِيسَىٰ إِنِّي مُؤَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾؛ وجاء في حديث عدي بن حاتم قوله ﷺ له حينما جاءه مسلما: « ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله؟» قال قلت: لا؛ قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: « إنما تفر أن تقول الله أكبر وتعلم أن شيئا أكبر من الله» الحديث. (٢)

وإثبات هاتين الصفتين: الكبرياء والعلو فيه ردُّ على كثيرٍ من عقائد النصارى لا يسع المقام بذكرها جميعا، ولكن أشير إلى أن علو الله ﷻ وتنزهه سبحانه من صفة النزول إلى الأرض، وهو ما اعتقدته النصارى من كون الرب - وهو عندهم عيسى ﷺ - نزل إلى الأرض، ومعلوم أن العلو صفة كمال وأن النزول صفة نقص؛ لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم كما عنهم في حديث جابر ﷺ قوله: "كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا" (٣)؛ كما أنهما تعالجان خللا عقديا بأن الله أرسل ابنه الذي هو منه متحدٌ معه، وأنزله إلى الأرض، وجعل ابنه - وهو الإله في معتقدهم -، متجسداً في صورة آدمي، محبةً لعباده وليكفر عنهم خطيئة آدم التي توارثوها؛ وكذلك كبرياءه سبحانه يناهز كونه يُخلق في جوف امرأة ويتكون فيها من لحم وعظم ودم ثم يخرج منها كما يخرج الطفل الضعيف الذي لا يملك قوة ولا قدرة؛ وكذلك يرضى هذا الإله لنفسه أن يُصلب تواضعا، كما جاء في كتابهم المخرف في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلي (١/٧-٨): { ٧ لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ، ٨ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ } (٤) - تعالى الله عما يقولون-؛ وبتقرير هاتين الصفتين يفرق بين مقام الألوهية ومنزلة العبودية، فالله تعالى عليٌّ عالٍ على عباده، بائنٌ من خلقه، كبير أكبر؛ و بهذا يعلم تخصيص النبي ﷺ بوصف الله أنه أكبر في حديث عدي المتقدم حينما قال له النبي ﷺ: « إنما تفر أن تقول الله أكبر وتعلم أن شيئا أكبر من الله». (٥)

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٢) أخرجه الترمذي في "الجامع" (٢٠٢/٥-٢٩٥٣ رقم)؛ وصححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٤٥٤/٦).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٥٧/٤-٢٩٩٣ رقم).

(٤) انظر: "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة" د. منقذ بن محمود السقار (ص ٦٤)، و كتاب "المسيح عليه السلام / دراسة سلفية" لرفاعي سرور، وقد استفدت منه استفادة عظيمة في باب أسماء الله وصفاته المرتبطة بشأن عيسى ابن مريم عليهما السلام

(٥) أخرجه الترمذي في "الجامع" (٢٠٢/٥-٢٩٥٣ رقم)؛ وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٤٥٤/٦-٢٩٥٤ رقم).

المطلب الثالث: المضاف إلى الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(١)؛ وقال ﷻ: ﴿ يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾^(٢)، وقال ﷻ: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَذِكْرَ اللَّهِ وَلِقَائِهِ إِنَّهَا سَأَلَ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْتَفْتِيكَ فِي الْمَرْيَمَ إِذْ نَادَتْ رَبَّهَا بِأُمَّةٍ مِّنْ دُونِ آلِ إِبْرَاهِيمَ حَتَّىٰ جَاءَهَا الْحَمِيمُ ﴾^(٤).

وجاء في السنة النبوية أحاديث منها :

١- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ».^(٥)

٢- وجاء في حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: « اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » الحديث.^(٦)

٣- وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه في الشفاعة وفيه: « فيأتون موسى فيقول لست هناكم - ويذكر لهم خطيئته التي أصاب - ولكن اتتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه » الحديث.^(٧)

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١ .

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢ .

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٥-رقم ٣٤٣٥)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/٥٧-رقم ٥٨).

(٦) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٣٤-رقم ٣٣٤٠)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/١٨٤-رقم ١٩٤).

(٧) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٩/١٢١-رقم ٧٤١٠).

إنَّ من مسائل العقيدة التي تكلم فيه المحققون من أهل العلم ما يُعرف بالمضاف إلى الله تعالى، ويظهر لنا من النصوص السابقة أنَّ مما أُضيف إلى الله تعالى فيما وُصف به نبي الله عيسى عليه السلام أمرين:

الأول: أنَّ عيسى عليه السلام وصف بأنه كلمة من الله، أو أنه كلمة الله.

الثاني: أنَّ عيسى عليه السلام وصف بأنه روح منه، و روحه.

وهذا يعرف في كتب أهل السنة بالمضاف إلى الله تعالى، والمضاف الذي ذكر في كتب أهل السنة قسمان: أعيان وأوصاف:

١- الأعيان: وهو ما يكون قائما بنفسه، بائنا مستقلا عن غيره، وهذا إن أُضيف إلى الله تعالى فهو لا يكون من وصف الله ولا من ذاته سبحانه، بل هو مخلوق مربوب مملوك لله تعالى، وكانت إضافته التي تذكر في النصوص الشرعية إما لتخصيصه بتشريف أو تمييز كما هو الحال في نبي الله عيسى عليه السلام في كونه كلمته وروح منه، وكذلك جبريل عليه السلام في قوله تعالى عنه: ﴿ **مِنْ رُوحِنَا** ﴾^(١)، وكما يقال: ناقة الله، قال تعالى: ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴾^(٢)، وبيت الله تعالى قال سبحانه: ﴿ **وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ** ﴾^(٣)؛ وإما لدخوله في عموم خلقه كقول تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ** ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾^(٥)، ويسمى النوعان إضافة ملك.

٢- الأوصاف: وهي التي تقوم بغيرها، لا تستقل بذاتها، وليس لها محل تقوم به - قبل الإضافة - فلها ثلاثة أحوال: أ- فهي إن أُضيفت إلى الله تعالى ولم تكن صفة قائمةً بمخلوق فهي من صفات الله تعالى كما تليق بجلاله وجماله وعظمته، وليس من صفاته مخلوق ككلام الله وقدرته وعلمه سبحانه، وتسمى إضافة وصف. ب- وهي إن أُضيفت إلى مخلوق وكانت قائمة به فهي مخلوقة مناسبة لضعفه ونقصه وفقره، وقد تضاف إلى الله تعالى -لتشريفٍ أو تخصيصٍ- لكنها صفة لمخلوقٍ، فهي مخلوقة، كنفخة جبريل

(١) الروح عين قائمة بنفسها كما تدل النصوص الشرعية على ذلك، وكما هو مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة؛ انظر "مجموع الفتاوى" للشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٧)؛ و"كتاب الروح" لابن قيم الجوزية (ص ١٤٦).

(٢) سورة الشمس: الآية ١٣.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٤) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٧.

قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمَاءٌ خَيْرٌ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾^(٢).

ج - وهي إن أطلقت بلا إضافة فهي معنى موجود في الذهن لا وجود لها في الخارج حتى تضاف.^(٣)

أما كون عيسى عليه السلام قد وصف بأنه كلمة الله وكلمة منه سبحانه، فقد جاء في تفسيره معاني مختلفة^(٤)؛ أرجحها ما فسره الإمام قتادة - رحمه الله - وتابعه فيها شاذ بن يحيى الواسطي حيث فسروا قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٥)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٦) أي: (أن الله تعالى قال له: كن فكان عيسى عليه السلام، وأنه ليس عيسى عليه السلام هو الكلمة بل بكلمة كن صار عيسى عليه السلام)^(٧)؛ وقد رجحت هذا التفسير لكون الأئمة المحققين كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم كانوا يحتجون بها على المخالفين، سواء الجهمية الذين يرون أن صفات الله وكلامه مخلوق، أو النصارى الذين يعتقدون بألوهية عيسى عليه السلام لأنه كلمة الله وروحه، قال الإمام أحمد: (وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان فالكن من الله قوله وليس الكن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته لأن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال هذه الخرقه من هذا الثوب، وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة).^(٨)

وقد فسر الإمام ابن جرير كلمة الإمام قتادة بقوله: (فسماه الله **رَجُلًا** "كلمته"، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدر الله من شيء: "هذا قدر الله وقضاه"، يعني به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث)، وإن كان

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٣) انظر "كتاب الروح" لابن القيم (١/١٥٤)؛ و"شرح الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (٢/٥٦٤)؛ و"مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/١٤٤)؛ و"القول المفيد شرح كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (١/٧٥).

(٤) انظر الفصل الخامس المبحث الأول المطلب الأول.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٧) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٩/٤١٩)؛ و"تفسير البغوي" (٢/٣١٤)؛ و"تفسير ابن كثير" (٢/٤٧٧)؛ و"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام (٢/١٧)؛ و"مجموع الفتاوى" لابن تيمية (٩/٢٩١).

(٨) "الرد على الجهمية والزندقة" للإمام أحمد (ص ١٢٦).

الإمام ابن جرير لا يرجح هذا التفسير^(١)، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٢)، فعيسى عليه السلام سُمِّيَ كلمةً الله أو كلمة من الله لأنه خُلِقَ بكلمته "كن" من أم بلا أب، لا كعادة الله في البشر أن يخلقهم من ماء دافق يخرج من بين صلب الرجل وترائب الأثني، فكلمة "كن" كلام الله تعالى غير مخلوق، والكائن بها وهو عيسى عليه السلام مخلوق؛ أما كون عيسى عليه السلام وصف بأنه روح من الله، أو روحه، فقد فسرت بعدة تفاسير لا تخالف بعضها بعضاً، فهي روح مخلوقة نفخت عن طريق روح القدس جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، وقد أضيفت هذه الروح إلى الله تعالى تمييزاً وتشريفاً^(٣)، وهذه الروح التي نفخت في مريم عليها السلام عينٌ مخلوقة كما قال الإمام الدارمي^(٤) في رد له: (فبين الروح والكلمة فرق في المعنى لأن الروح الذي نفخ فيها مخلوق امتزج بخلقه والكلمة من الله غير مخلوقة لم تمتزج بعيسى ولكن كان بها)^(٥)؛ فمعنى كلمة روح منه أو روحه: أي روح من الأرواح التي خلقها الله عز وجل نفخها روح القدس الذي أرسله الله تعالى وهو جبريل عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(٧)، وروحنا هنا هو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٨)، قال شيخ الإسلام في توضيح هذا المعنى: (روح الله التي أرسلها إلى مريم وهي مخلوقة، فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى أن يكون مخلوقاً)؛ إلى أن قال: (فهذا الروح الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً مخلوق وهو روح القدس

(١) انظر القول وترجيحه "تفسير ابن جرير الطبري" (٤١٩/٩).

(٢) سورة مريم: الآية ٣٤-٣٥.

(٣) انظر الفصل الخامس المبحث الأول المطلب الأول.

(٤) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد؛ الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبو سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني، صاحب "المسند" الكبير و"الرد على بشر المريسي"؛ ولد: قبل المائتين بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث. أخذ علم الحديث وعلمه عن علي ويحيى وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لهجا بالسنة، بصيراً بالمناظرة. توفي في ذي الحجة، سنة ثمانين ومائتين. انظر "سير أعلام النبلاء" (٣١٩/١٣).

(٥) "نقض الإمام عثمان الدارمي على المريسي" (٦٧٥-٦٧٤/٢).

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٧) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٨) سورة مريم: الآية ١٧.

الذي تُخلق المسيحُ منه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقاً فكيف الفرع الذي حصل منه وهو روح القدس^(١)؛ فدل ذلك على أن عيسى عليه السلام مخلوق.

والخلاصة من هذا: أن عيسى عليه السلام مُيِّزٌ عن سائر البشر بأنه كلمة من الله وروح منه، وذلك لكونه مُخلَقٌ بإعجاز وآية، فهو مخلوق بلا سبب اعتيادي ولا سنة معهودة، بل بكلمة الله "كن" فكان عيسى عليه السلام، وروحه كانت مميزة عن بقية البشر مع كونها مخلوقة كسائر الآدميين، إلا أنها خُلقت عن طريق نفخ روح القدس جبريل عليه السلام في رحم مريم عليها السلام فحبلت به، لا كسائر البشر يخلق من ذكر وأنثى ثم ينفخ بعد مضي أربعة أشهر^(٢)؛ وهذا الباب -باب الإضافة- باب عظيم، قال القرطبي عند تأويل قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ أَلَكِتَابِ لَّا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: ((هذا الذي أوقع النصرى في الإضلال ؛ فقالوا : عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا)^(٣) وقد قال شيخ الإسلام في هذه المسألة العظمى: (وهذا الأصل الذي ذكرته من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلُّهم، فإنَّ كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه وأشياء على هذا الوجه، فاختلف الناس في هذه الإضافة)^(٤).

وأقول هنا : الحمد لله الذي هدانا ووقفنا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا.

(١) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام بن تيمية (٦٩/٤).

(٢) المصدر السابق (٧٠/٤).

(٣) "تفسير القرطبي" (٢٢/٦).

(٤) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية (١٦١/٢).

المطلب الرابع: ما ورد في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وِلْدَانًا سُبْحٰنَهُۥٓ بَلْ لَهُۥ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلُّ لَهٗ قٰنِیْنُوْنَ ﴿۱۱۳﴾
بَدِیْعِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِؕ وَاِذَا قَضٰی اَمْرًا فَاِنَّمَا یَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فِیْكَوْنُ ﴿۱﴾، وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ اَنْتَ یَكُوْنُ لِیْ وِلْدًا وَّلَمْ یَمْسَسْنِیْ بَشْرًا قَالْ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُؕ اِذَا قَضٰی اَمْرًا فَاِنَّمَا یَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فِیْكَوْنُ ﴿۲﴾، وقال تعالى: ﴿ اِنَّ مَثَلَ عِیْسٰی عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهٗ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهٗ كُنْ فِیْكَوْنُ ﴿۳﴾، وقال تعالى: ﴿ قَالْ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلٰی هٰیٓنٍ وَّلِنَجْعَلُهٗ ءَایَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ اَمْرًا مَّقْضٰیًا ﴿۴﴾، وقال تعالى: ﴿ ذٰلِكَ عِیْسٰی ابْنُ مَرْیَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِیْ فِیْهِ یَمْتَرُوْنَ ﴿۵﴾ مَا كَانَ لِلّٰهِ اَنْ یَّخْذَ مِنْ وِلْدٍ سُبْحٰنَهُۥٓ اِذَا قَضٰی اَمْرًا فَاِنَّمَا یَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فِیْكَوْنُ ﴿۶﴾. (۵)

تشير الآيات السابقة إلى أمرين :

الأول: الإيمان بالقضاء والقدر. والثاني: قدرة الله في التأثير على الأسباب

الأول: الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الستة، التي جاء ذكرها في حديث جبريل المشهور حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (٦)، وقد جاءت نصوص القرآن دالة على ذلك، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ قَدْرًا مَّقْدُوْرًا ﴿۷﴾، وقال تعالى: ﴿ اِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنٰهُ بِقَدْرِ ﴿۸﴾، ومعاني القضاء والقدر في اللغة واستخداماتها في القرآن كل واحد منهما يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تقول إلى إحكام الشيء وإتقانه وإنفاذه ونحو ذلك من معاني

(١) سورة البقرة: الآية ١١٦-١١٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

(٤) سورة مريم: الآية ٢١.

(٥) سورة مريم: الآية ٣٤-٣٥.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" (١/٣٦-٣٧-رقم ٨).

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.

(٨) سورة القمر: الآية ٤٩.

القضاء^(١)؛ ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير والحكم والخلق والحتم ونحو ذلك^(٢)، والله سبحانه قدر مقادير الخلق فعلمها وكتبها وشاءها وخلقها، وهي مقضية ومقدرة تقع حسب أقداره، وقد عرفه الدكتور عبد الرحمن المحمود بتعريف جميل فقال: (هو تقدير الله تعالى للأشياء في القَدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابتها لذلك، ومشيتها له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقها لها)^(٣)، ويمكن أن يختصر بأنه علم للأشياء في الأزَل وكتابتها لها ومشيتها وخلقها لها، وهو أربع مراتب: أولاً: العلم، ثانياً: الكتابة، ثالثاً: المشيئة، رابعاً: الخلق والتكوين^(٤).

الثاني: قدرة الله في التأثير على الأسباب :

أن الله تعالى بحكمته جعل في الكون سنناً جارية وعادات معهودة معروفة، وجعل لكل شيء سبباً، والأسباب مرتبطة ببعضها ببعض، وجعل للأسباب تأثيراً بإذنه فجعل في الماء الري، وجعل في النار الإحراق، وبالزواج والتناكح التكاثر والذرية، ولكنه في خلق عيسى عليه السلام بهذه الصفة، آية تدل على قدرته سبحانه في خلق الأشياء، وقدرته النافذة في تغيير سننه الجارية على خلقه، وفي خرق العادات والتأثير على الأسباب، وإرادته سبحانه نافذة في خلقه سواء اجتمعت لها أسبابها المعهودة أو انتفت عنها هذه الأسباب المعروفة، فالعادة الجارية في خلق المخلوقات التزاوج بين الذكر والأنثى فينتج عنه المولود، لذلك قالت مريم عليها السلام: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾^(٥)، أي: كيف يكون لي ولد ولم أتزوج، ولم أك بغياً زانية فقال لها الملك جبريل عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾^(٦)، وفي آية أخرى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(٧)، أي: فأجابها جبريل عليه السلام أن الله ربك قال: إن خلق الغلام بهذه الصفة هو هيئ سهل علي، لا يتعذر ولا يصعب، وكان أمراً قد قضاه الله ومضى في حكمته وسابق علمه أنه كائن منك، وذلك لنجعله آية وعلامة على قدرته سبحانه، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على

(١) انظر "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (٩٩/٥)؛ و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٧٨/٤)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (١٨٦/١٥).

(٢) انظر "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (٦٢/٥)؛ و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٢٢/٤)؛ و"مختار الصحاح" للرازي (٢٤٨/١)؛ و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي (٤٦٠/١).

(٣) "القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة" عبد الرحمن المحمود (ص ٣٩).

(٤) انظر "شفاء العليل" لابن القيم (ص ٢٩).

(٥) سورة مريم: الآية ٢٠.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٧.

(٧) سورة مريم: الآية ٢١.

الأقسام الممكنة لبيان عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١)، وخلق المسيح عيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى^(٢)، وشواهد خلق الله عز وجل في تأثيره على الأسباب، وأنه هو المدبر لها والمصرف لها والمانع لوقوع أثرها كثيرة قال شيخ الإسلام " وكل ما خلقه من الأسباب فإنه موقوف على سبب آخر يَشْرِكُهُ وَيُعِينُهُ، وله مانع يَحْجُبُهُ وَيُعَوِّقُهُ، فما من الموجودات شيء يستقل بالتأثير غيرُ الله، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما جعل سببًا كإحراق النار فلا بد له من مُعين، وهو قبولُ الخلق، وقد يَحْصُلُ مانع كما حصل في نار إبراهيم، وبهدى الرسل ودعائهم يهتدي الخلق، ولكن هدى الخلق موقوف على قبولهم، وقد يكون القلب مائلًا للهدى، لكن يَحْصُلُ له مانع يُعَارِضُهُ، كما قال: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُزُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ... ((١١٢)) " (٣)

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٦٨/٦)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (١٢٤/٣)؛ و"تفسير ابن كثير" (٩٤/٢)؛ و"تفسير السعدي" (ص ٤٩١)؛ و"مجموع الفتوى" لابن تيمية (٦٠٦/٢٨).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية ٢ / ٧٩

(٢) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٦٨/٦)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (١٢٤/٣)؛ و"تفسير ابن كثير" (٩٤/٢)؛ و"تفسير السعدي" (ص ٤٩١)؛ و"مجموع الفتوى" لابن تيمية (٦٠٦/٢٨).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية ٢ / ٧٩

الفصل الرابع: مسائل العقيدة فيما ورد في نبي الله عيسى عليه السلام في مسائل الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب: (وفيه مبحثان)

المبحث الأول: مسائل العقيدة في ما ورد في نبي الله عيسى عليه السلام في مسائل الإيمان بالملائكة عليهم السلام: (وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول: بشرى الملائكة عليهم السلام لمريم عليها السلام بعيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: تسمية الملك جبريل عليه السلام بروح القدس.

المطلب الثالث: تمثل جبريل عليه السلام بصورة رجل.

المطلب الرابع: النفخ في جيب مريم عليها السلام وحملها بهذا النفخ.

المبحث الثاني: مسائل العقيدة التي وردت في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالكتب: (وفيه أربعة مطالب)

المطلب الأول: الإيمان بما أوتي عيسى عليه السلام، وأنها من كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: مصادر التشريع عند عيسى عليه السلام.

المطلب الثالث: تعريف الإنجيل، ورسالة عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: تحريف الإنجيل، وأسباب تحريفه.

الفصل الرابع: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نبي الله عيسى عليه السلام في الإيمان بالملائكة والكتب.

المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

المطلب الأول: بشرى الملائكة عليهم السلام لمريم عليها السلام بعيسى عليه السلام.

قد مر معنا سابقا أن الله تعالى قد اصطفى مريم عليها السلام على نساء العالمين، كما اصطفى أبويها في الفضل والشرف، وقد قصت علينا الآيات أن الله تعالى أرسل لمريم عليها السلام الملائكة عليهم السلام تبشّرها بأنها ستكون أمّا لنبيّ بلا أب؛ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(١)، وذكرت الآيات أيضا أنها أُخبرت مرةً أخرى عن طريق ملكٍ أرسل إليها وهو روح القدس؛ قال تعالى: ﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾^(٢)؛ وظاهر الآيات يدل على أن الإخبار بمقدّم عيسى عليه السلام جاء مرتين، مرة عن طريق الملائكة، ومرة عن طريق الملك الذي سمي بالروح، والذي سيظهر فيما بعد أنه جبريل عليه السلام، و لم أجد في هذا الأمر شيء مؤكد، هل الإخبار مرة واحدة أو مرتين؛ ولكن المهم في بحثنا أن هذه الآيات تدل على ركن مهم من أركان الإيمان ألا وهو الإيمان بالملائكة وهو (ويتضمن ذلك الإيمان، بأنهم أحياء ناطقون ، مخلوقون من نور^(٣)، وأنهم لا يحصي عددهم إلا الله ، وأن لهم من العلوم، والأحوال، والإرادات، والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال وأهم معبّدون مدينون مقهورون لله الواحد القهار جل وعلا ليس لهم في الربوبية والألوهية شيء ، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْئَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ ﴾^(٤)، ويتضمن أيضا الإيمان بمن سماه الله منهم في كتابه أو جاءت به السنة) ، و النور الذي خلقوا منه حتما مخلوقٌ خلقه الله تعالى أوّلا، ثم خلق منه الملائكة كما خلق الله تعالى النار وخلق منها الجنّ، و كما خلق الله الطيرَ وخلق منه آدم عليه السلام؛ وقد دلّت النصوصُ الشرعيةُ أنهم خلقٌ كثيرٌ

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) سورة مريم: الآيات من ١٧-١٩.

(٣) كما ثبت في صحيح مسلم في من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: « خلقت الملائكة من نور(٤/٢٢٩٤- رقم ٢٩٩٦).

(٤) سورة الأنبياء: الآيات ٢٦-٢٩.

لا يحصيهم إلا الله تعالى، والله الحكمة البالغة في خلقهم، فهم لهم وظائف موكلون بها مع عبادتهم وتسييحهم لله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾^(١)، وهذه الوظائف قد فصلت في النصوص الشرعية، ولسنا بصدد التفصيل فيها، ولكن الآيات التي ذكرت أنفا تدل على أنهم يتكلمون مع غير الأنبياء كما يتكلمون مع الأنبياء، و ذلك للتبشير أو السلام أو الابتلاء، ويفهم عنهم بلا ترجمان كما دلت على ذلك النصوص الشرعية، ودلت الآيات السابقة الذكر على ولايتهم لعباد الله المؤمنين المتقين، وحبهم لهم، وبشارتهم لهم، خاصة عند الممات^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾^(٣)؛ فهم قد تولوا أمة الله مريم عليها السلام، وأحبوها وبشروها، لأن الله أحبها من قبل وتقبلها وأنبأها نباتا حسنا، وقد جاء في الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٤).

(١) سورة الأنبياء: الآيات ١٩-٢٠.

(٢) انظر : معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين للدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل ، ولإستزادة انظر الكتاب المذكور وكتاب عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر الأشقر

(٣) سورة فصلت: الآيات ٣٠-٣١.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٤/٨ - رقم ٦٠٤٠)؛ ومسلم في "الصحيح" (٤/٢٠٣٠ - رقم ٢٦٣٧).

المطلب الثاني: تسمية الملك جبريل عليه السلام بروح القدس.

ورد في قصة مريم عليها السلام حينما أراد الله ﷻ مَوْلِدَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عِيسَى ﷺ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَلَكًا كَرِيمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلَنَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿١﴾

وقد سُمِّيَ هَذَا الْمَلِكُ الْكَرِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالرُّوحِ، وَأَضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "رُوحَنَا"، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرُّوحُ هُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مَنَّتَهُ عَلَى نَبِيِّهِ عِيسَى ﷺ بِتَأْيِيدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ﴾ ﴿٢﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ﴿٣﴾؛ وَقَدْ اختلف السلف في تفسير معنى روح القدس، والراجح أنه جبريل عليه السلام، كما فسره بعض السلف، ونصوا عليه كابن مسعود رضي الله عنه، ورجحه أئمة المفسرين كابن جرير وابن كثير والمحققون كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم ^(٤)، وقد جاءت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة مؤيدة لذلك كما قال تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥﴾، وَ الَّذِي نَزَلَ بِالْقُرْآنِ هُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦﴾.

(١) سورة مريم: الآيات ١٦-٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٤) انظر: "تفسير ابن جرير الطبري" (٢/٢٢١ وما بعدها)؛ و"تفسير البغوي" (١/١١٩)؛ و"تفسير ابن كثير" (١/٣٢١)؛ و"أضواء البيان"

للشنقيطي (٢/٤٥٣)؛ و"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٠).

(٥) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٦) سورة البقرة: الآية ٩٧.

وقد تبين من هذه الآيات عدة أمور عقديّة:

١- أنّ عيسى عليه السلام كان مُؤيِّدا بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام كما سبق في الآيات، ومعنى القدس هو الطاهر المطهر، قيل لأن جبريل عليه السلام خُلِق من الطهارة^(١)؛ ومعنى تأييد عيسى ﷺ بروح القدس أي أنّ الله قوّاه وأعانَه بجبريل عليه السلام؛ قال البغوي في "تفسيره": (وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله ﷻ إلى السماء، وقيل: سُمي جبريل عليه السلام روحا للطفاته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب).^(٢)

وقال شارح الطحاوية: (هو جبرائيل عليه السلام، سُمي روحًا لأنه حاملُ الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرُّسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين ...).^(٣)

٢- أنّ من أسماء جبريل عليه السلام روح القدس، وهو عين قائمة بنفسها، لا أنه من صفات الله تعالى، التي لا تنفك عن الله ﷻ، كحياته وعلمه، وهذا الأمر الذي ضلت فيه النصارى كما سبق ذكرت ذلك في الفصل السابق، حيث إنَّها جعلت تأييد عيسى عليه السلام بروح القدس من خصائص عيسى عليه السلام وحده، وأنه دالٌّ على ألوهيته وأنه الأفتوم الثالث، وذلك بأن فسروا هذه الروح أنها صفة الحياة التي هي من صفات الله تعالى، وعمدتم في ذلك ما جاء في وصية عيسى عليه السلام لتلاميذه: ((١٨) فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعْ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، (١٩) فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا بِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»؛ فجعلوا الله ﷻ ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ويُردُّ عليهم أنّ هذا التأييد ليس مختصا بعيسى عليه السلام كما في القرآن وسنة نبيه ﷺ، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان ﷺ: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله».^(٤)

وقد ذُكر ذلك أيضا في كتابهم المقدس عن بعض الأنبياء كداود و زكريا وغيرهم من الأنبياء ، بل إن تلاميذ وحواري عيسى ﷺ كانوا مُؤيِّدين بروح القدس في دعوتهم وكلامهم كما جاء ذلك عن عيسى عليه

(١) "تفسير ابن جرير" (٢٢٣/٢)؛ و"تفسير البغوي" (١١٩/١)؛ و"تفسير ابن عطية" (١٧٦/١)؛ وانظر: "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (٦٣/٥)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (١٦٩/٦).

(٢) "تفسير البغوي" (١٢٠/١).

(٣) "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (٤٣١/٢).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٩٣٥/٤ - رقم ٢٤٩٠).

السلام، فإذا هذا التأييد ليس مختصاً بعيسى عليه السلام؛ فقد جاء في العهد الجديد عن عيسى عليه السلام قوله لتلاميذه ((وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَسِبُونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لَأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ))^(١) وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا التأول كذبٌ على عيسى عليه السلام فقال: (وليس في القرآن ولا في الإنجيل ولا غير ذلك من كتب الأنبياء أن روح القدس الذي أُيِّد به المسيح هو صفة الله القائمة به، ولا هي حياته، ولا أن روح القدس ربٌّ يخلُق ويرزقُ، فليس روح القدس هي الله ولا صفة من صفات الله، بل ليس في شيء من كلام الأنبياء أن صفة الله القائمة به تسمى ابنا ولا روح القدس)^(٢). فروح القدس ليس صفة قائمة بالله تعالى لا تنفك عنه، بل هي عين قائمة بنفسها، مستقلة عن الله ﷻ، ويدلُّ على ذلك ظاهر نصوص كتابهم، كما مر معنا أنه سيعلمهم روح القدس، فكيف لصفة الحياة أن تعلم الحواريين؟!

ومن الآثار الدالة على أن روح القدس الذي أرسل إلى مريم عليه السلام هو جبريل عليه السلام:

- ١ - عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهَا فِيمَا ذَكَرْنَا لَنَا جبريل. ^(٣)
- ٢ - وعن وهب بن منبه، قال: وجدتُ عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا. ^(٤)
- ٣ - وعن ابن جريج، قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ قال: جبريل. ^(٥)
- ٤ - وعن سعيد بن جبیر قوله في الآية: " نفخ جبريل في درعها، فبلغت حيث شاء الله " ^(٦)

(١) إنجيل لوقا ١٢: (١١-١٢)

(٢) "الحوار الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٨٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٤٠٣)، وتفسير ابن جرير (١٥ / ٤٨٥)

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٥ / ٤٨٦).

(٥) المصدر السابق

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٤٠٣)

المطلب الثالث : تمثّل جبريل عليه السلام بصورة رجل لمريم عليها السلام :

قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿٢١﴾

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢١﴾ (١) ؛ دلت الآيات السابقة أن الملك الذي أرسله الله تعالى إلى مريم عليها السلام - وهو جبريل عليه السلام- قد جاءها بصورة رجل سويّ الخَلقة من بني آدم، فاستعادت بالله منه، فكلمها، وبيّن لها أنه ملك مرسل من ربّه، ليكون سبباً في أن يهبها الله الولد المبشّر به، وهو عيسى عليه السلام. (٢)

وهذا التمثّل والتشكّل مما يقدرُ عليه الملائكةُ عليهم السلام، أقدرهم عليه الله تعالى، وهو التصوّر بصور مختلفة بغير صورتهم التي خُلِقوا عليها، وقد جاءت نصوصٌ في الكتاب وقصصٌ ثابتة في السُنّة، تدلُّ على قدرة الملائكة في التصوّر والتمثّل كما جاءوا ضيوفاً إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام، وكذلك أنهم يتمثّلون ويتنزّلون للأنبياء ولغير الأنبياء بإذن الله تعالى كما في قصة مريم عليها السلام.

عن السديّ، قال: فلما طهرت، يعني مريم من حيضها، إذا هي برجل معها، وهو قوله: "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" ، يقول تعالى ذكره: فتشبه لها في صورة آدميّ سويّ الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق. (٣)

(١) سورة مريم: الآيات ١٦-٢٢.

(٢) انظر: "تفسير ابن جرير" (٤٨٦/١٥)؛ و"زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (٢١٧/٥).

(٣) المصدر السابق.

المطلب الرابع: النفخ في جيب مريم عليها السلام وحملها بهذا النفخ:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۝٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٢﴾^(٢)، وقال ﷺ: ﴿ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِسْمٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾^(٣)؛ ذكرت الآيات السابقة أن جبريل عليه السلام قال لمريم عليها السلام أنه مرسلٌ إليها من الله تعالى ليهب لها غلامًا زكيًا، طاهرًا من الذنوب، وهو عيسى ﷺ، يُخلقُ بكلمة (كن) من غير أن يكون له أبٌ، وذلك بقضاء الله وقدرته على ذلك، فنفخ جبريل عليه السلام فيها؛ ويذكر أهل التأويل أن النفخة كانت في جيب درعها حتى وصلت إلى الرحم وحملت به، ومن هنا يُعلم سبب اختصاص عيسى عليه السلام بأنه روحٌ من الله تعالى، وأنه عليه السلام خُلِقَ من نفخ جبريل عليه السلام، لا كسائر البشر يُخلق من تزواج الذكر والأنثى.^(٤)

وقد بين الإختلاف الذي في الآيتين شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ۝٢٢﴾

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ۝٢٣﴾، وقوله ﷺ: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ۝٢٣﴾، فيه: أي في فرجها.^(٥)

وهذا النفخ لا يدلُّ على ألوهية عيسى عليه السلام، فكما أن عيسى عليه السلام خُلِقَ بنفخ روح القدس في فرج مريم عليها السلام فكان عيسى عليه السلام، فكذلك آدم عليه السلام جاء في الآيات أنه من نفخ الله تعالى له من روحه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٣١﴾^(٦)، فإذا كان آدم عليه السلام أبو البشر خُلِقَ من نفخ الله تعالى فيه، ولم يسمَّ إلهًا، ولا يُدعى ربًّا، فكيف بعيسى عليه السلام الذي خُلِقَ بنفخ روح القدس - الذي هو جبريل عليه السلام - في رحم أمه، وقد

(١) سورة مريم: الآيات ١٩-٢١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٣) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٤) انظر: "تفسير الطبري" (٣٩١/١٦)؛ و"تفسير البغوي" (٣٥٣/٥)، و"تفسير ابن كثير" (٣٧١/٥).

(٥) "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧٦/٣).

(٦) سورة الحجر: الآية ٢٩.

شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى خَلْقَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ عِيسَى السَّلَامُ رُوحًا مِنْهُ، وَاخْتُصَّ بِذَلِكَ، كَمَا فَصَلْنَا ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّلَاثِ .

وَمِنَ الْآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا الْبَابِ:

- عَنِ السَّدِيِّ، قَالَ: طَرَحَتْ عَلَيْهَا جَلْبَابُهَا لَمَّا قَالَ جَبْرِيْلُ ذَلِكَ لَهَا، فَأَخَذَ جَبْرِيْلُ بِكَمِيْهَا، فَنَفَخَ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا، وَكَانَ مَشْقُوقًا مِنْ قُدَامِهَا، فَدَخَلَتِ النَّفْخَةُ صَدْرَهَا، فَحَمَلَتْ.
- عَنِ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فَنَفَخْنَا فِي جَيْبِهَا مِنْ رُوحِنَا. ^(٢) أ. هـ.

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٢) انظر لهاذين الأثرين: "تفسير ابن جرير" (٢٣/٥٠٠) .

المبحث الثاني: ما ورد في الإيمان بالكتب:

المطلب الأول: الإيمان بما أوتي عيسى عليه السلام، وأنها من كلام الله تعالى.

إنَّ مما يجب الإيمان به واعتقاده الإيمانُ بالكتب المنزَّلة على رسل الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَعُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١)، فهو ركن من أركان الإيمان الذي لا يصحُّ إيمان العبد ولا إسلامه إلا بالإيمان بكتب الله - تعالى -، ويتضمن ذلك الإيمان "بكل كتاب أنزل الله، بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة، والإنجيل، والزبور خاصة، وأن الله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها، وعددها إلا الذي أنزلها، ويتضمن أيضاً الإيمان بالقرآن العظيم، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود كما سيأتي تقريره. فهو المتكلم بالقرآن، والتوراة، والإنجيل، وغير ذلك من كلامه"، ويتميز القرآن عن سائر كتب الله بالنسبة لهذه الأمة بوجوب اتباعه على هذه الأمة دون غيره، وأنه محفوظ من التحريف، وأنه المهيمن الناسخ لما قبله من الكتب^(٢)

وأمر الله المؤمنين بالإيمان بالكتب والوحي الذي أنزل على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً بلا تفریق، قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَلْكَتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُولِهِ ءَأَلْكَتِبِ الَّذِي أُنزِلَ مِنِّي﴾^(٤)؛ وقد كفر الله ﷺ من يكفر بكتبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥). وهذه النصوص وغيرها تبين لنا وجوب الإيمان بما أنزل الله تعالى على رسله، ومنها ما أنزل على رسوله الكريم عيسى ابن مريم ﷺ، سواء ما أوتيته من البينات والكتب، أو ما آتاه الله من المعجزات والآيات.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) انظر كتاب: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز الرشيد ص ٢١ والروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ١٦ ص، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٩١/١، وللإستزادة انظر كتاب الإيمان بالكتب للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٤) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٦.

والكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام هو من كلام الله ﷻ، فكلُّ الكتب المنزلة على أنبياء الله ورسله هي من كلام الله تعالى قبل أن يمسخها أي تحريف أو تبديل، والأدلة في ذلك كثيرة متضاربة، والأدلة على إنزال الإنجيل من عند الله ﷻ، كثيرة جدا نذكر بعضها منها :

فمن القرآن الكريم : قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۚ مَن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۙ ﴾^(١)، وقوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَازِدْتُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكٰفِرِينَ ۗ ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۗ ﴾^(٣)، وقال الله تعالى مخاطبا عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ ۗ ﴾^(٤)، وغير ذلك من الآيات.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك : ١ - عن أبي بن كعب^(٥) قال: قال ﷺ: « ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني و بين عبدي، ولعبدي ما سألت».^(٦)

(١) سورة آل عمران: الآيات ٠٣-٠٤ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٨ .

(٣) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٠ .

(٥) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه. مات بالمدينة سنة ٢١ هـ، انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٦٥/١)؛ و"تاريخ الإسلام" للذهبي (١٠٧/٢).

(٦) أخرجه مالك في "الموطأ" (٨٣/١) - رقم ٣٧؛ والترمذي في "الجامع" (١٤٨/٥) - رقم ٣١٢٥؛ والنسائي في "الكبرى" (٤٧٣/١) - رقم ٩٨٨؛ وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٩٧٤/٢) - رقم ٥٥٥٣.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذَ أَحَدُنَا مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: اللهم رب السموات السبع و رب العرش العظيم ربنا و رب كل شيء منزل التوراة و الإنجيل و القرآن...»^(١).

٣- عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه ^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ»^(٣)؛ وفي الحديث دليل على أَنَّ الْإِنْجِيلَ أُنزِلَ فِي رَمَضَانَ كَسَائِرِ الْكُتُبِ. ومن الآثار التي فيها بيان أَنَّ الْإِنْجِيلَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ أثر عامر بن شهر رضي الله عنه ^(٤) قال: (كنت عند النجاشي فقرأ ابن له آيةً من الإنجيل فضحك، فقال: أتضحك من كلام الله).^(٥)

(١) أخرجه الترمذي في "الجامع" (٤٧٢/٥ - رقم ٣٤٠٠)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٥٨٠/٧ - رقم ٣٥٩٧).

(٢) وائلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد اليل، الليثي الكناني: صحابي، من أهل الصفة. قيل: خدم النبي ثلاث سنين. ثم نزل البصرة وكانت له بها دار. وشهد فتح دمشق، وسكن قرية "البلاط" على ثلاثة فراسخ منها. وحضر المغازي في البلاد الشامية. وتحول إلى بيت المقدس، فأقام. ويقال: كان مسكنه بيت جبرين. وكف بصره. وعاش ١٠٥ سنين، وقيل: ٩٨ وهو آخر الصحابة موتا في دمشق. ووفاته بالقدس أو بدمشق سنة ٨٣ هـ. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (١٥٣٦/٤)؛ و"سير أعلام النبلاء" (٣٨٣/٣).

(٣) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٧٥/٢٢ - رقم ١٨٠٣٦)؛ وأحمد في "المسند" (١٩١/٢٨ - رقم ١٦٩٨٤)؛ وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٠٤/٤ - رقم ١٥٧٥).

(٤) عامر بن شهر الحمداني، يكنى أبا شهر. وقيل: بل يكنى أبا الكنود، روى عنه الشعبي، أول من اعترض على الأسود العنسي، وكابره؛ كان أحد عمال النبي ﷺ على اليمن، له حديث واحد هو المذكور هنا. انظر "الإصابة" لابن حجر (٥٠٣/٥)؛ و"تهذيب التهذيب" له (٧٠/٥).

(٥) أخرجه أبو داود في "السنن" (٢٣٥/٤ - رقم ٤٧٣٦)؛ وصححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢/١ - رقم ٤٧٣٦). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٥٦٤/٤)؛ "الإصابة في تمييز الصحابة" (٤٦٢/٦).

المطلب الثاني: مصادر التشريع عند عيسى عليه السلام:

قد علمنا أنَّ الإيمانَ بالكتب من أركان الإيمان ومن ضروريات الدين، والإيمان بما أخبرنا الله من أسماء الكتب المنزلة من عنده سبحانه كما هو حال الإيمان بالرسول والأنبياء الذين قصهم الله ﷻ في كتابه؛ والكتاب الذي آتاه الله لعيسى عليه السلام هو الإنجيل، قال تعالى: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ ۗ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۙ ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنَةٌ يُدْعَوْنَ بِهَا كُنْبُنَهَا عَلَيْهِمْ إِيَّاهُ يُتَنَفَّاهُ ۗ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيقُونَ ۙ ﴾^(٢)؛ وهذه الآيات توضح لنا أن عيسى عليه السلام قد أوتي الإنجيل، والذي جاء مصدقاً لما في التوراة التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام، فهو كما مر معنا أنَّ عيسى عليه السلام قد كان عاملاً بالتوراة متبعا لأحكامها، إلا أن كتابه الإنجيل جاء تصديقا للكتب السابقة ومنها التوراة، ومُحلا لبعض ما حُرِّم على بني إسرائيل في التوراة، وهدى و نورٌ من الضلالة والجهالة والعمى لبني إسرائيل؛ قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ ۗ وَإِلْحُلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۗ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۙ ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۙ ﴾^(٤)، فإذا مصادر التشريع في زمن عيسى عليه السلام: هي التوراة والإنجيل.

ولكن بعد زمن عيسى ﷺ استقى النصارى عقائدهم وشرائعهم من أحبارهم، وهم علمائهم وعبادهم^(٥)، اتخذوهم أربابا من دون الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٤) سورة الصف: الآية ٠٦.

(٥) انظر: "تفسير ابن كثير" (٣/٣٣٠).

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(١)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليبٌ من ذهبٍ، فقال: «يا عديُّ اطرح عنك هذا الوثن» وسمعتَه يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه»^(٢)؛ ففي هذا الحديث بيِّنُ النبي صلى الله عليه وسلم كيف كانت ربوبية النَّصَّاريِّ الضَّالِّين للأحبار والرهبان، وقد ساق الطبري رحمه الله آثاراً تبيِّنُ معنى اتِّخاذهم أرباباً من دون الله، وتبيِّنُ معنى العبادة المثبته، والعبادة المنفية، فقال رحمه الله: عن السدي: (اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)، قال عبدالله بن عباس: (لم يأمرهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمرهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسَمَّاهم الله بذلك أرباباً). وعن أبي البخترى^(٣) قال: قيل لحذيفة: أرايت قول الله: (اتَّخذوا أحبارهم)؟ قال: (أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرَّموه، فتلك كانت رُبوبيَّتِهِمْ). وجاء عن أبي البخترى: (اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)، قال: (انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراماً، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً فأطاعوهم في ذلك. فجعل الله طاعتهم عبادتهم. ولو قالوا لهم: "اعبدونا"، لم يفعلوا). وسئل أبو العالية^(٤): كيف كانت الرُّبوبيَّة التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: (ما أمرنا به ائتمرنا، وما نُهونا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في كتاب الله ما أمرنا به وما نُهوا عنه، فاستنصحو الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم).^(٥) ففي هذه الآثار السابقة دلالة واضحة لكيفية اتِّخاذهم أرباباً من دون الله، فهم اتَّخذوهم مشرِّعين مع الله تعالى، فهم لم يعبدوا أحبارهم ورهبانهم بأنواع العبادات المعروفة كالصلاة والصوم والسجود لهم، بل عبدوهم بطاعتهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، وقد بين الأثر الأخير الذي هو جواب أبي العالية جُرْمهم وإن كانوا جاهلين ضالين، أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، و أخذوا بآراء الرجال، بل وجعلوه ديناً و بدَّلوا به كلام الله وسيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي.

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) أخرجه الترمذي في "الجامع" (١٢٩/٥ - رقم ٣٠٩٥)؛ والبيهقي في "الكبرى" (١٠/١٩٨ - رقم ٢٠٣٥٠)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٧/٨٦١ - رقم ٣٢٩٣).

(٣) أبو البخترى: الطائي مولاهم سعيد بن فيروز، الكوفي، الفقيه، أحد العباد. حدث عن: أبي برزة الأسلمي، وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وطائفة. وثقه: يحيى بن معين، وكان مقدم الصالحين القراء الذين قاموا على الحجاج في فتنه ابن الأشعث، فقتل أبو البخترى في وقعة الجمام، سنة اثنين وثمانين. انظر "سير أعلام النبلاء" (٤/٢٨٠)؛ و"تهذيب التهذيب" (٤/٧٢).

(٤) أبو العالية هو: ربيع بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم البصري، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بستين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر. وروى عن جماعة من الصحابة، قال ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم: ثقة، وقال اللالكائي مجمع على ثقته؛ مات في ولاية الحجاج. انظر "تهذيب التهذيب" (٣/٢٨٤)؛ و"سير أعلام النبلاء" (٤/٢٠٧).

(٥) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (١١/٤١٩ وما بعدها).

المطلب الثالث: تعريف الإنجيل، ورسالة عيسى عليه السلام.

ذكرت فيما سبق أن الله تعالى أنزل كتابا على عيسى عليه السلام اسمه الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٣)، وقال ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٤)؛ فقد وُصف الإنجيل في الآيات السابقة بأوصاف منها:

- ١- أنه جاء تصديقا للكتب المنزلة السابقة وخاصة التوراة، ٢- وأنه متبع لأحكام التوراة ومحلل لبعض أحكامها تخفيفا على بني إسرائيل، ٣- وأنه بيان لما اختلفوا فيه في بعض أحكام التوراة وما بُدِّل منه، ٤- أنه هدى ونور وموعظة للمتقين.^(٥)

قال الإمام ابن كثير: (يقول تعالى: "وقفينا" أي: أتبعنا {على آثارهم} يعني: أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، {بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة} أي: مؤمنا بما حاكما بما فيها، {وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور} أي: هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات. {ومصدقا لما بين يديه من التوراة} أي: متبعا لها، غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: {ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم}؛ ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة. وقوله: {وهدى

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٤) سورة الصف: الآية ٦٣.

(٥) انظر "تفسير الطبري" (٤٨٢/٨).

وموعظة للمتقين { أي: وجعلنا الإنجيل { هدى } يهتدى به، { وموعظة } أي: وزاحرا عن ارتكاب المحارم والمآثم { للمتقين } أي: لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. ^(١)

والإنجيل عند المسلمين كما عرفه الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد بقوله: (هو الكتاب العظيم الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام متمماً للتوراة، ومؤيداً لها، وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه هذا هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ، وبعد موته عليه السلام دخل التحريف الإنجيل فُعُيِّرَ فيه، وبدل، وزيد فيه، ونقص ^(٢)؛ ولعلنا نعرفه بناء على ما سنقرره بإذن الله :

أن الإنجيل الكتاب العظيم الذي أنزله على عيسى عليه السلام هداية وموعظة لبني إسرائيل، وهو إنجيل واحد، وهو كلام الله تعالى الذي عهد حفظه للبشر، فحُرِّفَ وبُدِّلَ بعد موت عيسى عليه السلام، فليس له وجود الآن على ما كان عليه قبل التبديل والتحريف، وليس هو هذه الأناجيل المتعددة المتناقضة المحرفة.

رسالة عيسى ﷺ: وأما الحديث عن رسالة عيسى عليه السلام ودعوته فإننا نجد أن النصوص من الآيات والسنة تدلُّ على أنَّ دعوة عيسى عليه السلام كدعوة باقي الأنبياء والرسل، فأصول دعوة الأنبياء والرسل واحدة، وأمهاات الشرائع متفقة، وإن اختلفت شرائعها التفصيلية وكيفيتها وأزمانها، وذلك أمر معقول لأنها جاءت وأنزلت من لدن إله واحد ومشريِّعٍ وربٍّ واحد، حكيم خبير.

فأصول دعوة عيسى عليه السلام هي :

١- توحيد العبودية لله ﷻ بلا تشريك ولا تنديد، والإيمان ببقية أصول الإيمان؛ قال تعالى مخبراً عن دعوة عيسى عليه السلام لقومه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٣)، وقال سبحانه على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ ^(٤)، وتبرأ من أن يكون دعا إلى غير الإخلاص و التوحيد لله تعالى، كأن يكون دعا إلى عبادة نفسه أو غيره

(١) "تفسير ابن كثير" (١٢٦/٣).

(٢) "الإيمان بالكتب" للشيخ محمد إبراهيم الحمد (ص ١٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٢.

فقال عليه السلام: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾^(١)، والوصية بالتوحيد هي وصية جميع الأنبياء لأقوامهم، كما كانت أعظم وصايا المسيح لبني إسرائيل، فقد جاء في كتاب النصارى المقدس: «سأله: «أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» (٢٩) فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ. (٣٠) وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى... (٣٢) فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرٌ سِوَاهُ. (٣٣) وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ...»^(٢).

فهذه الوصية الأولى التي تُوَكَّد وتُعظَّم قدر التوحيد، وهي دعوة كلِّ رسولٍ من عند الله تعالى، قال ﷺ: ﴿ مَا كَانَ لِشِرْكَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ عِنَّمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣)؛ فهذا من أوضح الفرقان بين دعوة النبي المرسل من عند الله تعالى، ودعوة النبي الكاذب في زمن الإمكان، أنَّ النبيَّ المرسلَ من عند الله تعالى يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده، ولا يدعو إلى عبادة نفسه، ولا عبادة أحدٍ من دون الله سبحانه؛ فكذلك دعوة عيسى عليه السلام، فقد كان يدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده ﷺ؛ قال المهتدي الحسن بن أيوب^(٤) في رده على النصارى الذين يألّهون المسيح ﷺ: (ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه أنه إله، كما أفصح بأنه عبدٌ، ولكنه ما ذكره ولا ادّعاه ولا دعا إليه، ولا ادّعته له كتبُ الأنبياء قبله، ولا كتبُ تلامذته، ولا حكي عنهم...)^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٢) "إنجيل مرقس": [١٢: ٢٩-٣٣].

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٩-٨٠.

(٤) الحسن بن أيوب كان نصرانيا ثم اهتدى، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية (وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره. وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية ما يبين ذلك)؛ "الجواب الصحيح" (٤/١٨٢). وقد أورد شيخ الإسلام رسالته كاملة في كتابه المذكور، وقد وجدت في أثناء البحث أن كل من يكتب من المهتدين في الرد على النصارى وغيرهم، يعتمد على هذه الرسالة القيمة.

(٥) انظر: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام (٤/١٢٠).

وكانت دعوة عيسى عليه السلام كدعوة جميع الأنبياء والرسل في الإيمان ببقية أصول الإيمان، من الإيمان باليوم الآخر وملائكة الله وكتبه ورسله، والإيمان بالقدر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ؕ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢)، ومن ذلك:

٢ - الإيمان بنبوة عيسى ﷺ ورسالته لبني إسرائيل:

وقد تكلمنا في هذا كثيرا ، ولا بأس في أن نعرض عليه، حيث إنَّ من الضروري التأكيد على أن دعوة عيسى عليه السلام كان من أجل أهدافها بعد توحيد الله الإيمان بنبوة عيسى عليه السلام، وأنه مرسلٌ من عند الله تعالى كما أرسل من قبله الأنبياء والرسل، وقد أمر المسيح عليه السلام بني إسرائيل بالإيمان به، وأتباعه، وطاعته التي تؤدي إلى اتباع الصراط المستقيم الموصل لرضا الله تعالى وجنته، و ليس كما تزعم النصارى من أنه جاء لكي يُعبد ويؤله مع الله ﷻ، أو أنه ابن إله، أو جزء منه، أو أنه أرسل خلاصًا للبشر من الخطايا والذنوب، قال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَأُمِّصِدِقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۗ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^(٣)، وقال تعالى عنه عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^(٤). وبيان أن عيسى عليه السلام عبدٌ مرسلٌ من عند الله تعالى كثيرٌ ظاهرٌ في كتاب النصارى

(١) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٤٩-٥١.

(٤) سورة الزخرف: الآيات ٦٣-٦٤.

المقدس، فمن ذلك ما جاء فيه: (((٣٠) أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ آدِينَ، وَدِينُونِي عَادِلَةً، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أُرْسَلَنِي))، وقال أيضا: (((٣٦) وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ لِأَكْمَلَهَا، هَذِهِ الْأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أُرْسَلَنِي (٣٧) وَالْآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أُرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ (...))^(١).

قال المهتدي الحسن بن أيوب - وقد كان منهم - بعد أن ذكر الشواهد الكثيرة على نبوة عيسى عليه السلام: (فأعترف بأنه نبي، وأنه مألوه ومربوب ومبعوث)^(٢).

إذاً نلخص من الأصلين السابقين: أنَّ أعظم شهادة كانت في زمن عيسى عليه السلام هي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن عيسى عليه السلام هو رسول الله، كما هي شهادة كلِّ رسولٍ إلى قومه، وهذا هو الصراط المستقيم، الموصل لرضوان الله في ذلك الزمان، وذلك بإخلاص العبودية لله وحده، والإيمان بعيسى عليه السلام وأتباعه، وقد جاءت هذه الشهادة صريحةً في الكتاب المقدس، حيث قال عيسى عليه السلام: ((وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أُرْسَلْتَهُ))^(٣).

وأما رسالته لبني إسرائيل فظاهر ما تفيدته النصوص الشرعية وتؤيده أن عيسى عليه السلام مرسلٌ لبني إسرائيل دون غيرهم، كما قال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٥)، وأنَّ النَّبِيَّ الْخَاتَمَ مُحَمَّدًا ﷺ هو الذي اختصه الله تعالى دون غيره من الأنبياء والرسل أنه أرسل للناس كافة، وبعث للتقلين الجن والإنس، و دعوته عمَّت الأحمر والأسود كما ثبت ذلك في الصحاح، منه ما ورد عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: « أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي - وذكر منها - وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً »^(٦).

(١) "إنجيل يوحنا": [٥: ٣٠-٣٧].

(٢) انظر: "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" (٤/٤٥٥).

(٣) "إنجيل يوحنا": [٣: ١٨].

(٤) سورة الزخرف: الآيات ٦٣.

(٥) سورة الصف: الآية ٠٦.

(٦) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١/٧١-٧١) رقم (٣٣٤)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/٣٧٠-٣٧١) رقم (٥٢١).

فكان عموم رسالته لقومه وغير قومه، بل للثقلين جميعاً خصيصة لم تعطَ لأحد من الأنبياء قبله، وليس ذلك من قوله ﷺ فحسب بل من فعله أيضاً؛ قال القاضي أبو البقاء الجعفري الهاشمي في كتابه "التحجيل"^(١): (وقد تواتر عنه عليه السلام أنه لم يختص بدعوته قوماً دون قوم، وأنه أرسلَ رُسُلَهُ إلى ملوك الأطراف والنواحي يدعوهم إلى دينه. والتواتر لا سبيل إلى ردّه)^(٢)؛ وهذا ما تَوَكَّدَهُ نصوصُ العهد الجديد، من أنَّ دعوةَ المسيح كانت موجَّهةً إلى خراف بني إسرائيل الضَّالَّة، ومقصورةً على شعب بني إسرائيل اليهودي، كمثل ما جاء في إنجيل متى قوله لتلاميذه: ((هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أُمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضَّالَّة))^(٣). و أعلن أيضاً وجهة رسالته فقال: ((لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضَّالَّة))^(٤)؛ فهنا (إلا) أداة للحصر، حصر بها المسيح رسالته لبني إسرائيل خاصة، لا كما تفعل النصارى اليوم من التبشير بدينها المسيحي إلى جميع الشعوب بدعوى الخلاص.

٣- التصديق بالتوراة و الإيمان بالإنجيل المنزل على المسيح ﷺ:

من المقرَّر في دعوة كلِّ رسولٍ ونبيٍّ يأتي من عند الله تعالى أنَّه يصدِّق بمن قبله ويؤمن به، ويبشِّرُ به لمن بعده، وهذا ما كان عليه الرسول المسيح عيسى عليه السلام، إذ إنه أتى مصدِّقاً لمن قبله من نبوآت الأنبياء السابقين، و مُقرِّراً برسالة الرُّسل والكتب المنزَّلة عليهم من رب العالمين، ومبشِّراً لمن سيأتي بعده، وهو النبي محمد ﷺ خاتم النبيين، وبما أنَّه كان مُرسلاً ومبعوثاً لبني إسرائيل، الذين كانوا يؤمنون بأنبياء بني إسرائيل، وعلى رأسهم رسولهم موسى عليه السلام؛ فكان يُظهر لهم تصديقه بالتوراة، وأنَّه رسولٌ مرسلٌ إليهم كما أرسل إليهم قبله موسى عليه السلام؛ فبعد أن ذكر الله تعالى ما قاله موسى عليه السلام لقومه بني إسرائيل، ذكر ما دعاهم إليه عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٥)،

(١) القاضي أبو البقاء الجعفري: صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزيني، ولد في سنة إحدى وثمانين وخمسة مائة من الهجرة بمصر، وقد نشأ في بيت سلالة النبوة والعلم والإمامة، طلب العلم على عدد من أهل العلم حتى أصبحت له المكانة العلمية التي تؤهله لتولي القضاء في مدينة قوص. ثم تولى ولايتها مدة من الزمن، من مؤلفاته: "تحجيل من حَرْف التوراة الإنجيل"؛ "البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود"؛ "الرد على النصارى". انظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه "تحجيل من حَرْف التوراة الإنجيل" تحقيقه محمود عبدالرحمن قده

(٢) "تحجيل من حَرْف التوراة والإنجيل" لصالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (٥٤١/٢).

(٣) "إنجيل متى": [١٠: ٥-٦].

(٤) "إنجيل متى": [١٥: ٢٤].

(٥) سورة الصف: الآية ٥٦.

وقال ﷺ في شأن عيسى عليه السلام: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

فالأيات تخبرنا أن من أصول رسالة عيسى عليه السلام أنه جاء مصدقاً للتوراة، وأن الله تعالى آتاه الإنجيل، وهذا الإنجيلُ مصدقٌ للتوراة، وكون هذا الإنجيل هدى وموعظة للمتقين.

فالإنجيل مصدقٌ للتوراة، كما أن القرآن مصدقٌ لهما معاً التوراة والإنجيل، ومهمنا عليهم، قال تعالى عن القرآن: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾^(٣)، وقال ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾^(٤)؛ أورد ابن جرير: عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

وهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥): (لما قبله من الكتب التي أنزلها الله، والآيات، والرسل الذين بعثهم الله بالآيات، نحو موسى ونوح وهود وشعيب وصالح، وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم)^(٦)؛ فكان التصديق إذاً بالتصديق بما جاء من أخبار الرسل، وما أنزل عليهم من الوحي، وموافقة معانيها فيما جاءت به الرسل من التوحيد والأمر بعبادة الله وحده، وتحقيق ما جاءت به الرسل من البشرية والوعد، ومنها البشرية بقدوم النبي المنتظر وهو الخاتم محمد ﷺ؛ فكان من أصول دعوة المسيح عليه السلام التصديق بالتوراة على الخصوص؛ ومما امتازت به شريعة الإنجيل كذلك أنها تتبع بعضاً من أحكام التوراة، وإن كانت شريعة الإنجيل تستقل عنها ببعض الأحكام والشرائع، فهي شريعة أتت ناسخة لبعض أحكام التوراة، ومكملة لها على الوجه الذي يناسب القوم الذي أنزلت عليهم شريعة الإنجيل، قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٠٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٦) "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٩٢/٢).

حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿١﴾؛ وقال ﷺ عنه عليه السلام أيضا: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. ﴿٢﴾ فالآيات السابقة تدلُّ على أنه أحلَّ بعض أحكام التوراة ولم يحل الكُلَّ، وكذلك لولا أنه متبع لبعض ما في التوراة لم يكن بحاجة إلى أن يتعلمها؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((قد أخبر الله في القرآن أنَّ عيسى قال لهم: {ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم}، فعلم أنه أحلَّ البعض دون الجميع، وأخبر عن المسيح أنه علَّمه التوراة والإنجيل بقوله: {ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل}، ومن المعلوم أنه لولا أنه متَّبِعٌ لبعض ما في التوراة لم يكن تعلُّمها له منَّة، ألا ترى أننا نحن لم نؤمر بحفظ التوراة والإنجيل وإن كان كثير من شرائع الكتابين يوافق شريعة القرآن، فهذا وغيره بيِّن ما ذكره علماء المسلمين من أنَّ الإنجيل ليس فيه إلا أحكامٌ قليلة، وأكثر الأحكام يتَّبَع فيها ما في التوراة؛ وبهذا يحصل التغاير بين الشرعتين) ﴿٣﴾.

وهو أيضا له في شرعه استقلالٌ بما خالف فيه شريعة موسى عليه السلام، مما نسخه الإنجيل أو غيره، أو بدَّله أو قرَّره؛ قال تعالى: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَعَآئِنَهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآءِ اتِّكُمُ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾، فهذه الآيات تدلُّ أنَّ الله تعالى جعل لكلِّ أهلِ ملَّةٍ شريعةً ومنهاجًا.

وقد روى ابن أبي حاتم في "تفسيره" عن قتادة قال: ((لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا))، يقول: سبيلا وسنة، والسنن مختلفة في التوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، والفرقان شريعة، يُحِلُّ الله فيها ما شاء، ويحرم ما شاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص الذي جاءت به

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٨.

(٣) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (١٦/٤٣-٤٤).

(٤) سورة المائدة: الآيات من ٤٦ - ٤٨.

الرسول^(١)؛ وقال أيضا: (الدين واحد والشرائع مختلفة)^(٢)، ويؤيده ما جاء عن أئمة أهل التفسير من السلف الصالح كابن عباس رضي الله عنه، و الحسن البصري وغيرهم في قوله: {شرعة ومنهاجا} أي: سبيلاً وسنة^(٣)؛ وقال نبينا محمد ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٤)، قال شرح الحديث: (ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع)^(٥). وأوضح من ذلك ما قاله القسطلاني^(٦) في شرحه المشهور: " (أمهاتهم شتى ودينهم) في التوحيد (واحد). ومعنى الحديث أن حاصل أمر النبوة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعاً لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق، وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم، فهم متفقون في هذا الأصل وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالموصللة المؤدية والأوعية الحافظة له؛ فعبر عما هو الأصل المشترك بين الكلّ بالأب ونسبهم إليهم، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الغرض بالأمهات، وهو معنى قوله: "أمهاتهم شتى ودينهم واحد"^(٧).

فإذا نخلص من هذا :

أنّ الإنجيل جاء مصدقاً للتوراة كحال القرآن مع ما قبله من الكتب، وجاء متبعاً للتوراة في بعض أحكامه، ومستقلاً عنه في بعضها، وهذا القول جامع بين القول بأن الإنجيل شريعة تابعة للتوراة ليست مستقلة عنها ، وهو ما ذهب إليه جمٌّ غفيرٌ من الباحثين في النصرانية، بل وعددٌ من أهل التفسير أتباعاً لقول وهب بن منبه الذي قال : (إنّ عيسى كان على شريعة موسى، وكان يسبّ، ويستقبلُ بيت المقدس، فقال لبني إسرائيل: «إني لم أدعكم إلى خلافِ حرفٍ مما في التوراة، إلا لأحلّ لكم بعضَ الَّذي حُرِّم عليكم، وأضع عنكم من الأصار)؛ والذي يؤيده ما جاء في العهد الجديد أن عيسى ﷺ قال لبعض تلامذته: « لا تظنوا أنّي جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياءَ. ما جئتُ لأنقضَ بلْ لأُكْمَلَ »^(٨)، و القول الآخر وهو أن الإنجيل شريعة مستقلة عن التوراة ، استنادا لما هو ظاهر النصوص الشرعية في أنّ لكلّ رسولٍ وأمته شرعةً

(١) تفسير ابن أبي حاتم" (٤/١١٥٢)؛ و"تفسير ابن كثير" (٣/١٢٩).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) "تفسير ابن كثير" (٣/١٢٩)؛ وانظر "تفسير الطبري" (١٠/٣٥٨ وما بعدها).

(٤) تقدم تخرجه ص ٨٤ .

(٥) "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر (٦/٤٨٩)؛ و"شرح النووي على مسلم" (١٥/١٢٠).

(٦) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده سنة ٨٥١ هـ؛ ووفاته في القاهرة سنة ٩٢٣ هـ. له "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". انظر "البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع" للإمام الشوكاني (١/١٠٢).

(٧) "إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري" للقسطلاني (٥/٤١٦).

(٨) "إنجيل متى": [٥: ١٧].

ومنهاجاً مستقلاً ومختلفاً - وقد ذهب إليه عدد من الباحثين المعاصرين - (١) ، مستدلين بقول الإمام النسفي (٢) رحمه الله في تفسير هذه الآيات التي في سورة المائدة: (ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام، وإنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام، ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ، وبين أنه ليس للسمع فحسب بل للحكم به، فقال في الأول يحكم بها النبيون - يقصد قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ (٣)؛ وفي الثاني وليحكم أهل الإنجيل - يقصد قوله تعالى: ﴿ وَفَقِينَا عَلَىٰ مَا نُنزِلُ بِهِم بَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤)؛ وفي الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله - يقصد قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (٥)؛ ثم قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: جماعة متفقة على شريعة واحدة {ولكن} أراد {لِيَلْئُلُوْكُمْ} ليعاملكم معاملة المختبر {في ما آتاكم} من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة. (٦)

والحديث الآتي يؤيد ما سبق، فهو يبيّن أن هناك اختلافاً قليلاً بين الشريعتين غير مقصور على تحليل ما حُرّم على بني إسرائيل، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وعن حذيفة ﷺ، قال: قال رسول الله

(١) قد ذكره لي أحد المتخصصين في مادة الأديان وهو الدكتور عبدالله سمك ، وذكر أن هذا قول آخر عليه عدد من المعاصرين وهو الراجح عنده ، و اجتهدت في معرفة من معه في هذا القول ، فلم أعر على أقوال من معه في تأييد هذا القول من المعاصرين .

(٢) النَّسْفِيُّ: محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل برهان الدين النسفي، عالم بالتفسير والأصول والكلام، من الأحناف. مولده سنة ٦٠٠ هـ، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٦٨٧ هـ. من كتبه "الواضح" في تلخيص تفسير القرآن للفخر الرازي، و"المقدمة النسفية" و"الفصول في علم الجدل". انظر "الأعلام للزركلي (٣١/٧).

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآيات ٤٦-٤٧.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٦) "تفسير النسفي" (٢٦٩/١).

ﷺ: «أضلَّ اللهُ عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، ف جاء اللهُ بنا فهدانا اللهُ ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة»^(١).

وقد قال أحدُ الموثوقين في هذا الشأن، والذي خبر كتب التوراة والإنجيل، المهتدي علي بن ربن الطبري^(٢) في دفاعه عن النبي محمد ﷺ: (ولو كان للناس مساعٌ إلى المثالب والإغتماز في مثل ذلك من أمور الله وتدييره لكان للقائل أن يقول مما عليه المسيح أيضا أنه صدق بالتوراة مرّة، وقال لم أجيء لأنقضها، بل لأتمّها... ثم خالف موسى صراحا ونبد التوراة جانبا، حتى وجد علماء أمته سببا إلى أن قالوا مصرّحين جاهرين أن العتيقة عبرتٌ وسلفتٌ، وجاءت الحديثةُ وظهرت، يعنون بالعتيقة التوراة ونواميسها وسائر كتب الأنبياء، وبالحدِيثِ الإنجيلِ وكتب الحوارين، وإنما عمادُ التوراة وملاكُ اليهودية وسُننُها وختانُها وذبائِخُها وأعيادُها وقصاصُها وأحكامُها وكهنَتُها ومذابِجُها فقد أهدرَ المسيحُ ذلك كلّه وأزهقه)^(٣)، فالجمع بين القولين أولى وهو الذي يظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم .

٤ - التبشيرُ بالنبي الخاتم محمد ﷺ:

من المعلوم في دين الأنبياء أن الرُّسل والأنبياء يؤمنُ بعضهم ببعضٍ، فيصدقُ أحدهم بالآخر، ويشرُّ بالأحق، ومن ذلك البشارةُ بنبينا محمد ﷺ؛ وقد أمر اللهُ تعالى جميعَ أنبياءه ورسوله بالإيمانِ بكلِّ نبيٍّ ورسولٍ يأتي مصدقا لما معهم، وأنَّ عليهم نصرته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤)، و النبي محمد ﷺ بالخصوص هو بشارة عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥)،

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٥/٢ - رقم ٨٩٦)؛ ومسلم في "الصحيح" (٥٨٦/٢ - رقم ٨٥٦) واللفظ له ، وحذيفة بن أسيد الغفاري وثكنى أبا سريحة وأول مشهد شهده مع النبي صلى الله عليه وسلم الحديثية وقد روى عن أبي بكر الصديق، كان ممن بايع تحت الشجرة ، ونزل الكوفة بعد ذلك ، مات سنة ٤٢ هـ ، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٣٣٥) ، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٣٨) .

(٢) علي بن ربن - أو زين، أو ربن - الطبري: أبو الحسن: طبيب حكيم، مولده ومنشأه بطبرستان. كان يخدم ولائها ويقرأ علم الحكمة، وانفرد بالطبيعات. وقامت فتنة فيها فأخرجه أهلها، فنزل بالري. ثم رحل إلى سامراء، وصنف فيها كتابه "فردوس الحكمة". من كتبه "الدين والدولة" و"تحفة الملوك". انظر "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لأبي العباس ابن أبي أصيبعة (١/٤١٤)؛ و"الأعلام" للزركلي (٤/٢٨٨) .

(٣) كتاب "الدين والدولة" علي بن ربن الطبري (ص ٢٠٢) .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١ .

(٥) سورة الصف: الآية ٦ .

وفي الحديث قال نبينا ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم»^(١)، فكان من أصول دعوة عيسى عليه السلام الإيمان بنبوته هو ﷺ، ونبوة من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن سيأتي بعده وهو الخاتم محمد ﷺ؛ وقد أصدق القول المهتدي علي بن ربن الطبري حيث قال: (لو لم يظهر النبي ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء في إسماعيل عليه السلام، و في النبي ﷺ خاتم الأنبياء بالضرورة، لأن الله ﷻ لا يخلف وعده، ولا يكذب خبره)^(٢)، وسنفصل هذا الأمر فيما سيأتي - إن شاء الله تعالى^(٣)

٥- الزهد في الدنيا ورجاء الآخرة والتعلق برب الأسباب:

أكد عددٌ من الباحثين في علم الأديان، والمؤرخين في النصرانية، وما ورد في نصوص الإنجيل فيما نسب إلى عيسى عليه السلام، أن دعوة المسيح عيسى ﷺ كانت تدعو إلى الزهد في الدنيا، والتقلُّ منها، والرغبة والطمع ورجاء الآخرة، وجعلها الغاية الأسمى للإنسان، وأن هذه الدنيا إنما هي طريق للآخرة، والتي كثيرا ما تُسمَّى في الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام في كتابهم المقدس "بالحياة الأبدية" أو "الدينونة" كمثل ما جاء في إنجيل متى: ((فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ - فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَمُ. لِأَنَّ آبَاءَكُمْ السَّمَاوِيِّيَّيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا - لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّةً، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ))^(٤).

يقول الشيخ أبو زهرة^(٥): (لماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام إلى الزهادة في الدنيا، والابتعاد عن أسباب النزاع، والعكوف على الحياة الرُّوحية، الجواب على ذلك أن اليهود الذين جاء المسيح مبشراً بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادّية، وكان منهم من يفهم أن الحياة هي غاية بني الإنسان، بل إن التوراة التي بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر، ونعيمه أو جحيمه)^(٦)؛ فيلاحظ أن أسفار العهد القديم قد خلت إلا نزرٌ يسير من ذكر اليوم الآخر، ويوم الحساب والجزاء بسبب التحريف، فكان لزاماً

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٢/٤٥٣ - رقم ٣٥٦٦)؛ وصححه الألباني في "الصحيحه" (٤/٥٩ - رقم ١٥٤٥).

(٢) "الدين والدولة" لعلي بن ربن الطبري (ص ١٣٠).

(٣) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى.

(٤) "إنجيل متى": [٦: ٣١-٣٣].

(٥) محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلة الكبرى سنة ١٣١٦هـ؛ وتربى بالجامع الأحدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي؛ وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفاً. وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين؛ وعين أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة؛ وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية. وكان وكيلاً لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية وأصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتاباً؛ توفي سنة ١٣٩٤هـ. انظر "الأعلام للزركلي (٦/٢٥).

(٦) "محاضرات في النصرانية" محمد أبو زهرة (ص ١٣).

على المسيح عيسى عليه السلام أن يبيّن هذا اليوم، ويُظهر أنّ هناك بعثًا وحسابًا؛ وتبيانُ اليوم الآخر من كلام عيسى عليه السلام في كتابهم المقدس غير كافي وغير شافي، بل حُرّف معناه من يوم الحساب والجزاء على الأعمال إلى عقيدةٍ محرّفةٍ مصوّرة من خلال الصلب والغداء وقيامه المسيح من الأموات^(١).

٦- الدعوة إلى أصول الشرائع كالصلاة والزكاة والصوم ، وأمّهات الأخلاق الشريفة كالتوبة والإحسان

إلى الخلق :

قد ذكرت فيما سبق معنا في الفصل الثاني أنّ من دلائل صدق نبوة النبيّ عليه السلام -في زمن الإمكان- دعوته إلى جنسٍ ما تدعو إليه الأنبياء والرُّسل من الأوامر والنواهي، كالتوحيد والصلاة والزكاة وغيرها من أصول الشرائع وأمّهات الأخلاق الكريمة.

وهذه من المعارف الخاصّة التي تحصل لمن نظر في دعوة الأنبياء وما جاءت به، وفقهٍ مقصودهم، كما حصل ذلك مع ورقة ابن نوفل الذي كان رجلاً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الإنجيل بالعبرية ما شاء أن يكتب^(٢)؛ والنجاشي في استدلالتهم على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، حيث قال النجاشي بعد ما سمع جعفر بن أبي طالب ﷺ، والذي أظهر ما يدعو إليه النبي ﷺ من التوحيد والعبادات والأحكام ومكارم الأخلاق، بل وبيّن له منزلة عيسى عليه السلام في القرآن والإسلام، فأثّر فيه حتّى بكى هو ومَن معه من الأساقفة، ثم قال: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة"^(٣).

ومن تلك الأحاديث الدالّة على اتّفاق دعوة عيسى عليه السلام مع دعوة غيره من الأنبياء والرسل في أصول الشرائع :

١- عن الحارث الأشعري ﷺ أن نبيّ الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ أمر يحيى بن عليهما السلام بخمس كلمات، أن يعمل بهنّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، وكاد أن ييطىء، فقال له عيسى: «إنّك قد أمرت بخمس كلماتٍ أن تعمل بهنّ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فإمّا أن تبلّغهنّ، وإمّا أن أبلّغهنّ». فقال: «يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أعدّب أو يُخسف بي». قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، فقعده على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله ﷻ أمرني بخمس كلماتٍ أن أعمل بهنّ، وأمركم أن تعملوا بهنّ، أوّلهنّ: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإنّ مثل ذلك مثلٌ رجل اشترى عبداً من خالصٍ ماله بورقٍ أو ذهب، فجعل يعمل، ويؤدّي غلّته إلى غير سيّده، فأؤيكم

(١) انظر "دين المسيح" العماد جمال الدين الشرفاوي (ص ١٠٠-١٠١).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٧/١- رقم ٣)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٣٩/١- رقم ١٦٠).

(٣) تقدم ترجمته ص ٨٥ .

سرّه أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله ﷻ خلقكم ورزقكم، فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً وأمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإنَّ الله ﷻ يقبل بوجهه على عبده ما لم يلتفت؛ وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثلي رجلٍ معه صرّة مسكٍ في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإنَّ خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثلي رجلٍ أسره العدو فشُدُّوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكَّ نفسه؛ وأمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثلي رجلٍ طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وإنَّ العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى « الحديث. (١)

فهذا الحديث فيه دلالة عظيمة على أنَّ أمَّهات الشرائع والعبادات التي هي في ديننا أركان الإسلام من أصول دعوة الرُّسل والأنبياء، وتتفق فيها، ولعل ذلك الإنفاق لسببين:

أولهما: لأنَّ دين الرُّسل والأنبياء واحدٌ وهو الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾؛ وقال تعالى على لسان حواري عيسى ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٣﴾. (٢)

ثانيهما: لأنَّها من مُشرِّعٍ وحكِّمٍ حكيمةٍ واحدٍ وهو الله ﷻ؛ قال سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤﴾. (٣)

ومن أدلَّة مكارم الأخلاق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة والآثار ومن ذلك:

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٩-٣٣٥-رقم ١٧٨٠٠)، وقال عنه محققه الشيخ الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل موسى بن خلف - وهو العقي - فهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح؛ وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٩٧/٢-رقم ١٤٩٨).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٢-١٣٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٠٣.

١- قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

٢- ما جاء في "الموطأ": «أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ يَقُولُ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، وَانظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عبيدٌ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى، وَمُعَافَى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ».»^(٢)

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قَالَ عِيسَى: آمَنْتَ بِاللَّهِ، وَكَذَبْتَ عَيْنِي.»^(٣)

(١) سورة المائدة: الآية ٧٨-٧٩.

(٢) أخرجه مالك في "الموطأ" بلاغا (٢/٩٨٦- رقم ٨)؛ وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٢/٣٠٩- رقم ٩٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٧- رقم ٣٤٤٤)؛ ومسلم في "الصحيح" (٤/١٨٣٨- رقم ٢٣٦٨).

المطلب الرابع: تحريف الإنجيل، وأسباب تحريفه.

قد تقرر فيما سبق أنَّ الإنجيل من كلام الله تعالى الذي نزل الوحي به على عيسى عليه السلام، والذي شاء الله أن يجعل حفظه معهودًا إلى علماء بني إسرائيل وعُبادهم؛ ولكنَّ فريقاً منهم حرّفوا كلام الله سبحانه، وبدّلوه وغيروه؛ ومنهم من كتم الحقّ الذي فيه، واشتروا به ثمناً قليلاً، وعرضاً زائلاً؛ والأدلة على تحريفهم لكُتب الله تعالى ظاهرة متواترة نقلاً وعقلاً.

ومن أدلة القرآن على تحريف الإنجيل:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحِرُّونَ الْكَلِمَةَ عَنِ مَوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ (١).

٢- وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السِّنَّتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (٢).

(١) سورة المائدة: الآيات من ١٢-١٤.

(٢) سورة آل عمران: الآيات من ٧٨-٨٠.

وقد جعل هؤلاء المحرّفون من اليهود والنصارى كُتِبَ اللهُ تَدُلُّ عَلَى تَأْلِيهِ عَزِيرِ الْمَسِيحِ عَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وما كان اللهُ لِيَنْزِلَ كُتِبَهُ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، ولا هو ﷻ يَرْضَى لِعِبَادَةِ الْكُفْرِ؛ قال اللهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّاءَ قَلِيلاً فَبَدَّلَ اللَّهُ فَسْمَهُمْ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١).

ومن الأحاديث والآثار الدالة على تحريف الإنجيل:

١- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه أتى الشَّامَ فرأى النَّصارى يسجدون لأساقفتهم وقسيسيهم وبطارقتهم، ورأى اليهود يسجدون لأحبارهم ورهبانهم وربائيتهم وعلمائهم وفقهائهم، فقال: لأي شيء تفعلون هذا؟ قالوا: هذه تحية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قلت: فنحن أحق أن نصنع بنبينا، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرّفوا كتابهم...» الحديث. (٢)

٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد قبض الله داود من بين أصحابه، فما فُتِنُوا ولا بدَّلُوا، ولقد مكث أصحابُ المسيح على سنته وهدية مئتي سنة» (٣)؛ أي أنهم بدَّلُوا وغيرُوا بعد ذلك.

٣- وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابتكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرؤونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلُوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم". (٤)

وقد كانت هناك أسبابٌ أدَّت إلى تحريف الإنجيل منها:

١- ضياع الإنجيل الأصلي الذي كان بلغه عيسى عليه السلام، و انقطاع السند بينه وبين من تناقله من الكتاتيب عن عيسى عليه السلام، وقد كان هذا سمة من سمات الإنجيل؛ يقول المهتدي عبد الله الترجمان في كتابه: (وما كان الذي جاء به عيسى إلا إنجيلاً واحداً لا تدافع فيه، ولا اضطراب ولا اختلاف)،

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣١/٨ - رقم ٧٢٩٤)؛ والحاكم في "المستدرک" (٤/١٩٠ - رقم ٧٣٢٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣/٢٠٠ - رقم ١٢٠٣).

(٣) أخرجه ابن حبان في "الصحيح" (١٤/١٣٠ - رقم ٦٢٣٦)؛ والبرز في "مسنده" (١٠/٤٣ - رقم ٤٣٠١)؛ و البخاري في "التاريخ" (٤/٢ / ١٠٢)؛ وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٢/٥٨٤ - رقم ٥٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٩/١١١ - رقم ٧٣٦٣).

وصدق رحمه الله، لأن العلامة والفرقان في التمييز بين وحي الرحمن وكذب الشيطان قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١)؛ أما هذه الأناجيل الموجودة ففيها من التناقض والتعارض والتضاد ما يورث الناظر فيها الشك بأنها كلمة الله تعالى التي أوحاها إلى عيسى عليه السلام، مما أورثهم التفرق والتنازع؛ قال الله تعالى عنهم يصف حالهم: ﴿وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾^(٢)؛ وقد قال المهتدي الحسن بن أيوب بعد شرحه لمذاهب النصارى المختلفة كلمة فاصلة في هذا التفرق المذموم الذي لا يمثله أي تفرق، وهي تبين شناعة ابتداع النصارى حيث يقول: (فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم، ولا شكوا فيه، ولا تفرقوا القول فيما اختاروه، إلا أهل ملل النصرانية فقط، وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع الدين وشرائعه...، والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود).^(٣)

٢- اجتماع كثير من النصارى على الضلالة التي تُسمى الشريعة الإيمانية، أو التسيحة الإيمانية الخالية من تسيح الرب^(٤)؛ والتي قررها مجمع نيقية المسكوني، والذي أصدر باجتماع ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا، برعاية الإمبراطور قسطنطين، وقد تضمنت القول بألوهية المسيح عليه السلام، فأدّت إلى اعتماد أناجيل معينة توافق اعتقادهم، وعدم الاعتراف ببقية الأناجيل التي تخالفهم، واتلافها واعتبارها هرطقات.^(٥)

والأثر الذي سيأتي يوضح كيف أن الملوك الذين اعتنقوا فكرة ألوهية المسيح كانوا سبباً في تحريف المسيحية وتحريف الإنجيل؛ فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل للملوكةم: ما نجد شتماً أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾،

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٤.

(٣) انظر "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية (٤/١٨٠).

(٤) ونص هذه الشريعة هي كالتالي " (نؤمن بالله الواحد الأب، خالق كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابنه الأحد بكر الخلاق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه. وهو الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا -معشر الناس- ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وحمل به، ثم ولد من مريم البتول، وألم وشج، وقتل وصلب ودفن، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

(٥) انظر "مصادر النصرانية" لعبدالرزاق بن عبد المجيد الأرو (ص ٧٤٤-٧٥١).

وهؤلاء الآيات مع ما يعيونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها، ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحفر الآبار، ونحترق البقول فلا نرُد عليكم، ولا نمُرُّ بكم، وليس أحدٌ من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به، فلما بعث الله النبي ﷺ، ولم يبق منهم إلا قليل، انحطَّ رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحبُ الدير من ديره، فآمنوا به، وصدّقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، أجرين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم. قال: يجعل لكم نوراً تمشون به القرآن، واتباعهم النبي ﷺ، قال: ﴿لِأَيُّهَا أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يتشبهون بكم ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَن الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. (١) (٢)

وهذه الضلالة التي اجتمعوا إليها أدّت إلى تحريفِ ديانة المسيح عيسى عليه السلام من التوحيد إلى التثليث، وهذا الإجماع التي اجتمعت عليه النصارى كان ضلالةً وفتنةً لهم ولمن بعدهم، قال الله ﷻ ناهياً أهل الكتاب في اتباع الضالين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٣)؛ وصدق المهتدي علي بن رين الطبري إذ يقول: (أن قبول كل إجماع فتنة ورد كل إجماع ضلالة) (٤)؛ ولم يكن هذا الإجماع مُستنداً إلى نقلٍ صحيح متصل السند عن عيسى عليه السلام، ولا إلى معقولٍ يفهم ويفقهه وتتقبله العقول الصحيحة، وتسكن إليه الفطر السليمة.

(١) سورة الحديد: الآيات ٢٧-٢٨-٢٩.

(٢) الأثر أخرجه النسائي في "السنن" (٢٣١/٨) - رقم (٥٤٠٠)؛ وضعفه الألباني في "ضعيف سنن النسائي" (٤٠٠/١١).

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

(٤) "الدين والدولة" (ص ٤٣).

قال المهتدي نصر بن يحيى المتطبّب^(١): (ليس لإعتقادهم أصلٌ يُعوّل عليه، ولا برهانٌ يُستند إليه، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون، واغتروا بجَهال لا يفقهون).^(٢)

٣- أنّ كتب الأناجيل والرسائل المعتمدة عند النصارى قد دخلها كثير من التحريف، والذين قاموا بهذا التحريف هم بولس اليهودي، وكتّاب الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى، وهي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، مع عدة أسفار ورسائل أخرى^(٣). ثمّ التّساع و المترجمون؛ فأما بولس اليهودي فقد أظهرت ردود علماء المسلمين، وبحوث النّصارى أنّه كان السبب في تحريف ديانة المسيح عليه السلام من التوحيد إلى التثليث، وغير أصول دين الإسلام الذي دعا إليه المسيح عليه السلام إلى دين التثليث الذي كان متأثراً بكثيرٍ من الثقافات والفلسفات الوضعية والدّيانات الوثنية^(٤)؛ فهو كما يقول الباحثون المنصفون المتجرّدون: (أنّ بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية المعروفة اليوم).

أمّا كتّاب الأناجيل الأربعة -متّى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا- سواء أكانوا هم من كتبها أم هي نسبة خاطئة، وكتّابها مجهولون، قال فيهم المهتدي عبدالله الترجمان: (أن الذين كتبوا الأناجيل أربعة هم: متّى، وماركوس، ولوقا، ويوحنا، وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى، وزادوا ونقصوا وبدّلوا كلام الله تعالى، مثل ما أحرر عنهم سبحانه في كتابه العزيز، وليس هؤلاء من الحوارين الذين أثنى الله عليهم في القرآن).^(٥)

وهم في ذلك أحد رجلين: إمّا أنهم لم يروا المسيح عيسى ﷺ كما هي حال كثيرٍ ممن ينسب إليهم الأناجيل، أو كانت نسبة خاطئة، وكتبتّها مجهولون؛ يقول أحد الباحثين في الأديان: (إنّ أقلّ ما يقال في كتّبة هذه الأناجيل أنهم مجاهيل، كتبوا هذه الكتب ثمّ نسبوها هم أو نسبها أصحابها إلى أناس وجدوا لهم قبلاً وثناً في الأوساط النصرانية، كي يمهّدوا لانتشار هذه الكتب وما تحويه من أفكار).^(٦)

(١) هو نصر بن يحيى بن سعيد، طيب، كان نصرانياً ثمّ أسلم بعد بحث ونظر، وكتب كتابه " النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" في الرد على النصارى؛ انظر: مقدمة تحقيق هذا الكتاب، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي (ص ١٦-١٧).

(٢) " النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" لنصر بن يحيى المتطبّب (ص ٥٢).

(٣) وهي التي تسمى العهد الجديد، وتحتوي أربعة أقسام: القسم الأول: الأناجيل الأربعة المذكورة، والثاني: سفر أعمال الرسل، والثالث: الرسائل وهي قسمان: رسائل بولس، والرسائل الكاثوليكية، والقسم الرابع: سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي. انظر "مصادر النصرانية" (ص ٣٥٥-٣٥٦).

(٤) انظر كتاب "المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس" للمؤلف نبيل نقولا؛ وكتاب "بولس وتحريف المسيحية" للباحث هيم مكبي.

(٥) "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" عبد الله الترجمان (ص ٦٥-٦٦).

(٦) انظر "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" (ص ٦٦-٧٠)؛ وانظر "مقارنة الأديان" لمحمد عزت الطهطاوي (ص ١٠٧)؛ و"مصادر النصرانية" لعبدالرزاق بن عبد المجيد أيارو (ص ٣٧٧).

وأما عن التَّحْرِيفِ والتَّبْدِيلِ نتيحةً لاختلاف النُّسخِ والتَّرجَماتِ الكثيرة^(١)؛ فإنَّها أدَّت إلى عددٍ لا يُحصى من التَّحْرِيفِ للكتبِ التي بين أيدي اليهود والنصارى، فرؤساء الكنيسة ينصبُّون أنفسهم لمراجعة هذه الكتبِ أو تنقيحها أو الاستدراك عليها بتبديلٍ أو إسقاطٍ أو إضافةٍ، وهذا الأمرُ من أخطرِ الأمورِ التي أدَّت إلى مزيدٍ من تحريفِ ديانة المسيح عليه السلام، ذلك لأنَّ النصارى لا يعرفون اللُّغة الأصيلية للنص المترجم، ولا يوجد نسخةٌ أصليَّةٌ من الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، فترجمات الكتاب المقدَّس تعتبر لدى النصارى كالنَّصِّ الأصيلِ، ويقوم مقامه، بخلاف القرآن الكريم الذي تكون فيه الترجمة لمعانيه وتفسيره، وليست الترجمة لألفاظه بحيث تكون قائمةً مقامَ النَّصِّ الأصليِّ الذي نزلَ بلُغةِ العرب، والذي هو وحيٌّ من الله تعالى بحروفه، والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة العظيمة في حفظه لكتابه العزيز.^(٢)

نقل أحدُ الباحثين كلامًا مُهمًّا عن العهد الجديد فقال: (إنَّ نُسخَ العهدِ الجديدِ التي وصلتنا ليست كلُّها واحدة، بل يمكن أن يرى المرءُ فيها فوارقَ مختلفةً الأهمية، ولكن عددها كبير جدا ... إنَّ نصَّ العهدِ الجديدِ قد نُسخَ ثمَّ نُسخَ طوَالِ قرونٍ كثيرةٍ بيدِ نُسخِهم متفاوتٍ، وما من واحدٍ منهم معصومٌ من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت، مهما بذل فيها من الجهد بالموافقة التامة).^(٣)

(١) بين النسخ والترجمات فروق، فكلاهما نقل للكلام ولكن بينهما اختلاف، فالترجمة تكون بلغة أخرى، والنسخ قد تكون بنفس اللغة، و من حيث إنها تختلف في الألفاظ وربما في الجمل والفقرات؛ انظر إلى "مصادر النصرانية" لعبدالرزاق بن عبد المجيد أيارو (ص ٦٨٤).
(٢) انظر "مصادر النصرانية" (ص ٦٨٤-٦٩٠)؛ و انظر كتاب "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" لموريس بوكاي (ص ١٥٧-١٦٢).
(٣) "اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية" لأحمد عبد الوهاب (ص ٢٤)؛ وانظر "المدخل إلى العهد الجديد" دار الثقافة المسيحية (ص ١٣٤).

الفصل الخامس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، (وفيه ثلاث مباحث)

المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بعيسى عليه السلام.

المطلب الأول: إثبات نبوة عيسى عليه السلام، وذكر اسمه ولقبه.

المطلب الثاني: نسب عيسى عليه السلام في القرآن، واختلاف نسبه في الإنجيل.

المطلب الثالث: الإيمان ببشرية عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: الإيمان بتفاضل الأنبياء، وفضائل عيسى عليه السلام، وأنه من أولي العزم من الرسل.

المبحث الثاني: ما ورد في علاقة نبي الله عيسى عليه السلام مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: ما ورد في علاقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام:

(وفيه أربعة مطالب) .

المطلب الأول: أنه معلوم في كتاب الله بنبوته واختيار الله له منذ خلق آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: الميثاق الذي أخذ على النبيين.

المطلب الثالث: بشارته النبي عيسى عليه السلام به، وذكره في التوراة والإنجيل.

المطلب الرابع: نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وإقراره لشريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الخامس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بعيسى عليه السلام:

المطلب الأول: إثبات نبوة عيسى عليه السلام، وذكر اسمه ولقبه.

قبل أن نبدأ بالحديث عن إثبات نبوة عيسى عليه السلام لا بد من التأكيد على وجوب الإيمان بالرسول والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً فهو ركن من أركان الإيمان ، لا يتم صحة إسلام عبد ولا يتم أصل إيمان مؤمن إلا به ، ويتضمن ذلك الإيمان "بكل نبي أرسله الله ، وبما سمى الله في كتابه من رسله وبأن الله سواهم رسلاً، وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم فيصدق بجميع ما أخبروا و يطيعهم في جميع ما أمروا به وهو عنه ، و يخص النبي محمداً ﷺ أنه خاتم النبيين ، لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين من الإنس، والجن ، وأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ويلزم كل من بعث إليه أن يؤمن به ويصدق به ويتبع شريعته ، ولا يصح إسلام عبد ولا يصدق إيمان مدعي ، إن كفر به ﷺ ولو آمن بجميع من سبقه من النبيين والمرسلين^(١) و قد قدمت فيما سبق من الفصول ما يدل على نبوة عيسى عليه السلام ورسالته ؛ ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى هذا المعتقد في هذا الفصل لأنه متعلق به، وأولى ما يبدأ به في هذا الفصل، فمن أدلة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَهْطَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿ وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٤)، وقوله سبحانه: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا

(١) انظر الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد آل فياض ص ١٧ ، و التنبهات السنية على شرح العقيدة الواسطية للشيخ

عبدالعزیز الرشید ص ٢٢

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٦ .

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٥ .

مِنَ النَّبِيِّنَ مِثْلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّثْقًا غَلِيظًا ﴿١﴾،
 وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
 مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾.

وغير ذلك من الآيات الدالة على نبوته عليه السلام، وإرساله إلى بني إسرائيل، وأما من السنة النبوية
 فكثير، من أصحها وأصرحها:

- حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
 وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ
 حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ؟» وفي رواية زاد: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»^(٣).

- وحديث آخر ورد ذكره في عرصات يوم القيامة، وهو المشهور بحديث الشفاعة، حينما يشتد الموقف
 على الخلائق، فيجتمع المؤمنون إلى أولي العزم من الرسل لأجل الشفاعة، وفيه: «يقول لهم موسى عليه
 السلام: «اتنوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه»، فيقول: «لست هناكم، اتنوا محمدًا - ﷺ - عبدًا
 غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ...»^(٤)؛ وغيرها من الأحاديث الدالة على إثبات أن عيسى عليه
 السلام نبي ورسول.

ذِكْرُ اسْمِهِ وَلِقْبِهِ:

أما اسمه فهو عيسى بن مريم عليهما السلام؛ وقد ورد اسمه في القرآن الكريم خمسًا وعشرين مرة^(٥)؛ قال
 تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٦)؛ وورد اسمه عليه السلام في السنة
 النبوية في مواضع كثيرة عديدة، من ذلك قوله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة»^(٧)،

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٢) سورة الصف: الآية ٥٦.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٥/٤ - رقم ٣٤٣٥)؛ ومسلم في "الصحيح" (٥٧/١ - رقم ٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٨/٦ - رقم ٤٤٧٦)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٨٠/١ - رقم ١٩٣).

(٥) وذلك في سورة البقرة: ٨٧، ١٣٦، ٢٥٣. سورة آل عمران: ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٩، ٨٤. سورة النساء: ١٥٧، ١٦٣، ١٧١، سورة
 المائدة: ٤٦، ٧٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦. سورة الأنعام: ٨٥. سورة مريم: ٣٤. سورة الأحزاب: ٧. سورة الشورى: ١٣. سورة
 الزخرف: ٦٣. سورة الحديد: ٢٧. سورة الصف: ٦، ١٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٧) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٧/٤ - رقم ٣٤٤٣)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٧٣٨/٤ - رقم ٢٣٦٥).

وذكر مُضافاً ومُصرّحاً بنسبته إلى أمّه في ثلاثة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم. وإضافته إليها فيها فائدتان: تنبيهٌ بأنه يُولد بأمّ دون أبٍ، فلا ينسبُ إلا لمرثمٍ عليها السلام؛ وليُنفى عنه ما وصفه به وأضافه إليه الملحدون من النصارى من كونه ابن الله، وأنه ولد له - سبحانه الله عما يقولون-، و تبرئةٌ لأمّه عليها السلام مما قذفها به اليهود -عليهم لعائن الله-^(١).

وهو اسم أعجمي معرّبٌ من الإسم العبري أو السرياني يشوع، وقيل أيشوع؛ ويُعرف في كتب النصارى بيسوع، ومعناه المُخلّص الذي خلّص كثيرين من ضلالهم وذنوبهم^(٢).

نقل القاسمي^(٣) في تفسيره أن أصل كلمة عيسى: يسوع، فحرّفه اليهود إلى عيسو تهكُّماً، فحوله العرب إلى عيسى تشبهاً باسم موسى، وأنّ تبديل الواو ألفاً من قواعد اللغة العبرانية بل والعربية^(٤). وقيل أن أصله عربي مأخوذ من العيس أي البياض الذي يخالطه شقرة، أو مشتق من السوس، أي السياسة؛ وقد أنكر أئمة اللغة أن أصله عربي وذهبوا أن أصله أعجمي، كالزجاج وسيبويه^(٥).

لقبه: أطلق على عيسى ﷺ عدّة ألقابٍ وأوصافٍ منها: **١- المسيح:** وهذا اللقب الذي ذُكر في القرآن أحد عشر مرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾^(٧) كما ورد هذا اللقب في السنّة في مواضع عديدة، نذكر منها على سبيل المثال: قوله ﷺ: «فسألت من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم...» الحديث^(٨)، ولفظ المسيح لفظ مختلفٌ في أصله، هل هو معرّبٌ من العبرانية أو السريانية أم هو عربي الأصل؛ فقيل على أنه معرب من

(١) انظر: "تفسير ابن كثير" (٤٣/٢)؛ و"تفسير ابن جرير" (٤١٣/٦)؛ و"محاسن التأويل" للقاسمي (٣١٨/٢).

(٢) انظر: "تاج العروس" للزبيدي (مادة ع ي س، ٢٩٧/١٦)؛ و"تهذيب اللغة" للأزهري (٦١/٣).

(٣) القاسمي هو: جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده سنة ١٢٨٣هـ، ووفاته سنة ١٣٣٢هـ في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات، ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة. من مؤلفاته: "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"؛ و"إصلاح المساجد من البدع والعوائد". انظر "الأعلام للزركلي" (١٣٥/٢).

(٤) "محاسن التأويل" للقاسمي (٣١٨/٢).

(٥) انظر "البحر المحيط" للواحدي (٢٩٦/١)؛ وانظر: "تاج العروس" (٦١/٣).

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٢.

(٧) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٨) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦١/٧ - رقم ٥٩٠٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٥٤/١ - رقم ١٦٩).

اللفظ العبري "مشيحا"، أو لفظ "ماشيخا"^(١)، مأخوذ من المسح كما في العهد القديم أي الممسوح بالدهن، أو الزيت المقدس الذي كان يُصنع من أفخر الأطياب والعطارة وزيت الزيتون، لقصد التقديس أو التكريس لخدمة دينية أو دنيوية^(٢)، وقيل إنه عربي الأصل، لأنه وصفٌ وليس باسم، لأنَّ العرب خوطبت به، ولولا أنها تعقله ما خوطبت به، لأنه لا يصحُّ أن يخاطب العربُ أو غيرهم في وصف شيءٍ إلا بما تفهمه وتعقله، ويؤيد هذا القول ما يُذكر من أسباب تسميته بالمسيح أو معاني هذا الوصف، وقد ذُكرت في سبب تسميته أقوالٌ عديدة منها: أنه مُسح بالبركة؛ أو أنَّه مُسح بالدهن الذي يمسح به الأنبياء، خرج من بطن أمه ممسوحا به، وهو دهنٌ طيبٌ الرائحة إذا مُسح به شخصٌ عُلم أنَّه نبيٌّ؛ أو أنَّه مُسح بتطهيره من الذنوب والخطايا فهو صديقٌ؛ أو بمسح جبريل له بجناحه؛ أو لمسح رجله فليس فيهما خمص، والأخص ما تجافى عن الأرض من باطن الرِّجل، وكان عيسى أمسح القدم لا أخص له؛ وقيل: لمسح الجمال إياه وهو ظهوره عليه؛ وقيل لمسحه من الأقدار التي تنال المولودين، لأن أمه كانت لا تحيض ولم تدنس بدم نفاس، وهذه الأقوال على اعتبار المسيح من وزن فاعيل بمعنى مفعول، فالمسيح هنا بمعنى ممسوح^(٣). وقيل أيضا: سُمي بذلك لأنَّه كان لا يمسح بيده دأ عاهة إلا بريء، قاله ابن عباس رضي الله عنه؛ وقيل: من المساحة، وكان يجول في الأرض فكأنه كان يمسحها. فهنا الفاعيل بمعنى فاعل، أي مسيح بمعنى ماسح، جاء بصيغة فاعيل للمبالغة^(٤).

٢- كلمة الله وروح منه: قد تقدّم فيما سبق أن من الأمور المضافة إلى الله تعالى ما وصّف به عبده ورسوله عيسى عليه السلام بأنه كلمة الله وروح منه، ومن الأدلة على ذلك - المسبوقة الذكر - قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٥)، وقوله وَعَلَى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾^(٦). ومن السُّنة: حديثُ عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته

(١) انظر: "كتاب العين" للخليل الفراهيدي (١٥٦/٣)؛ و"تاج العروس" للزبيدي (مادة سح، ١٢٦/٧)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (٥٩٤/٢).

(٢) "الموسوعة العربية الميسرة" (١٩٨١)؛ و"الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" الندوة العالمية للشباب (١١٥٥/٢).

(٣) انظر "تفسير الطبري" (٤١٧/٩ وما بعدها)؛ و"التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور (٢٤٦/٣)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (٢٨٢/١ وما بعدها).

(٤) المصادر السابقة.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧١.

ألقاها إلى مريم وروحٌ منه»^(١). وهذه الإضافة - كما مر معنا في الفصل الثالث - لا تقتضي أنها صفة من صفات الله تعالى لكونها أضيفت إلى الله تعالى، بل هي وصفٌ لعينٍ قائمةٍ بنفسه، بآئمةٍ عن الرحمن ﷻ؛ وجاءت هذه الإضافة لبيان منزلة عيسى ﷺ، وتشريفاً له، ولبيان أنه لم يُخلق كغيره من الخلق الذين خلقوا من ماء مهين.

وقد تعددت الأقوال في سبب تسميته عليه السلام بأنه كلمة الله أو كلمته سبحانه؛ قال ابن الجوزي: (وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول الله له: «كن» فكان، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسى، وسمي كلمة، لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى^(٢). وقيل: لأن الله سماه المسيح وهذا من كلام الله؛ وقيل: لوعده الله به في كتابه التوراة والكتب السابقة؛ وقيل: لأن الله يهدي بكلمته؛ وقيل: لأنه جاء على وفق كلمة جبريل وهي: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾^(٣)، فجاء على الصفة التي وصف؛ وقيل: سماه الله بذلك كما سمي من شاء من سائر خلقه بما شاء من الأسماء، فيكون على هذا علماً موضوعاً له؛ وروي عن ابن عباس أن الكلمة هي عيسى عليه السلام، وقيل: الكلمة هنا لا يراد بها عيسى، بل الكلمة بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليه السلام، وقد رجح هذا الأخير ابن جرير الطبري رحمه الله^(٤)، والأظهر هو ما قاله قتادة وشاذ بن يحيى، حيث إن أئمة السلف كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية كانوا يحتجون بقول قتادة رحمه الله في ردودهم على الجهمية والمعتلة، وقد فصلت القول في ذلك في موضعه^(٥)، أما وصفه بأنه روحٌ منه فقد اختلف أهل العلم في معناه: فقيل أن "روح منه" معناه نفخة منه، ونُسب إلى الله تعالى لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في مريم عليها السلام بأمر الله إياه بذلك، فنُسب إلى أنه "روح من الله"، لأنه بأمره، أمّا النفخُ سميَّ روحًا لأنَّ ربحاً تخرج من الروح؛ وقيل: "وروح منه" أي أنه كان إنساناً بإحياء الله له بقوله: "كن"، و"روح منه" أي حياة منه؛ وقيل أيضاً "وروح منه" أي رحمة منه، فجعل الله عيسى رحمةً منه على من أتبعه وآمن به وصدَّقه، لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد؛ وقربٌ من هذا المعنى أنه روحٌ كما سميَّ القرآن روحًا، لإحياءه الناس به وهدايتهم به؛ وقيل أيضاً في معناه: وروح من الله خلقها فصوّرها، ثم أرسلها إلى مريم فدخلت في فيها، فصبرها الله تعالى روح عيسى عليه السلام، وهو قول أبي بن كعب رضي الله عنه؛ وقال

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٥ - رقم ٣٤٣٥)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/٥٧ - رقم ٢٨).

(٢) "زاد المسير" لابن الجوزي (١/٢٨٢).

(٣) سورة مريم: الآية ١٩.

(٤) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٦/٤١١ وما بعدها).

(٥) ينظر في "الفصل الثالث"، ص ١٣٦ - ١٣٨ فيه تفصيل لهذه الألقاب العظيمة.

آخرون: معنى "الروح" ههنا جبريل عليه السلام، وهو معطوف على ما قبله؛ وقيل: أن معنى الروح هنا الوحي، أي: ووحى إلى جبريل بالنفخ في درعها^(١)، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي ((قوله تعالى: "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"، ليست لفظة «من» في هذه الآية للتبعيض، كما يزعمه النصارى افتراء على الله، ولكن «من» هنا لا ابتداء الغاية، يعني: أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيا من الله تعالى ؛ لأنه هو الذي أحياه به، ويدل على أن من هنا لا ابتداء الغاية. قوله تعالى: وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه" ، أي: كائنا مبدأ ذلك كله منه جل وعلا ويدل لما ذكرت ما روي عن أبي بن كعب، أنه قال: «خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق، ثم ردها إلى صلب آدم، وأمسك عنده روح عيسى عليه الصلاة والسلام» ؛ فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان منه عيسى عليه السلام، وهذه الإضافة للتفضيل ؛ لأن جميع الأرواح من خلقه جل وعلا، كقوله: "وطهر بيتي للطائفين"، وقوله: "ناقة الله". وقيل: قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحا ويضاف إلى الله، فيقال: هذا روح من الله، أي: من خلقه، وكان عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، فاستحق هذا الاسم، وقيل: سمي روحا بسبب نفخة جبريل عليه السلام المذكورة في سورة «الأنبياء» «والتحريم» ، والعرب تسمي النفخ روحا ؛ لأنه ريح تخرج من الروح، ومنه قول ذي الرمة: فقلت له: ارفعها إليك وأحيها ... بروحك واقتته لها قيته قدرا ، وعلى هذا القول، فقوله: وروح معطوف على الضمير العائد إلى الله الذي هو فاعل ألقاها، قاله القرطبي، والله تعالى أعلم. وقال بعض العلماء: وروح منه، أي: رحمة منه، وكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه، قيل "وأيدهم بروح منه"، أي: برحمة منه، حكاه القرطبي أيضا، وقيل، روح منه، أي: برهان منه وكان عيسى برهانا وحجة على قومه، والعلم عند الله تعالى))^(٢). وقد يُجمع بين هذه الأقوال، فهي لا تتعارض، فهو روح نُفخت بأمر الله، خلقها الله تعالى كسائر مخلوقاته، وأن عيسى رحمةٌ يحيى الناس بالإيمان والإهداء به، كالروح التي يحيى الناس بها، وقد نُسبت إليه تشريفاً وتخصيصاً لها بتميز خلقه كما أشرت لذلك سابقاً، والله أعلم^(٣).

(١) انظر "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٢١/٩)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٧٨/٢)؛ و"البحر المحيط" لأبي حيان (٤٥٤/٢)؛ و"أضواء البيان" للشنقيطي (٣٢٣/١)

(٢) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للعلامة الأمين الشنقيطي (٣٢٣/١).

(٣) انظر "تفسير ابن كثير" (٤٧٩/٢) ، و قد ذكر سابقا في الفصل الثالث ص ١٣٦-١٣٨

المطلب الثاني: نسبُ عيسى عليه السلام في القرآن، واختلافُ نسبه في الإنجيل.

ذكرت أن عيسى عليه السلام ذُكر في القرآن منسوبًا لأُمَّه، و قد ذكر الله قصَّة ولادة مريم عليها السلام، التي كانت من ذرية عمران الذي سميت سورة آل عمران باسمه واسم آله تشريفًا لهذه العائلة المباركة، وإشارة إلى نسب النبي عيسى عليه السلام، الذي رغم أنه وُلد بمعجزة من كونه من أم بلا أب إلا أنه بشرٌ من نسل آل عمران، ليس فيه من خصائص الإلهية شيء؛ قال الإمام السيوطي رحمه الله: (أن عيسى عليه الصلاة والسلام مثلهم لأنه أحدهم، وكذا قوله: {وآل عمران} في قوله: {على العالمين} إشارة إلى أنه كسائر أقاربه منهم، وأفصح بذلك إفصاحاً جلياً في قوله: {ذرية بعضها من بعض}، أي فهم كلهم من بني آدم، لا مزية لبعضهم على بعض في ذلك)^(١). خاصة وأنَّ هذه العائلة المباركة قد خُصَّت بعددٍ من الكرامات في ولادة زوجة عمران بعد كبر وعقم مريم عليها السلام، وولادة أختها زوجة زكريا عليه السلام بيحيى عليه السلام مثل ذلك بعد عقم وكبر، فلا يُستغرب خرقُ العادة في نسلهم بولادة رسول عظيم من أم بلا أب، وهو المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام.

فعيسى عليه السلام إذاً وُلد لمريم عليها السلام ابنة عمران من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، هذا هو الثابت في القرآن، ولكن نسبته إلى داود عليه السلام في ثبوتها اختلاف بين المحققين والدارسين في النصرانية بين مثبت وناقٍ، فابن جرير رحمه الله موافق لابن اسحاق ومن تابعه من المؤرخين، وقد نسبوا عيسى عليه السلام من جهة أبي أمه " عمران " إلى سليمان بن داود عليهما السلام^(٢)، والكتاب المقدس يثبت ذلك^(٣)، ولكن بعض المحققين في دراسة النصرانية يرجعون نسبه إلى هارون عليه السلام أخو موسى عليه السلام، بحجة أن زكريا وامراته " اليصابات " أم يحيى من نسل هارون من نسل لاوي، و في إنجيل لوقا أن مريم قريبة ل"اليصابات" أي من السبط الذي هي منه، وذلك لأن شريعة بني إسرائيل تنصُّ على تميُّز الأسباب بزواج كل امرأة بواحد من عشيرة سبط أبيها، وإذا ثبت أن مريم قريبة ل"اليصابات" يثبت أن مريم من هارون كما أن "اليصابات" ثبت قطعاً أنها من ذرية هارون عليه السلام^(٤).

(١) "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للسيوطي (٢/١٨٠).

(٢) انظر: "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري (١/٥٨٦)، و"تفسير ابن جرير" (٦/٣٢٨-٣٢٩).

(٣) "إنجيل متى"، و"إنجيل لوقا".

(٤) انظر: "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ص٤٩٥)؛ و"إظهار الحق" لرحمت الله الهندي (١/١٩٤-١٩٥)؛ و"البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل" أحمد حجازي السقا (١/١٥٨).

وقد وجد في هذا الأمر المهم تناقضٌ عظيمٌ في الكتاب المقدس من اختلاف سلسلة نسب عيسى عليه السلام، خاصة في إنجيل "متى" وإنجيل "لوقا"؛ وفيهما اختلاف كبير، أبرزه ما بيّنه الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله^(١) في كتابه العظيم "إظهار الحق" في اختلاف عدد وأسماء آباء وأجداد المسيح عليه السلام، والذي يُنسبُ بالاتفاق بين الإنجيلين إلى يوسف النجار، خطيب مريم عليها السلام، فقال رحمه الله: (من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً على ما بيّن متى، وواحد وأربعون جيلاً على ما بيّن لوقا)^(٢)؛ وهذا من أبين الاختلافات، وقد نقل الشيخ تحيّر المحققين من علماء النصرانية، حتى اعترف أحدهم بأنّ هذا الاختلافَ اختلافٌ تحيّر فيه المحققون من القدماء والمتأخرين^(٣).

(١) محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيّرأنوي العثماني الهندي الحنفي، نزيل الحرمين: باحث، عالم بالدين والمناظرة. ولد في كيرانة في الهند ١٨١٨ م ، وبدأ تعليمه في بلده على يد والده وكبار أفراد العائلة المشهورين بالعلم والفضل والدين حسب النظام المتبع في ذلك العهد، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة الفارسية وقرأ كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية على يد آباءه، من مصنفاته "إظهار الحق"، توفي الشيخ رحمت الله الهندي بمكة ليلة الجمعة ٢٢ من شهر رمضان المبارك عام ١٣٠٨ هـ ، عن عمر يقارب خمسا وسبعين سنة. انظر مقدمة كتابه "إظهار الحق"، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود - الرياض.

(٢) "إظهار الحق" لرحمة الله الهندي (١٩٠/١).

(٣) المصدر السابق.

المطلب الثالث: الإيمان ببشرية عيسى ﷺ.

إنَّ المتأمل في قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام من خلال نصوص القرآن الكريم، وكذلك ما اعترف به رسولنا الكريم ﷺ على نفسه من كونه بشراً، يوقن أنَّ الأنبياء والمرسلين مهما بلغوا في درجات الكمال، وارتفعوا في منازل الجمال والجلال، إلا أنهم بشرٌ خُلِقوا من آدم عليهم السلام، يعترهم ما يعترى البشر، وتسيرُ عليهم سُنن البشرية، فيطرأ عليهم النَّقصُ والتغيُّرُ والحدوث، ويحتاجون إلى ما يفتقر إليه كل البشر من الأكل والشرب والنوم وغيره مما يستلزم نقص المخلوق، و فقره، وحاجته، وانتفاء خصائص الإلهية والربوبية عنه؛ قال تعالى في كلام الرسل لأقوامهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كُنَّا لِنَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وقال ﷺ: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾^(٢).

ومن كلام النبي ﷺ: «إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأبما أحدٌ دعوت عليه، من أمي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهوراً وزكاة، وقرية يقربه بها منه يوم القيامة»^(٣)؛ إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على بشرية رسولنا الخاتم محمد ﷺ؛ وهذا هو حال الرسول الكريم المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، فهو رغم أن ولادته كانت من المعجزات وأنه من أم بلا أب، وأنه ولد ب"كن" كلمة الله، وبنفخة ملك بأمر الله، إلا أنَّ هذه الرِّفعة والتفضيل لا تنزَّهه عن البشرية، وهذا التميز والتخصيص لا يوصله إلى الألوهية، فعيسى عليه السلام بشر كسائر البشر، ورسول كسائر الرسل، اختصَّه الله بما اختصَّه من المعجزات والكرامات إظهاراً لقدرة الله تعالى وعزته.

وهذه العقيدة التي تضمنت أنَّ عيسى عليه السلام بشرٌ مخلوقٌ خلقه الله ﷻ، عقيدةٌ انحرف عنها جميع فرق النصارى إلا فرقة الموحدين الآريوسية، واعتقاد بشرية المسيح ونفي ألوهيته له دلائل كثيرة ظاهرة واضحة لمن تدبَّرها، سواء من تدبَّر نصوص الوحي المحفوظ، القرآن الكريم آخر الكتب السماوية المنزلة على نبينا محمد ﷺ، وكذلك الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، وإن كان هذا الإنجيل قد فقد أصله، لكننا نجزم بذلك، لأنه اعتراف اعترف به الأنبياء والمرسلون، بل هي حجَّة المكذِّبين بالرُّسل بأنهم بشر مثل

(١) سورة إبراهيم: الآية ١١.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٠٠٩ - رقم ٢٦٠٣).

بأبقي البشر؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(١)، وهذا الاعتراف قد وُجِدَتْ دلائله في الكتاب المقدس عند النصارى رغم تحريفه، فلذلك نؤكد على بشرية عيسى عليه السلام من خلال عدة أمور منها:

أ- ذَكَرَ نَسَبَهُ إِلَى آلِ عِمْرَانَ، مِنْ جِهَةِ أُمَّهُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَهُوَ مَوْلُودٌ مِنْ امْرَأَةٍ بَشَرِيَّةٍ، تَلِدُ وَتُوَلِّدُ، وَهَذَا مِنْ خِصَائِصِ الْمَخْلُوقِ لَا مَحَالٍ، وَمِنْهُمْ الْبَشَرُ، قَالَ تَعَالَى عَنْ أُمِّهَا: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢)، فَاتَّبَتْ أَنَّهَا مَوْلُودَةٌ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا ذُرِّيَّةٌ، وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْمَخْلُوقِ أَنَّهُ يَلِدُ وَيُوَلِّدُ، وَالْإِلَهَ لَا يَلِدُ وَلَا يُوَلِّدُ، قَالَ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾^(٣) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ^(٤)، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾^(٥)، وَلَقَدْ فَصَلْنَا الْقَوْلَ فِي نَسَبِهِ.

ب- اعْتَرَفَهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَهُ، كَمَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَقَدْ اعْتَرَفَ بِعِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، نَاطِقًا بِهَا أَوَّلَ كَلَامِهِ دَفْعًا لِلْأَوْهَامِ فِي كُنْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ، مُبَرِّئًا لِأُمَّهُ فِي طَهَارَتِهَا وَشَرَفِهَا؛ قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ الْمَسِيحِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٦) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا^(٧)؛ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٨)

(١) سورة يس: الآية ١٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٦ .

(٣) سورة الإخلاص: الآية ٠٢-٠٣ .

(٤) سورة مريم: الآية ٩٢ .

(٥) سورة مريم: الآية ٢٩-٣٠ .

(٦) سورة الزخرف: الآية ٦٤ .

ت - اعترافه بأنه نبي مرسل من عند الله ﷻ، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَلِذَٰلِكَ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(١)، وقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢)، وقال الله ﷻ عنه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾^(٣)؛ ففي هذه الآيات اعتراف صريح بحقيقة المسيح عيسى عليه السلام، وأنه بشر مرسل من عند الله تعالى كبقية الرسل، يدعو الناس إلى الله سبحانه، ويهديهم إلى صراطه المستقيم؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٤)، ووظيفة الرسل - كما قررنا سابقا - أنهم يدعون لعبادة الله وحده، ولا يدعون إلى عبادة غيره، ولا عبادة أنفسهم، والعهد الجديد مليء بعبارة: "الذي أرسلني" منسوبة إلى المسيح عيسى ﷺ، والتي تدل على أن الرسول المرسل ليس هو نفسه الذي بعث وأرسل، كالذي جاء في هذا النص الذي أثار تعجبي وتأسفي على حال النصارى الضالين العمين، وفيه: ((وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أُعْطِيتُ الْآبُ لِأَكْمَلِهَا، هَذِهِ الْأَعْمَالُ بَعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي - وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي - لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ))^(٥).

ث - دعاءه لله ﷻ واستجابة الله له، وقد ذكرت سابقاً في تقرير عبادة عيسى عليه السلام لله ﷻ، وما كان منه عليه السلام من دعاء الله سبحانه في طلب الشفاء والإحياء، و من إنزال المائدة من السماء؛ وهذه دلالة واضحة على بشرية عيسى عليه السلام، وبطلان إلهيته، فلو كان إلهاً يُدعى، وله قدرة تُرجى، ما احتاج إلى الدعاء والاضطرار إلى المولى الجبار ﷻ؛ قال المهتدي نصر المتطرب عن عيسى ﷻ:

(١) سورة الصف: الآية ٥٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٣-٦٤.

(٥) "إنجيل يوحنا": [٥: ٣٦-٣٧].

(وقد كان يدعو الله ويتضرع ويعترف بربوبيته، ويقرُّ له بالعبودية، والإنجيل يتضمن: " أنَّ المسيح لما أراد أن يُجيبَ رجلاً يُقال له عازر، قال: إني أدعوك كما كنتُ أدعوك من قبلُ فتستجيب لي، وأنا أدعوك لأجل هؤلاءِ الحضورِ ليعلموا أنَّك أرسلتني، وفي كل وقتٍ تجيبني" (١) (٢).

ج- الأعراسُ البشرية التي تعرَّض لها هو وأمه من ولادةٍ وأكلٍ وشربٍ ونومٍ وموتٍ، قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئْتُمْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٣)، وهذه من أقوى الدلائل على بشريَّة المسيح عيسى ﷺ، المولود من مريم عليها السلام، وهو ما يعرض على المخلوق من الأحوال التي تدلُّ على حدوثه وتغيُّره وفنائه؛ قال أبو الوليد الباجي (٤) في رده على راهب فرنسا عن عيسى عليه السلام: (بل هو بشرٌ مخلوقٌ، وعبدٌ مريبٌ، لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة والسكون، والزَّوال والانتقال من حال إلى حال، وأكلِ الطعام، والموتِ الذي كُتب على جميع الأنام، مما لا يصحُّ على إلهٍ قديمٍ (٥)، ولا يمكن عند ذي رأي سليم) (٦)، ويقول المهدي عبدالله الترجمان في "تحفته" راداً على أهل الصليب: (وغفل النصارى عن صريح الحجة عليهم في قول المسيح عن نفسه أنه ابن إنسانٍ، وأنَّه يأكلُ ويشرب الماء والخمر، وهذا إقرارٌ منه بأنَّه إنسانٌ ابن إنسانٍ، محتاجٌ إلى مددٍ لغذائه وقوامِ بنية جسده بالطعام والشَّراب) (٧).

ح- الآلام والأذى الذي أُصيب به هو وأتباعه عليه السلام، وهذا الأمرُ تُقرُّه وتنوحُ عليه النصارى، وتفخرُ به اليهودُ وتتجحَّح في كونهم سببا فيه؛ فمن المعلوم أن المسيح عيسى عليه السلام لقي من اليهودِ والوثنيين

(١) في النسخة العربية [يوحنا ١١ : ٤١-٤٢]: "وقال: أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حينٍ تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني؟ ولعله قد أصابه التحريفُ على أيدي النساخ والمترجمين، خاصة وأن الناقلين له كانوا من علماء النصارى. انظر رسالة "الحسن بن أيوب"؛ و"النصيحة الإيمانية" لنصر بن يحيى المتطبب.

(٢) "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" لنصر بن يحيى المتطبب (ص ١٠٨).

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٤) أبو الوليد الباجي هو: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث، الإمام أبو الوليد التجيبي القرطبي الباجي، ولد في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة، توفي ٤٧٤ هـ. صاحب التصانيف. أصله بطليوسي، وانتقل آباءه إلى باجة، وهي مدينة قريبة من إشبيلية. صنف كتاب "المنتقى في الفقه"، وكتاب "المعاني في شرح الموطأ". انظر "تاريخ الإسلام" للذهبي (١٠/٣٦٥).

(٥) لم يصف الله تعالى نفسه في كتابه بالقدم، ولم يرد في السنة، ولكن هذا الوصف من اصطلاحات المتكلمين، ويقصدون به ما ثبت في النصوص الشرعية وهو اسمه "الأول فليس قبلك شيء"، والأولى التعبير به في وصف الله تعالى لوروده وسلامته من الاعتراضات.

(٦) "رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها" (ص ٦٥-٦٦).

(٧) "تحفة الأريب في الردِّ على أهل الصَّليب" (ص ١٢١).

صنوفاً من الأذى والتكذيب، كما نال ذلك حوارييه وتلامذته وأتباعه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝٥٤ ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَفَرُوا بِكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾، وقال تعالى عن إرادة اليهود قتل عيسى عليه السلام: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٦﴾؛ وقد جعل علماء الإسلام هذا الأمر حجة لهم في إنكار ألوهية المسيح عيسى عليه السلام، قال المهتدي نصر المتطبب^(٣) في نصيحته: (وليس من حق الإله أن يصلي ويخضع، ويُذلل ويمتحن، ويُعذب بكل أنواع العذاب، ويتألم ويدخل عليه الأذى، ويلحقه التغيير، ويجوبه حير؛ وهذه جميعها من صفات البشر، وليست من صفات من يُدعى له بالألوهية)^(٤).

خ- عدم علمه بالساعة وللغيب المطلق إلا ما علمه الله، وقد ذكرت في السابق أنّ من دلائل نبوة النبي ومن معجزاته إخباره بالمغيبات^(٥)، وصدقته في وقوع اللاحق منها، وأيضاً من دلائل نبوة النبي أنه لا يدعي علم الغيب المطلق، و ينفي عن نفسه علم ما لم يُعلمه الله ﷻ، وما لم يشهده ويراها، وكذلك ينفي عن نفسه معرفة وقوع الساعة، أي يوم القيامة التي يفصل الله سبحانه بين الخلائق، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۝١١٦ ﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾.

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٤-٥٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٧٦.

(٤) "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" لنصر بن يحيى المتطبب (ص ١١٦).

(٥) كما فصلنا فيه القول في الفصل الثاني والثالث.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٦-١١٧.

ومن الأمور العجيبة التي وافق فيها الكتاب المقدس ما صرَّح فيها نبينا محمد ﷺ عدم علمه بالساعة في قوله لجبريل عليه السلام: «مَتَى السَّاعَةُ؟» قَالَ: «مَا الْمَسْتَوَّلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(١)، حيث جاء في الكتاب المقدس عند النَّصَارَى ما نُسب إلى عيسى عليه السلام قوله: ((وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهَمَّا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِنُّ، إِلَّا الْآبُ))^(٢). قال المهتدي الحسن بن أيوب: (فهذا إقرارٌ منه بأنه منقوص العلم، وأن الله تبارك وتعالى أعزُّ وأعلمُ منه، وأنه خلافه وأعلا منه، وقد بيَّن بقوله (أحد) عمومته بذلك الخلق جميعاً، ثم قال: (ولا الملائكة) وعندهم من علم الله ما ليس عند أهل الأرض، ثم قال: (ولا الابن) وله من القوة ما ليس لغيره، وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله، بل ما علَّمه الله إياه وأطلعه على معرفته وجعله له، وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية، وأنه هو الله ومن جوهر أبيه، تعالى الله الخالق لكل شيء علواً كبيراً، ولو كان إلهاً كما يقولون، لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء وسرائر الأمور وعلايتها)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٩/١ - رقم ٥٠)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/٣٦ - رقم ٨).

(٢) "إنجيل مرقس": [١٣: ٣٢]؛ وفي إنجيل "متى": [٢٤ : ٣٦] ((وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهَمَّا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ)).

(٣) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/١٤٥).

المطلب الرابع:

الإيمان بتفاضل الأنبياء، وفضائل عيسى عليه السلام، وأنه من أولي العزم من الرسل.

قد أشرت سابقاً^(١) في أن من الإيمان الواجب وهو من أركان الإيمان أن الله تعالى أوجب الإيمان بالرسل والأنبياء جميعاً بلا تفریق بينهم ، وكذلك أن الله فاضل بينهم في الدرجات والفضل والرفعة، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

الْبَيِّنَاتِ وَإَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ

فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾^(٣)؛ وقد ذكرت سابقاً أن الله تعالى اصطفى المسيح عيسى

ابن مريم عليه السلام فجعله نبياً ورسولاً، بل إن الله تعالى فضَّله بأن جعله من أولي العزم من الرسل، قال

تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾^(٤)، والعزم في اللغة من عقد القلب على

أمر، والإمضاء فيه بلا تشبیه ولا تردّد، ويُطلق على القوّة والثبات، فأولوا العزم هم أهل الجدّ والثبات والقوّة

والصبر^(٥)، واختلف أهل العلم في أولي العزم من الرسل، فقليل أن كل رسول فهو من أولي العزم، لأن معنى

أولي العزم أهل الصبر والقوّة والمجالدّة في محاربة أعداء الله تعالى، وعلى هذا فتكون "من" التي في الآية بيانية،

وهذا القول خلافاً قول المحقّقين؛ و قيل إن أولي العزم من الرسل ليسوا جميعهم، واختلفوا فيهم على أقوال

أرجحها وأظهرها أنهم خمسة، وهم المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا

مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾^(٦)،

وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم نبيهم محمد عليهم الصلاة والسلام، وهو قول المحقّقين من

أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره^(٧).

(١) انظر ص ٦٠ ، و ص ١٧٩

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣ .

(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٥ .

(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٥ .

(٥) انظر "كتاب العين" للخليل بن أحمد (باب العين والزاي والميم، ١/٣٦٣)؛ و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي (فصل العين، ١/١١٣٧)؛ و"غريب الحديث" للخطابي (١/١١٩)؛ و"لسان العرب" لابن منظور (فصل العين المهملة، ١٢/٣٩٩).

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٥٧ .

(٧) انظر "مجموع فتاوى ابن تيمية" (٣٢/١٧)؛ و"أضواء البيان" للشنقيطي (٧/٢٤١)؛ و"زاد المسير" لابن الجوزي (٧/٣٩٢)؛ و"تفسير ابن كثير" (٦/٣٨٢).

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾. اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافا كثيرا، وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمت ذكرهم في "الأحزاب" و"الشورى"، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا أربعة، فصار هو ﷺ خامسهم^(١).

وقد اختصَّ اللهُ المسيحَ عيسى عليه السلام بفضائل كثيرة ذكرت كثيرا منها، ومن تلکم الفضائل :

١- إعادةُ الله تعالى لعيسى عليه السلام عند ولادته من الشيطان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْتَمٍ وَإِنِّيهَا»، ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.^(٢)

٢- ولايةُ النبيِّ محمدٍ ﷺ بعيسى ابن مريم ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى النَّاسِ بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٣)؛ أي أن نبينا محمداً ﷺ أحصُّ به، وأقربُ منه في الدنيا والآخرة؛ ولعل ذلك لأنه بشرٌ به، أو أنه لا نبيَّ بينهما وقيل أيضاً أنه من جهة قوَّة الاقتداء به في أن أصل دينهم واحد، وأولى أهل زمانه بولاية عيسى عليه السلام ردًّا على النصارى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)؛ وقد قال هو نفسه ﷺ لليهود حينما سألهم عن صيامهم ليوم عاشوراء فقال: «أنا أولى بموسى منكم»^(٥).

قال الحافظ العراقي^(٦) رحمه الله:

(١) "أضواء البيان" للشنقيطي (٢٤١/٧)

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٤/٤ - رقم ٣٤٣١).

(٣) تقدم تخرجه ص ٨٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٥٣/٤ - رقم ٣٣٩٧).

(٦) الحافظ العراقي هو أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، الكردي المصري، الشافعي، ولد سنة ٧٢٥هـ، حفظ القرآن وهو ابن ثمان. واشتغل في بداية طلبه للعلم بالقراءات، ونظر في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، جاور الحرمين، وتولى قضاء المدينة وخطابها وإمامتها، وكان ينفق معظم وقته إما في تصنيف أو إسماع، وكان كثير الكتب والأجزاء وله محاسن كثيرة. توفي

(ويحتمل أن سبب أولويته به في الدنيا والآخرة كونه يصير من أُمَّته المقتدين بشريعته عند نزوله في آخر الزمان^(١)، وهذا الأخير سيتم تفصيله فيما سيأتي والله أعلم.

٣- أنه تُطلب منه الشفاعة يوم القيامة فيعتذر؛ فمن الأحاديث الدالة على فضله، وعظيم مكانته أنه يُؤتى إليه يوم القيامة لكي يشفع للناس عند رب العالمين في فصل القضاء، فيذهبون إلى آدم عليه السلام ويذكر ذنباً، ثم يذهبون إلى نوح عليه السلام فيذكر ذنباً، ثم يذهبون إلى موسى عليه السلام ويذكر ذنباً ويقول كما جاء في حديث الشفاعة: «نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عَيْسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عَيْسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَوُجَّحَ مِنْهُ، وَكَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عَيْسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ»^(٢).

إلى غير ذلك من الفضائل التي اختصَّ بها عيسى عليه السلام، وقد ذكرت كثيرا من فضائله وما اختصه الله به من المعجزات والكرامات فيما سبق وسيأتي.

بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ بعد أن ترك مصنفات كثيرة منها: "ألفيته في مصطلح الحديث وشرحها"، وعدة تخاريج منها: "تخريج أحاديث إحياء علوم الدين"، "كتاب في المراسيل"، و"تقريب الأسانيد". انظر "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" للشوكاني (١/٧٣).

(١) "طريح الشرب في شرح التقريب" للحافظ العراقي (٦/٢٤٣).

(٢) تقدم ترجمته ٦٤ ص .

المبحث الثاني:

ما ورد في علاقة نبي الله عيسى ﷺ مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أ- صلة نبي الله عيسى ﷺ بالأنبياء والمرسلين:

قد ذكرت سابقا في نسب عيسى عليه السلام أنه كان من ذرية آل عمران، وعمراً هو والد مريم عليها السلام، و يرجع نسله إلى أحد أسباط يعقوب عليه السلام، ويعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام جميعاً؛ فهو من ذرية مصطفاه مباركة من آل عمران؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾، وقال تعالى عن ابراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾﴾، وقال سبحانه عن دعاء زكريا عليه السلام الذي كان على صلة وقرب من آل عمران كما سيأتي، قال داعياً ربه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥٠﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٥١﴾﴾.

وعيسى وموسى عليهما السلام يُنسبان إلى عمران، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« مررت ليلة أُسري بي على موسى بن عمران عليه السلام»^(٤)؛ وقد نقل ابن جرير عن ابن اسحاق أن نسب موسى عليه السلام هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله^(٥)، وكذلك عيسى عليه السلام يُنسب إلى عمران ولكنه ليس والد موسى عليه السلام، فإن بين موسى و عيسى عليهما السلام زمنٌ ليس باليسير، قيل أكثر من ألف سنة، وقيل أربعمئة سنة وقيل غير ذلك^(٦).

وأورد ابن أبي حاتم: عن قتادة، قال: «كان بين موسى وعيسى صلى الله عليهما أربعمئة سنة، وكان بين عيسى وبين محمد صلى الله عليهما ستمائة سنة، وبين نوح وآدم صلى الله عليهما ألف دار، وبين نوح

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣-٣٤.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٠٥-٠٦.

(٤) أخرجه مسلم في "الصحیح" (١٥١/١-١٦٥ رقم).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري" (٦١/٢).

(٦) انظر "تفسير ابن أبي حاتم" (٢٦٩٧/٨)؛ و"الكشاف" للزمخشري (١/٦٥٣).

وإبراهيم صلى الله عليهما ألف دار، وبين إبراهيم وبين موسى صلى الله عليهما وسلم ألف دار» يعني:
ألف دار: ألف سنة^(١).

وبناءً على هذا لا يكون النبي هارون عليه السلام الذي أرسل مع موسى عليه السلام أخًا لمریم عليها السلام الذي جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأَخْتَهَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾^(٢)، فقيل في هارون أنه رجل صالح، وقيل أن مریم من نسل هارون عليه السلام؛ وقد جاءت السنة صريحة بأن بني إسرائيل كانت تتسمى بالأنبياء والصالحين منهم، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرئون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(٣)، وهذا بالنظر إلى عموم نسبه، هذا على وجه العموم.

ب _ قرابة عيسى بيحيى ابن زكريا عليهما السلام :

فمن جهة الخصوص فعيسى عليه السلام على صلة قُربٍ من النبي يحيى ابن زكريا عليهما السلام؛ ويحيى عليه السلام هو ابن زكريا عليه السلام، وقد ذكر الله عز وجل قصة إعجاز ولادته قبل قصة عيسى عليه السلام تمهيدًا لبني إسرائيل في الإيمان بإعجاز ولادة المسيح عيسى ابن مریم عليهما السلام؛ قال تعالى عن البشارة بولادة يحيى عليه السلام بعد عجز وكبر: ﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۗ ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ ﴿٤﴾ وقال تعالى مخاطبًا يحيى عليه السلام وواصفًا إياه: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۗ ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ ﴿٥﴾؛ وهو على صلة قرابة مع عيسى وأمه مریم

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" (٢٦٩٧/٨).

(٢) سورة مریم: الآية ٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١٦٨٥/٣ - رقم ٢١٣٥).

(٤) سورة مریم: الآيات ٠٧-٠٨-٠٩.

(٥) سورة مریم: الآيات ١٢ إلى ١٥.

عليهما السلام، وقد تكفل بها أبوه زكريا عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أُنَىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

ومن الأدلة على قرابتهما من السنة :

• ما ثبت في الصحيح أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ: «ثُمَّ صَعَدَ حَتَّىٰ أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَجِيءُ وَعَيْسَىٰ وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، قَالَ: هَذَا يَجِيءُ وَعَيْسَىٰ فَسَلَّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»^(٢)، وفي رواية أخرى: «فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير»^(٣).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا»^(٤) فيحيى وعيسى عليهما السلام إذا أبناء خالة.

وقد اختلف في صلة قرابة زكريا عليه السلام بمريم عليها السلام التي تكفل بها، هل هو زوج خالة مريم، أم هو زوج أختها، فالذي يذكره أهل التاريخ والسير أنَّ عمران والد مريم تزوج من امرأة اسمها (حنة)، وأنَّ زكريا عليه السلام تزوج من امرأة اسمها (إيشاع)، فأنجب عمران وحنة مريم عليها السلام، وأنجب زكريا وإيشاع يحيى عليه السلام^(٥).

ثم اختلفوا على قولين: من تكون (إيشاع) أم يحيى عليه السلام، بناء على ذلك يكون الإختلاف في يحيى عليه السلام، فقيل إنَّ يحيى هو ابن خالة عيسى عليهما السلام مباشرة، فتكون (إيشاع) أختا لمريم عليها السلام، وتزوجت بزكريا عليه السلام، واستدلوا بالحديث السابق؛ فيكون قوله ﷺ: «ابني الخالة عيسى بن

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٣/٤ - رقم ٣٤٣٠)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٤٩/١ - رقم ١٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١١/١٤٥ - رقم ١٦٢).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٣١٨/٧ - رقم ٨١١٣)؛ والطبراني في "المعجم الكبير" (٣٦/٣ - رقم ٢٦٠٣)؛ وابن حبان في "صحيحه"

(٥) (٤١٢/٥ - رقم ٦٩٥٩)؛ والحاكم في "المستدرک" (١٨٢/٣ - رقم ٤٧٧٨) وقال: (هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب أنهما

لم يخرجاه)، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع الصغير" (٦٠٧/١ - رقم ٣١٨١).

(٥) انظر: "تفسير الطبري" (٣٣٠/٦)؛ و"تفسير البغوي" (٢٩/٢)؛ و"أضواء البيان" للعلامة الشنقيطي (٣٦٧/٣).

مریم ویحیی بن زکریا» علی ظاہرہ؛ وقیل أن یحیی علیہ السلام هو ابن خالۃ مریم، فتكون (إیشاع) أختاً لأمّ مریم - والتي تسمى حنّة فی السیر - ، وهذا الذي مال إليه ابن اسحاق وابن جریر وغيرهما؛ قال العلامة الشنقيطي: (... قال القرطبي: هي إيشاع بنت فاقوذ بن قبيل، وهي أخت حنّة بنت فاقوذا، قاله الطبري، وحنّة: هي أم مریم، وقال القتيبي^(١): امرأة زكريا هي إيشاع بنت عمران، فعلى هذا القول يكون يحيى بن خالۃ عيسى عليهما السلام على الحقيقة، وعلى القول الأول يكون ابن خالۃ أمه، وفي حديث الإسراء قال عليه الصلاة والسلام: «فلقيت ابني الخالۃ يحيى وعيسى» شاهداً للقول الأول ا.هـ، والظاهر شهادة الحديث للقول الثاني لا للأول، خلافا لما ذكره رحمه الله تعالى، والعلم عند الله تعالى^(٢).

ويدخل في الحديث كما قال ابن كثير معلقاً: (وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضاً توسعاً- أي الحديث-)، فعلى هذا كانت في حضانه خالته؛ وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضانه خالته امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: «الخالۃ بمنزلة الأم»^(٣)^(٤).

وهذا القول الأخير هو الذي عليه المحققون والمؤرخون، ولعل القول بأن زكريا زوج خالته هو الأقوى، خاصة وأن زكريا عليه السلام قد اختلف مع من كان معه في كفالة مریم، ولو كان زوج أختها لكان الأحق بكفالتها، وأن زكريا عليه السلام كان مُسنّاً قد وَهَنَ عظمه، فالأليقُ لسنّه أن يكون زوجاً لخالته، لا زوجاً لأختها؛ والأحاديث يدخل فيه توسعاً أن يكون يحيى عليه السلام ابن خالۃ مریم، فيكون إذاً ابن خالۃ عيسى، لأنها خالۃ أمه عليهما السلام؛ والله أعلم.

(١) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري. وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. ولي قضاء الدينور، وكان رأساً في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس. قال الخطيب: إنه ثقة؛ من مصنفاته: "غريب القرآن" و"غريب الحديث". انظر "سير أعلام النبلاء" (٢٩٦/١٣).

(٢) أضواء البيان" للشنقيطي (٣/٣٦٧). وقد علق ابن كثير على القول الأول بقوله: (في حديث الإسراء: «فمررت بابني الخالۃ: يحيى وعيسى» وهما ابنا الخالۃ على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث؛ فإن أم يحيى أشياخ بنت عمران أخت مریم بنت عمران)، انظر: " البداية والنهاية" (٤١٢/٢)؛ ولا أعلم من يقصد بالجمهور، فإن أغلب شراح الحديث يعولون على القول بأن أم يحيى أخت لأم مریم، وليس لمريم نفسها، ولا يرون القول الثاني، انظر "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" لبدر الدين العيني (٢٦/١٧)؛ و"إرشاد الساري" للقسطلاني (٢٠٥/٦).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٣/١٨٤ - رقم ٢٦٩٩).

(٤) "تفسير ابن كثير" (٣٥/٢).

المبحث الثالث:

ما ورد في علاقة نبينا محمد ﷺ بالمسيح عيسى عليه الصلاة والسلام.

إنَّ من المتقرَّر من الإيمان في دين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين بلا تفریق بينهم في الإيمان، وقد أشرت إلى ذلك كثيراً، فالواجب الإيمان في دين كل نبي ورسول بمن عُلِمَ ذكرهم تفصيلاً، والإيمان بمن أُجمل ذكرهم إيماناً مجملاً؛ وقد كان الإيمان بنبينا محمد ﷺ إيماناً خاصاً، قد عُلِمَ ذكره في دين الأنبياء والرسل، وسنقرَّر هذا بما ستأتي من الأدلة:

١- أنه معلوم في كتاب الله بنبوته واختيار الله له منذ خلق آدم عليه السلام؛ فعن العرياض بن سارية السلمي^(١)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأته أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم»^(٢).

وفي حديث آخر عن ميسرة الفجر^(٣)، قال: قلت: يا رسول الله، متى كُتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»^(٣).

٢- الميثاق الذي أخذ على النبيين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤)؛ فقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء والرسل، ويتبعهم في ذلك أقوامهم أن عليهم أن يؤمنوا بكل نبيٍّ ورسولٍ يأتي من عند الله مصدقاً لما معهم من الحقِّ والكتاب، ومن ذلك الإيمان بالنبِيِّ محمدٍ ﷺ.

(١) يكتفى أباً بجيح كان من أهل الصفة، سكن الشام، ومات بها سنة خمس وسبعين. وقيل: بل مات في فتنة ابن الزبير. روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة. وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (١٢٣٨/٣).

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٦٠٠/٢ - رقم ٤١٧٤)؛ وابن حبان في "الصحيح" (٣١٣-١٤ - رقم ٦٤٠٤)؛ والبيهقي في "الشعب" (٥١٠/٢ - رقم ١٣٢٢)؛ و الحاكم في "المستدرک" (٦٥٦/٢ - رقم ٤١٧٥)؛ وأحمد في "المسند" (٣٧٩/٢٨ - رقم ١٧١٥٠)، وضعفه الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٠٢/٥ - رقم ٢٠٨٥).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (١٧٩/١ - رقم ١٠)؛ والطبراني في "المعجم الكبير" (٩٢/١٢ - رقم ١٢٥٧١)؛ وأحمد في "المسند" (٢٠٢/٣٤ - رقم ٢٠٥٩٦)؛ وصححه الألباني في "الصحيحة" (٤٧١/٤ - رقم ١٨٥٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: " لم يبعث الله صلى الله عليه وسلم نبياً، آدمَ فمن بعده، إلا أخذَ عليه العهدَ في محمدٍ: لئن بُعثَ وهو حيٌّ ليؤمننَ به ولننصرنَه، ويأمرُه فيأخذُ العهدَ على قومِه، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية" (١). وقد ورد ما في معناه عن السُّدِّيِّ وطاووس؛ قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: (وهذا الميثاق أخذَه اللهُ على جميع الأنبياء، يؤذَنهم فيه بأنَّ رسولاَ يجيء مصدقاً لما معهم، ويأمرهم بالإيمان به وينصره، والمقصودُ من ذلك إعلامُ أممهم بذلك ليكون هذا الميثاق محفوظاً لدى سائر الأجيال. قال: والبشارات في كتب أنبياء بني إسرائيل وفي الأناجيل كثيرة. قال: وفي أخذ العهد على الأنبياء زيادة تنويه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا المعنى هو ظاهر الآية، وبه فسّر محققو المفسرين من السلف والخلف منهم علي بن أبي طالب، وابن عباس، وطاووس (٢)، والسُّدِّيُّ (٣).

وقد تفسر هذه الآية النبؤات العظيمة - التي جاءت في الأسفار القديمة وكتب أهل الكتاب التي تنسب لأنبيائهم في قدوم نبيٍّ عظيم، وهذه النبؤات قد فصلها العلماء الذين أسلموا من أهل الكتاب والله أعلم (٤).

٣- بشارَةُ النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ، وَذَكَرُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ فَقَدْ ذَكَرْتُ سَابِقاً أَنَّ مِنْ أَصُولِ دَعْوَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبِشَارَةَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم؛ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئُ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٥)؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

(١) ذكر ابن حجر أنه أخرجه البخاري، انظر "فتح الباري" له (٤٤٣/٦)؛ و"تفسير ابن كثير" (٦٧/٢).

(٢) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفقها في الدين ورواية للحديث، وتشفقاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس، مولده سنة ٣٣هـ، ومنشأه في اليمن. توفي حاجاً بالمرزلفة أو بمي سنة ١٠٦هـ، وكان هشام بن عبد الملك حاجاً تلك السنة، فصلى عليه. وكان يأبي القرب من الملوك والأمراء، قال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر، وطاووس، والثوري. انظر "تهذيب الكمال" للزمري (٣٥٧/١٣)؛ و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٨/٥).

(٣) "التحرير والتنوير" لابن عاشور (١٤٥/٣).

(٤) انظر: "تحفة الأرب في الرد على أهل الصليب" للمهتدي عبد الله (٣٨/٩-١٤٤).

(٥) سورة الصف: الآية (٦)

وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾؛ وقال تعالى في النبي
محمد ﷺ وكتابه المنزَّل عليه القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣)، أي أن هذا
القرآن وُصف في كتب بعض الأولين من النبيين والمرسلين (٤)، بل إن صحابته وأُمَّته ﷺ قد نُعتوا أيضا في
كُتُبِ السَّابِقِينَ، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥)، وقال سبحانه عن مسلمي أهل الكتاب:
﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنِ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٦).

ومن الآثار الدالة على بشارة الأنبياء قبله:

١- أخرج ابن سعد وابن عساکر عن سهل مولى خَيْثَمَةَ قَالَ: (قَرَأْتُ فِي الْإِنْجِيلِ نَعْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّهُ لَا
قَصِيرَ وَلَا طَوِيلَ أَبْيَضَ دُو طَمْرِينٍ بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمٌ يَكْثُرُ الْإِحْتِبَاءُ وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ وَالْبَعِيرَ

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

(٤) جاء عن قتادة عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾: أي في كُتُبِ الْأَوَّلِينَ؛ انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" ٢٨١٩/٩ - رقم (١٥٩٥١) و"تفسير ابن جرير الطبري" (٣٩٧/١٩).

(٥) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٦) سورة المائدة: الآية ٨٣.

ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقوعاً ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر وهو يفعل ذلك، وهو من ذرية اسمعيل عليه السلام^(١).

٢- وأخرج ابن أبي حاتم^(٢) وأبو نعيم في "الدلائل" عن وهب بن منبّه رحمه الله قال: (أوحى الله تعالى إلى شعيب إني باعث نبيا أميا أفتح به آدانا صمًا وقلوبًا غلغًا وأعينا عميا، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه الشام؛ عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحِب المُختار...)^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، إشارة إلى أنّ الرسول محمداً ﷺ سُمِّي وتُعت في الكتب المنزلة السابقة أنه محمود، ومن كثرة حمده أنه جاء على صيغة أفعل التفضيل أحمد؛ وقد كثر من كلام عيسى عليه السلام أنه سيأتي نبي بعده اسمه البارقليط أو الفارقليط - في النسخ اليونانية - ، وهو في اللغة العربية بمعنى الذي له الحمد كثيرا، وهو ما يوافق القرآن^(٤)؛ وقد حُرّف هذا الاسم في النسخ والترجمات الحديثة، وغُدل عنه بالمعزي وبروح القدس تضليلاً للناس عن الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام؛ وقد ورد في كثير من المواضع التي ذُكرت والتي تُظهر الفرقان بين روح القدس الذي كان يأتي للأنبياء أجمعين وللمسيح عيسى عليه السلام وبين النبي الخاتم محمد عليه ﷺ الذي لا يأتي حتى يذهب عيسى عليه السلام؛ فقد ورد عن المسيح قوله: ((لكي أفول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم))^(٥)؛ وقد فصل العلماء ممن درسوا في أسفار أهل الكتاب وأناجيلهم - وخاصة من كان منهم ثم أسلم - وذكروا نبؤات الأنبياء في البشارة بالنبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام، حتى قال أحدهم: (ثبوت نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ثابتة في كل كتاب أنزله الله،

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٢٧٢/١)؛ وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٩٠/٣).

(٢) ابن أبي حاتم الرازي: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الخنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. ولد سنة ٢٤٠هـ، كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبه. توفي سنة ٣٢٧هـ؛ له تصانيف، منها "الجرح والتعديل". انظر "الأعلام" للزركلي (٣٢٤/٣).

(٣) "دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني (٧٢/١ - رقم ٣٣).

(٤) انظر كتاب "قصص الأنبياء" لعبد الوهاب النجار (ص ٤٧٣)؛ وانظر "هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟" لمنقذ محمد السقار؛ وماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ لأحمد ديدات؛ وانظر كتاب "المؤيد القرآني حل لغز البارقليط" لجمال الدين الشرقاوي.

(٥) "إنجيل يوحنا": [١٦: ٧-١١].

وجميع الأنبياء قد بشروا به^(١)، ثم فصل هذه البشارات والنبؤات؛ وقال أحد علمائهم الذين أسلموا مفصلاً كتابه في دلائل نبوة النبي محمد ﷺ، فقال في كتابه بعد تفصيل عدد من النبؤات في البشارة بالنبي محمد ﷺ: (فيها من الشواهد على حقيقة أمة النبي ﷺ ما لا يجهله إلا جاهل، ولا يجحدُه إلا غيبي، وبأنه لو لم يُعَثَّ النبي ﷺ لبطلت النبؤات، واستحالت، وأنا ذاكراً مما بقي من نبؤات الأنبياء عليهم السلام عليه ما هو كالمشاهد والعيان، فإن منهم قد وصف زمانه وبلده ومبعثه وتبعه وأنصاره، وصرح باسمه تصريحاً^(٢)؛ فهذه كلها شواهد الحق في ذكر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على لسان من سبقه من النبيين، وما نزل في زير الأولين.

٤- نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وإقراره لشريعة النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٣)، قال أهل التفسير: أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام حينما ينزل في آخر الزمان.

- فعن ابن عباس رضيهما، قوله: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، قال: قبل موت عيسى عليه السلام؛ وروي عن أبي هريرة، ومجاهد، والحسن، وقتادة نحو ذلك^(٤).
- عن الحسن في قوله: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"، قال: قبل موت عيسى. والله إنه الآن لحيي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

(١) "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" لعبد الله الترحمان الأندلسي، وكان نصرانياً ثم أسلم بسبب اسم النبي "البارقليط" الذي وجدته مكتوباً في صحف الإنجيل، ثم سأل معلّمه والقسيس الذي كان يخدمه عن الاسم فقال له: (فاعلم يا ولدي أن البارقليط هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ، وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام، وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه دين الحق، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل)؛ "تحفة الأريب" (ص ٤٣-٤٤).

(٢) "الدين والدولة" للمهتدي علي بن ربن الطبري؛ وللاستزادة راجع تفصيل هذه النبوءات في الكتاب المذكور (ص ١٢٨-٢٠٦)؛ وانظر "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" (الباب التاسع، ص ١٢٧)؛ و "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ وأوفى هذه الكتب وأكثرها تفصيلاً وإيضاحاً كتاب "إظهار الحق" لرحمة الله الهندي، الباب السادس منه خاصة.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٤) "تفسير ابن أبي حاتم" (١١٤/٤ - رقم ٦٢٥٤).

- عن قتادة في قوله: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"، يقول: قبل موت عيسى (أهـ^(١)).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^(٢)؛ قال أهل التفسير: نزول عيسى عليه السلام من السماء علمٌ يُعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة^(٣).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: (التحقيق أن الضمير في قوله: (وإنه) راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ؛ ومعنى قوله: لعلم للساعة على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو: أن نزول عيسى في آخر الزمان حياً علماً للساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها. وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى ﷺ جارٍ على أمرين، كلاهما أسلوب عربي معروف، أحدهما: أن نزول عيسى المذكور لما كان علامة لقربها، كانت تلك العلامة سبباً لعلم قربها، فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب. وإطلاق المسبب وإرادة السبب أسلوب عربي معروف في القرآن، وفي كلام العرب... والثاني من الأمرين: أن غاية ما في ذلك أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وإنه لذو علم للساعة، أي وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها، لكونه علامةً لذلك، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن، وفي كلام العرب^(٤)).

ومن الآثار الدالة على ذلك:

- ١- عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾، قال: "خروج عيسى ابن مريم"
- ٢- وعن أبي مالك وعوف عن الحسن أنهما قالوا في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ قالوا: (نزول عيسى ابن مريم وقراها أحدهما): ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾.
- ٣- وعن مجاهد، قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: (آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة).
- ٤- وعن قتادة، في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾، قال: (نزول عيسى ابن مريم علم للساعة).

(١) "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٧٩/٩-٣٨٠)؛ وانظر "تفسير ابن كثير" (٤٥٢/٢)؛ و"تفسير البغوي" (٣٠٧/٢).

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٣) انظر: "تفسير ابن كثير" (٢٣٦/٧)؛ و"تفسير ابن جرير" (٦٣١/٢١)؛ و"تفسير البغوي" (٢١٩/٧).

(٤) "أضواء البيان" للشنقيطي (١٢٨/٧-١٢٩).

٥- وعن عبيد^(١) قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، يعني خروج عيسى ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة^(٢).

وقد تواترت الأدلة الثابتة على نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، ولا يجحد هذه الأدلة إلا مكذّب معاند، أو غيبي جاهل؛ ومن تلك الأدلة الصحيحة الصريحة أن أبا هريرة رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: "واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٣)؛ وفي هذا النزول العظيم يظهر جلياً علاقة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بالمسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، حيث ينزل ويحكم بالإسلام، ويكسر الصليب؛ وقد بَوَّبَ أهل الحديث والأثر لمثل هذا، ومنهم الإمام مسلم حيث قال: (باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)^(٤)؛ و قال البغوي في شرح السنة: (قوله: «يكسر الصليب»، يريد إبطال النصرانية، والحكم بشرع الإسلام، ومعنى قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، وفيه بيان أن أعيانها نجسة، لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه، وقوله: «ويضع الجزية»، معناه: أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام..)^(٥).

(١) عبيد بن الطفيل، أبو سيدان الغطفاني العبسي الكوفي. وفاته بين ١٥١هـ-١٦٠هـ؛ روى عن: ربي بن حراش، وشداد بن عمارة، وعنه:

وكيع، وعبيد الله، وقبيصة. قال أبو حاتم: ما علمت به بأساً. انظر "تاريخ الإسلام" للذهبي (٤/١٤٦).

(٢) الآثار السابقة جميعاً: "تفسير ابن جرير" (٢١/٦٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٨- رقم ٣٤٤٨)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/١٣٥- رقم ١٥٥).

(٤) "صحيح" مسلم (١/١٣٥).

(٥) "شرح السنة" للإمام البغوي (١٥/٨١).

وقال النووي في شرحه على مسلم: (ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس).^(١)

وفي أن عيسى عليه السلام يحكم بالإسلام نقل أحد علماء المالكية الإجماع على ذلك فقال: (وانعقد الإجماع على أن عيسى عليه السلام متَّبَعٌ لهذه الشريعة المحمدية، ليس بصاحبٍ شريعة مستقلة عند نزوله، وإنما كان يحكم بشريعة النبي ﷺ)^(٢)؛ وقال السيوطي في كتابه الذي يثبت فيه نزول المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام: (أنه يحكم في هذه الأمة بشرع نبينا لا بشرعه هو، وقد نص على ذلك العلماء، ووردت به الأحاديث، واتفق عليه الإجماع).^(٣)

ولعلَّ هذا الإجماع مستندٌ على أنه يُعلمُ بالاضطرار أن شريعة النبي محمد ﷺ هي الإسلام، وكتابه القرآن، مهيمن على كلِّ الأديان والكتب السابقة، وإذا كان الرسول العظيم موسى ﷺ الذي له شريعةٌ مستقلةٌ، وكتابٌ عظيمٌ هو التوراة، لو كان حيًّا ما وسعه إلا أتباعُ نبينا محمد ﷺ، قال النبي ﷺ: «ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أتباعي»^(٤)؛ فكيف بعيسى عليه السلام الذي هو أقلُّ رتبة من موسى عليه السلام، وكلُّهم عظماء من أولي العزم؛ وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كلاما حجة في هذا قال رحمه الله: (فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام: أن رسالة محمد بن عبد الله ﷺ لجميع الناس، عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم، وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة؛ بل عامةٌ للثقلين الجن والإنس، وأنه ليس لأحدٍ من الخلائق الخروجُ عن متابعتهم، وطاعته، وملازمة ما يشرعه لأمتهم من الدين. وما سنَّه لهم من فعل المأمورات، وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعتهم ومطابعتهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ- وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٥) (٦).

(١) "شرح النووي على مسلم" (١٨/٧٥-٧٦).

(٢) "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني" للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي (٧٠/١).

(٣) "نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان" جلال الدين السيوطي .

(٤) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٢/٤٦٨ - رقم ١٤٦٣١)؛ وابن أبي شيبة في "المصنف" (٥/٣١٢ - رقم ٢٦٤٢١)؛ والبيهقي في "شعب

الإيمان" (١/١٩٩ - رقم ١٧٦)؛ وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦/٣٤ - رقم ١٥٨٩).

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٦) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٤٢٣).

وفي هذا الأمر تتجلى العلاقة العظيمة بين النبي محمد ﷺ وبين النبي عيسى عليه الصلاة والسلام؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولما كان المسيح عليه السلام نازلاً في أمة محمد ﷺ، صار بينه وبين محمد من الاتصال ما ليس بينه وبين غير محمد)^(١)؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولادُ علات، وليس بيني وبينه نبي»^(٢).

فصلى الله وسلم وبارك على الرّسولين الأخوين محمدٍ وعيسى، وعلى جميع إخوانهم من الأنبياء والمرسلين

(١) "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٣/٥).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٦٧/٤ - رقم ٣٤٤٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٨٣٧/٤ - رقم ٢٣٦٥)؛ وقد أكد النبي محمد ﷺ على أنه لا نبي ولا رسول بين عيسى عليه السلام وبينه ﷺ، وهذا الحديث صريح في ذلك وهو في الصحيحين؛ ولا بن حجر كلام فصل في ذلك حيث يقول في شرحه العظيم: (ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى، والجواب أن هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فإنه صحيح بلا تردد وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى، وقصة خالد بن سنان أخرجها الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس، ولها طرق جمعها في ترجمته في كتابي في الصحابة الحديث السادس حديث أبي هريرة رأى عيسى رجلاً يسرق الحديث. أوردته من طريقين موصولة ومعلقة): "فتح الباري" (٤٨٩/٦).

الفصل السادس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان باليوم الآخر

(وفيه مقدمة ومبحثان).

مقدمة في اليوم الآخر وأشراط الساعة .

المبحث الأول : مسائل العقيدة التي وردت في الإيمان بأشراط الساعة:

المطلب الأول: نزول المسيح عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة .

المطلب الثاني: قتل المسيح عيسى للمسيح الدجال، وذكر من معه من المؤمنين .

المطلب الثالث: صفة نزول عيسى ومكانه، وما يقوم به من أعمال .

المطلب الرابع: هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه عليه السلام .

المطلب الخامس: حال الناس في عصر عيسى ، ومدة لبثه وموته عليه السلام .

المبحث الثاني: مسائل العقيدة التي وردت في الإيمان بيوم القيامة:

المطلب الأول : طلب الشفاعة العظمى من عيسى عليه السلام

المطلب الثاني : تلقين الله عز وجل لعيسى عليه السلام حجته يوم القيامة .

المطلب الثالث : ما ورد في أهوال يوم القيامة وذكر البعث والجنة والنار

الفصل السادس :

الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان باليوم الآخر .

مقدمة (في الدار الآخرة والقيامة وأشراط الساعة) :

إنَّ من المعلوم في دين كلِّ نبيٍّ يُبعثُ، ودعوة كلِّ رسولٍ يُبلِّغُ الإيمانَ باليومِ الآخرِ، ويتبعُ الإيمانَ به رجاءُهُ، والخوفُ منه، والإستعدادُ له؛ والنصوصُ الشرعيةُ في ذلك أعظمُ من أن تُحصى، ومن تلكم النصوص قال الله تعالى في وجوب الإيمان باليوم الآخر: ﴿لَنْ كِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)، وقال سبحانه في كفر من كفر به: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)؛ وأمر الله عباده أن يستعدُّوا له ويرجونه ويتغون ثوابه ويخافون عذابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لُهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾^(٥)، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٦) .

(١) سورة النساء: الآية ١٦٢ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٧ .

(٤) سورة هود: الآية ١٠٣ .

(٥) سورة يوسف: الآية ٥٧ .

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٢١ .

وقد أجاب النبي ﷺ جبريل عليه السلام في الحديث المشهور الطويل ومنه: « فأخبرني عن الإيمان، قال: « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وفي رواية: « ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر»^(١).

ومن أجمع ما قيل في تعريفه قولُ ابن دقيق العيد^(٢) رحمه الله: (والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والحشر والنشر، والحساب والميزان والصراف والجنة والنار، وأنها دار ثوابه جزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح من النقل).^(٣)

فمجموعُ ما قاله العلماءُ في الإيمان باليوم الآخر: هو الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل؛ بيوم القيامة، والإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت، وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛^(٤) وللدار الآخرة أسماء كثيرة في القرآن والسنة تدلُّ على خطورة هذا الركن من الإيمان، وتنوع أوصافه، وتغيُّر أحوالِ العوالم فيه.^(٥)

وقد كثر ذكره وتقريره في القرآن الكريم لكثرة من يجحده ويكذب به، ومن أهميته أنه خُصَّ كثيرا اقتترانه بالإيمان بالله في القرآن والسنة، قال أهل العلم: (لأنَّ الخير والثوبة ورجاء الثواب والعقاب كلُّها راجعةٌ إلى الإيمان باليوم الآخر، فمن لا يعتقدُه لا يرتدع عن شرِّ، ولا يُقدِّمُ على خيرٍ).^(٦)

وقد قسَّم العلماءُ السَّاعةَ التي هي القيامةُ قسمان: قيامةٌ صُغرى: وهي موت الإنسان، فمن مات فقد قامت قيامته، لدخوله في عالم الآخرة؛ وقيامةٌ كبرى: وهو ما يكون من وقتِ بعثِ الخلائقِ أرواحًا وأجسادًا

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١١٥/٦ - رقم ٤٧٧٧)؛ ومسلم في "الصحيح" (٣٦/١ - رقم ٠٨).

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. ولد سنة ٦٢٥هـ بينبع، فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٧٠٢هـ. له تصانيف، منها "إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام"، و"الإمام بأحاديث الأحكام". انظر "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" للشوكاني (٢٢٩/٢)؛ و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (٣٤٨/٥).

(٣) انظر: "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص ٣٠).

(٤) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومجموع الفتاوى ٣ / ١٤٥.

(٥) انظر لهذه الأسماء: كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير (١٩/٣٩٥ وما بعدها)؛ و"التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" للقرطبي (ص ٥٣٨).

(٦) انظر: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" لعلي القاري (٧/٢٧٣١ - رقم ٤٢٤٣).

للحسابِ والجزاءِ وما يكون بعد ذلك ^(١)؛ وقيل: هو من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى، وقيل إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة؛ وأهل النار النار. ^(٢)

وأشراطُ السَّاعةِ: هي علاماتُ السَّاعةِ التي تسبقها، وتدُلُّ على قربها؛ وهي قسمان:

القسم الأول: أشراط صغرى، وهي التي تتقدم الساعة بأزمان طويلة، وقد يظهر بعضها مُصاحبًا للأشراط الكبرى، وهي نوعان: ١- الأماراتُ البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت منذ زمن بعيدٍ، مثل بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، وخروج نارٍ عظيمةٍ بالمدينة.

٢- الأماراتُ المتوسّطة: وهي التي ظهرت، وتكونُ من النوع المعتادِ، ولا زالت تتابع و تكثُر.

القسم الثاني: أشراطُ كبرى، وهي الآياتُ العظامُ التي متى ظهرت دلّت على انتهاء الدنيا وانقضائها وقيام الساعة، ولم يظهر منها شيءٌ؛ وقد ذكرها الإمام مسلم في روايته عن حذيفة بن أسيد الغفاري ^(٣) ﷺ، قال: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكرُ السَّاعةَ، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشرَ آياتٍ - فذكر- الدُّخَانُ، والدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وطلوعُ الشمسِ من مغربها، ونزولُ عيسى ابنِ مريمَ ﷺ، ويأجوجُ ومأجوجُ، وثلاثةٌ خسوفٍ: خسفٌ بالمشرقِ، وخسفٌ بالمغربِ، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمنِ، تطردُ النَّاسَ إلى محشرهم»، وفي لفظ آخر أيضا عن حذيفة ﷺ: «إن الساعة لا تكون حتى تكونَ عشرَ آيات: خسفٌ بالمشرقِ، وخسفٌ بالمغربِ، وخسفٌ في جزيرة العرب والدخانُ والدَّجَالُ، ودابَّةُ الأرضِ، ويأجوجُ ومأجوجُ، وطلوعُ الشَّمسِ من مغربها، ونارٌ تخرجُ من قعرِ عدن ترحل الناسَ»، وفي رواية: «العاشرة: نزول عيسى ابن مريم ﷺ». ^(٤) ^(٥)

(١) "أشراط الساعة" ليوسف الوابل (ص ٧٧).

(٢) انظر: "التيسير بشرح الجامع الصغير" للمناوي (١/٢٤٧).

(٣) ويقال: أمية بن أسيد بن خالد بن الأغوز بن واقعة بن حرام بن غفار الغفاري، أبو سريحة، مشهور بكنته. شهد الحديبية، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة، ثم نزل الكوفة، وروى أحاديث. أخرج له مسلم وأصحاب السنن، وله عن أبي بكر وأبي ذر وعلي. وروى عنه أبو الطفيل، ومن التابعين الشعبي وغيره. قال أبو سلمان المؤذن: توفي فصلي عليه زيد بن أرقم. وقال ابن حبان: مات سنة اثنتين وأربعين. انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٢/٣٨)؛ و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٤/١٦٦٧).

(٤) أخرج الحديث بروايته مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٢٥ و٢٢٢٦-٢٩٠١ رقم).

(٥) انظر في هذا التقسيم: "فتح الباري" لابن حجر (١/١٢١)؛ و"أشراط الساعة" ليوسف الوابل (ص ٧٧-٧٨)؛ وكتاب "نهاية العالم" ل محمد العريفي (ص ٢٠-٢١).

ولعلَّ الحكمة في تقدُّم هذه الأُشْرَاطِ ليوم القيامة هو ما نقله القرطبي عن أهل العلم، حين قال: (قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقدِّم الأُشْرَاطِ، ودلالة الناسِ عليها، تنبيهُ النَّاسِ من رقدتهم، وحثُّهم على الاحتياطِ لأنفسهم بالتوبة والإِنابة، كي لا يُباغِتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أُشْرَاطِ الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدُّوا للسَّاعة الموعود بها، والله أعلم).^(١)؛ وقد نَبَّه النبي ﷺ على هذا فقال: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوعُ الشمس من مغربها، أو الدُّخان، أو الدَّجَال، أو الدَّابة، أو خاصَّةُ أحدكم، أو أمرُ العامَّة». ^(٢)

والمقصودُ هنا هو الإشارةُ لهذا اليوم والتَّعريفُ به وذكرُ ما يتعلَّقُ بعيسى عليه الصلاة والسلام، وليس المقصودُ من هذا الفصل التَّفصيلُ في اليوم الآخر، وما يتعلَّقُ به من أحكام.

(١) "التذكُّرة بأحوال الموتى واليوم الآخر" للقرطبي (ص ١٢١٧).

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٦٧ - رقم ٢٩٤٧).

المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بأشراط الساعة.

المطلب الأول: نزول المسيح عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(١)، وقد جاء في صحيح تفاسير السلف لهذه الآية: أن أهل الكتاب وخاصة من اليهود سيؤمنون بكون عيسى عليه السلام رسولاً قبل موته حينما سينزل قرب مجيء الساعة^(٢)؛ وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣)، وقد فسرت بأن نزول عيسى عليه السلام وظهوره علامة على قرب الساعة^(٤)؛ وقد ذكر بعض المفسرين أن في قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥) إشارة إلى نزوله آخر الزمان؛ وقد ذكرت سابقاً أن عيسى عليه السلام لم تقتله اليهود بل نجَّاه الله ورفعته إليه بروحه وبدنه كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمَ لَا تَتَّخِذْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وُجُوهَ اللَّهِ يُخَالِفُونَ بِأَنَّهُمْ لَأُولَئِكَ أَلَمَتْ أَعْيُنُهُمْ لِيَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَيَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَاللَّهُ فَاحٌ عَلَيْهُمْ فَيَكْتُمُونَ لَهُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ إِذْ هُمْ يُعْرَضُونَ وَسُيِّرُوا بِالْحَدِّ وَجَعَلْنَاهُمْ قُلُوبًا سَمَكًا﴾^(٧)؛ وقد أجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى عليه السلام إلى السماء^(٨)، وقد

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٢) وهناك قول ثانٍ أنه لا يموت أحدٌ من أهل الكتاب إلا ويؤمن بأن عيسى رسولٌ عند معاينته للموت، وهو مروى عن ابن عباس عليه السلام ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن سيرين؛ والقول الأول هو الموافق لظاهر سياق القرآن، وموافق للسنة المتواترة التي وردت في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وحكمه بالإسلام دون غيره من الأديان، كما سنبين؛ انظر: "تفسير ابن جرير" (٣٧٦/٩ وما بعدها)؛ و"تفسير البغوي" (٣٧٠/٢)؛ و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (١٠/٦ وما بعدها)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٥٢/٢).

(٣) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٤) كما سيأتي بيانه قريباً.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٦.

(٦) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٨) انظر: "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي الحسن الأشعري (ص ١١٥).

ذكر أهل العلم أنّ صحيح تفسير القرآن والسُّنة دلت على أنّ عيسى حيٌّ في السَّماء، وسيُنزل في آخر الزمان إلى الأرض، وذلك من أشراط السَّاعة الكبرى؛ قال العلامة الأمين الشنقيطي: (والحاصل أن القرآن العظيم على التفسير الصحيح والسنة المتواترة عن النبي ﷺ كلاهما دالٌّ على أن عيسى حيٌّ، وأنه سينزل في آخر الزمان، وأنّ نزوله من علامات الساعة، وأنّ معتمد الذين زعموا أنهم قتلوه ومن تبعهم هو إلقاء شَبْهه على غيره، واعتقادهم الكاذب أن ذلك المقتول الذي شُبِّه بعيسى هو عيسى. وقد عرفت دلالة الوحي على بطلان ذلك) (١).

وقد تواترت الأدلّة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ولا ينكر هذا إلا جاهلٌ غافلٌ، أو مبتدعٌ ضالٌّ، ومن تلکم الأدلة الثابتة في السُّنة:

• عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: "اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكرُ السَّاعةَ، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آياتٍ - فذكر - الدُّخانَ، والدَّجَالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى ابنِ مريم عليها السلام، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خسوفٍ: خسفٌ بالشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرجُ من اليمن، تطردُ النَّاسَ إلى محشرهم» (٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزلَ فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالَ، حتى لا يقبله أحدٌ» (٣).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم حكما عدلا، فيكسر الصليبَ، ويقتل الخنزيرَ، ويضع الجزيةَ، ويفيض المالَ حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: "واقراءوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

(١) "أضواء البيان" للشنقيطي (١٣٦/٧).

(٢) تقدم ترجمته ٢١٢ ص .

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٨٢/٣) - رقم (٢٢٢٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٣٥/١) - رقم (١٥٥).

إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١﴾، ففسّر أبو هريرة رضي الله عنه هذه الآية بالحديث الذي سمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأرجو إن طال بي عُمرٌ أن ألقى عيسى ابن مريم، فإن عجل بي موتٌ، فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام.»^(٢)

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكما قسطا، وإماما عدلا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وتكون الدعوة واحدة، فأقرئوه، أو أقرئه السلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وأحدثه فيصدقني، فلما حضرته الوفاة، قال: "أقرئوه مني السلام."^(٣)

وهناك الكثير من الأحاديث التي سنذكرها فيما بعد تدلُّ بالتضمن على نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان؛ وأما من الآثار فهي كثيرة منها:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِذَا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ :

١- جاء عن ابن عباس قوله في هذه الآية "قبل موته" أي: "قبل موت عيسى ابن مريم."^(٤)

٢- وعن حصين عن أبي مالك: "ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به."^(٥)

٣- وعن قتادة قال: "قبل موت عيسى، إذا نزل آمنت به الأديان كلها."^(٦)

(١) الحديث سبق تخريجه، والزيادة رواها مسلم في "الصحيح" (١٣٥/١).

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (٣٥٠/١٣- رقم ٧٩٧٠)؛ وضعفه الشيخ الألباني مرفوعا، وهو صحيح موقوفا على أبي هريرة رضي الله عنه انظر "السلسلة الضعيفة" له (١٢٣/١٢- رقم ٥٥٦٤).

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (٦٢/١٥- رقم ٩١٢١)؛ والمرفوع منه صحيح كما هو عند الألباني في "الصحيحة" (٥٢٤/٦- رقم ٢٧٣٣)؛ والزيادة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه ضعيفة كما أورده الألباني في "الضعيفة" (١٢٤/١٢).

(٤) "تفسير ابن جرير الطبري" (٤٦٦/٧)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٥٢/٢)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (١١١٤/٤).

(٥) "تفسير ابن أبي حاتم" (١١١٣/٤)؛ و"تفسير الطبري" (٦٦٥/٧).

(٦) "تفسير عبد الرزاق" (١٧٧/١)؛ و"تفسير ابن جرير" (٦٦٥/٧).

٤- وعن الحسن البصري قال: (قبل موت عيسى، والله إنه الآن لحي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون)، وقال: (إن الله رفع إليه عيسى، وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر).^(١)

وهناك قول ثانٍ مشهورٌ في تفسير هذه الآية، وهو أنه ما من كتابي يهودي ولا نصراني عند موته إلا سيؤمن بعيسى عليه السلام أنه رسول الله، وكلمته، وروح منه، فإنه إذا حضرته الوفاة- بأي طريقة كانت- وعاین علم الحق من الباطل، ورأى الغيب شهادةً، لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه، ومنها الإيمان بعيسى عليه السلام؛ وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً، وعن مجاهد وعن الضحاك والحسن وابن سيرين، وروي أيضاً عن شهر بن حوشب.^(٢)

وهذا القول وإن كان صحيحاً واقعاً، ولكن لعله ليس هو المقصود من هذه الآية كما هو عليه أكثر المحققين من أهل التفسير؛ فقد رجح ابن جرير التفسير الأول، و وافقه ابن كثير في الترجيح، ولم يوافقه في التعليل وضعف القول الثاني وما نحا نحوه من الأقوال؛ فقال: (وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته -أي قبل موت عيسى عليه السلام- ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير- رحمه الله- هو الصحيح)^(٣)؛ وذكر كلاماً طويلاً في علة ترجيحه لهذا القول مفاده:

أولاً: أنه هو المقصود من سياق الآيات في تقرير بطلان ما ادعته اليهود وتصديق النصارى الجهلة لهم من قتل عيسى عليه السلام وصلبه، فأخبر أنه ليس كذلك، بل شُبّه لهم غيره، ورفع عيسى عليه السلام إليه، فهو باق حي، وسينزل قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء الذين تناقضت وتفرقت أقوالهم فيه، من اليهود المكذّبين لرسالته، والنصارى الغالين في حقه إلى مقام الربوبية، فلا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب في وقت نزوله إلا سيؤمن به عبداً رسولاً.

ثانياً: لأن الأحاديث المتواترة دلت على نزوله قبل يوم القيامة^(٤)، فيقتل مسيح الصلابة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية يعني: لا يقبلها من أحدٍ من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" (١١١٤/٤)؛ و"تفسير ابن جرير الطبري" (٦٦٥/٧)؛ و"تفسير ابن كثير" (٤٥٣/٢).

(٢) انظر "تفسير ابن أبي حاتم" (١١١٤/٤)؛ و"تفسير عبدالرزاق" (١٧٧/١)؛ و"تفسير ابن جرير" (٦٦٦/٧-٦٦٧).

(٣) "تفسير ابن كثير" (٤٥٤/٢).

(٤) وقد أوردنا شيئاً منها.

السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنَّ جميع أهل الكتاب حينئذٍ يؤمنون به، ولا يتخلف عن التصديق به واحدٌ منهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى، الذي زعمَ اليهود ومن وافقهم من النَّصارى أنه قُتِلَ وصلب. (١)

ثانياً: وجاءت الآثار في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهٗ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُك بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ﴾ (٢) في إثبات نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان ومنها:

١- ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: "ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية، أم لم يفتنوا لها؟" **«وَأَنَّهٗ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ»** قال: نزول عيسى ابن مريم، وقد وردت عنه عدَّةُ رواياتٍ في تفسير هذه الآية بظهور عيسى عليه السلام، وخروجه، ونزوله. (٣)

٢- وعن الضَّحَّاك يقول في قوله: **«وَأَنَّهٗ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ»**، يعني خروج عيسى ابن مريم، ونزوله من السماء قبل يوم القيامة. (٤)

٣- وعن مجاهد قوله: **«وَأَنَّهٗ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ»**، قال: (آيةٌ للسَّاعةِ خروجُ عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة)؛ وقد ورد مثله عن قتادة والحسن والسدي وابن زيد وغيرهم. (٥) ، ومعناه أنَّ ظهورَ عيسى عليه السلام حينما ينزل من السَّماءِ إلى الأرض علامةً على قرب قيام السَّاعةِ، وهو من أشراتها الكبرى، ودلالةٌ على ذهابِ الدُّنيا، وتبدُّلِ أحوالها، وقربِ فنائها، وإقبالِ الآخرة، وحلولِ أهوالها وشدائدها. (٦) وقد جاء في تفسيرها معنيٌّ مرجوحٌ، وهو أنَّ الضميرَ في قوله تعالى: **«وَأَنَّهٗ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ»** عائِدٌ إلى القرآن، وقد قال الحافظ ابن كثير: (بل الصحيحُ أنه عائِدٌ على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإنَّ السِّياقَ في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾،

(١) "تفسير ابن كثير" ٤٥٤/٢ وما بعدها.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٣) أخرج الأثر الإمام أحمد في "المسند" (٨٥/٥ - رقم ٢٩١٨)؛ والطبراني في "المعجم الكبير" (١٥٤/١٢ - رقم ١٢٤٧٠)؛ وابن جرير في "تفسيره" (٦٣٢/٢٠)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦٣٢/٧ - رقم ٣٢٠٨).

(٤) "تفسير ابن جرير" (٦٣٣/٢٠).

(٥) انظر: "تفسير ابن جرير" (٦٣٣/٢٠) وما بعدها؛ "تفسير ابن كثير" (٢٣٦/٧).

(٦) "تفسير ابن جرير" (٦٣١/٢٠).

أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم يوم القيام يكون عليهم شهيدا؛ ويؤيدُ هذا المعنى القراءة الأخرى وهي: { وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ }، أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة.^(١)

ومن العجيب أنه على الرغم من ورود الأحاديث المتواترة والآثار المستفيضة الماثورة عن السلف في إثبات نزول عيسى ابن مريم، فقد أنكر هذا النزول عددا من أصحاب المنهج العقلي^(٢) قديما وحديثا، بحجة أنها أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد، أو تأويل نزوله عليه السلام بمعنى أنه رمز لانتصار الإسلام وانتشاره وقتله للمسيح الدجال بأنه رمز لاضمحلال الفساد والفتن ونصرة الحق على الباطل، وهذا تأويل باطل^(٣)؛ وقد نص علماء السنة قديما وحديثا على احتجاجهم بأخبار الآحاد الثابتة في العقائد، وفضلا عن ذلك فإن أحاديث نزول عيسى ابن مريم متواترة معنويا ومستفيضة، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية^(٤)، وأبي سريحة وحذيفة بن أسيد، رضي الله عنهم، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام، بل بدمشق، عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة الصلاة للصبح...^(٥)).

(١) "تفسير ابن كثير" (٢٣٦/٧). قال ابن قتيبة: {وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ}؛ أي نزول المسيح -عليه السلام- يُعلم به قرب الساعة. ومن قرأ: (لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ)؛ فإنه يعني: العلامة والدليل؛ و نقله في "زاد المسير" لابن الجوزي (٣٢٥/٧)

(٢) وهم يحكمون العقل على النص، ويدعون قطعية ثبوته، وظنية دلالة النصوص الشرعية وإن كانت ثابتة بحجة أنها أخبار آحاد، بل وإن كانت متواترة بحجة أنها مخالفة لعقولهم ولا تطبيق عقولهم التسليم بما فيقولونها ويحرفون معانيها، انظر كتاب "درء تعارض العقل مع النقل" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢١/١-٢٠-٢١).

(٣) انظر كتاب الشيخ الألباني في رده على أحد العقلايين القائلين بهذا التأويل "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام" (ص ١٣-١٤)؛ و"عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام" د. سعد عاشور (ص ٢٤٩-٢٥٥)؛ وانظر كتاب الشيخ حمود التويجري "تحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملحاحم" (١٢٩/٣)؛ وكتيبه "إقامة البرهان في الرد على من أنكروا خروج المهدي والدجال ونزول المهدي في آخر الزمان"؛ والمؤسف أن هؤلاء المخالفين لهذه الأحاديث الصحيحة لهم جهود في خدمة الدين ولكنهم للأسف قد وقعوا في خطر عظيم، فقد وقع بعضهم في رد هذه الأحاديث وإنكارها والتشكيك في ثبوتها واستحالة وقوعها، وبعضهم تكلم في أمانة أبي هريرة رضي الله عنه، فشكك في أنها من إسرائيليات أهل الكتاب تلقفها منهم رضي الله عنه، وحاشاه.

(٤) مجمع بن جارية (أو ابن يزيد بن جارية) بن عامر، من بني العطف ابن ضبيعة الأوسي الأنصاري: أحد من جمع القرآن، إلا يسيرا منه عن النبي ﷺ وكان ذلك في صباه. ويقال: إن عمر بعثه أيام خلافته إلى أهل الكوفة، يعلمهم القرآن. ومات بالمدينة نحو ٥٠ هـ في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٢٨٠/٥)؛ و"الإصابة" (٥٢٦/٩).

(٥) "تفسير ابن كثير" (٤٦٤/٢)؛ وقد نص على التواتر الشيخ الشوكاني، والشيخ الكتاني، والشيخ صديق حسن خان، والشيخ الكشميري في عنوان كتابه "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"؛ انظر "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام" للشيخ الألباني (ص ٢٥)؛ ورسالة "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام" د. سعد عاشور (ص ٢٤٩-٢٥٥).

وقد أجمع علماء السنة على نزول عيسى عليه السلام ، قال الإمام أحمد في أصول السنة التي رواها عنه عبدوس بن مالك العطار ^(١): (والإيمان أن المسيح الدجال خارج ، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كله كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل، فيقتله بباب لد) ^(٢)، ونص على ذلك أئمة السنة في عقائدهم ومصنفاتهم الحديثية والأثرية في ثبوت نزوله وإجماع عقيدتهم على ذلك. ^(٣)

(١) عبدوس بن مالك: قال ابن أبي يعلى الفراء في "طبقات الحنابلة": "عبدوس بن مالك: أبو محمد العطار، ذكره أبو بكر الخلال، فقال: كانت له عند أبي عبدالله منزلة في هدايا وغير ذلك، وله به أنس شديد، وكان يُقَدِّمه، وله أخبار يطول شرحها، وقد روى عن أبي عبدالله مسائل لم يروها غيره، ولم تقع إلينا كلها، مات ولم تتخرَّج عنه، ووقع إلينا منها شيء أخرجه أبو عبدالله في جماع أبواب السنة، ما لو رخل رجلاً إلى الصين في طلبها، لكان قليلاً، أخرجه أبو عبدالله ودفعه إليه". انظر "طبقات الحنابلة" لأبي يعلى القاضي (٢٤١/١).

(٢) كتاب "أصول السنة" للإمام أحمد، ت علي بن حسين أبو لوز (ص ٧٧).

(٣) انظر "شرح السنة للبرمباري" (ص ٥٠)؛ و"كتاب متن الطحاوية" بتعليق الشيخ الألباني (ص ٨٤)؛ وقد حكى الإجماع غير واحد كالسفاريني والكتاني والألوسي أيضاً، بل وكفّر من أنكر هذا الإجماع - من الفلاسفة- انظر كتابه "روح المعاني" (٢١٣/١١)؛ و"لوامع الأنوار" للسفاريني (٩٤/٢)؛ "نظم المنتثر من الحديث المتواتر" للكتاني (ص ٢٢٩)؛ وقد أوردنا منه شيئاً في الفصل الخامس.

المطلب الثاني: قتل المسيح عيسى ﷺ للمسيح الدجال، وذكر من معه من المؤمنين.

إنَّ من الفتن العظيمة التي ستقع بين يدي السَّاعة فتنةُ المسيح الدَّجَالِ، وقد كان معلوماً عند جميع الأنبياء خطورةُ هذه الفتنة، وعِظْمُ أمرها، فحدَّروا أقوامهم منه؛ قال ابن عمر رضي الله عنهما: "ثم قام النبيُّ ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدَّجَالِ فقال: «إني أنذركموه، وما من نبيٍّ إلا قد أنذره قومَه، لقد أنذره نوحٌ قومَه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعورُ، وأن الله ليس بأعور»^(١)؛ وقد حذر النبيُّ ﷺ منه أشدَّ التحذير حتى بلغ هذا التحذيرُ أن يكون دبر كلِّ صلاة^(٢).

ووصفه النبيُّ ﷺ بأدقِّ الوصف، وكشف عن فتنته بأبلغ البيان، لكي لا يعتزَّ به المؤمنون، ولا يفتتن به الموقنون، فبيَّن خلقته وصورته وأفعاله ومدة مكوثه ومكان خروجه وما يكون معه من الخوارق والخدع ومن يتبعه ومن يجاهده؛ ومن مجموع صفاته أنه رجلٌ من بني آدم، شابٌّ قصيرٌ أحمرُّ هجَّانٌ أزهرٌ^(٣) أفحجٌ^(٤) جعدٌ قَطِطٌ، جفال الشعر^(٥) أجلى الجبهة^(٦) جسيمٌ عظيمٌ الجثة، عريضُ النَّحر، ممسوخ العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة ولا جحراء^(٧) كأنَّها عنبَةٌ طافئةٌ، وعينه اليسرى عليها ظفرةٌ غليظةٌ، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) أو (كافر)، يقرؤها كلُّ مسلمٍ كاتبٍ وغير كاتبٍ؛ ومن صفاته أنه عقيمٌ لا يولد له، وجاء في الأحاديث أنه يسيح في الأرض أربعين يوماً غير مكة والمدينة فإنه لا يدخلها، ومعه جنةٌ ونازٌ يفتن الناس بها، يقدر الله على يديه من الخوارق امتحانا، وهو دجالٌ كذابٌ يدَّعي الألوهية، يقتله المسيح عيسى ابن مريم.^(٨)

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٧١/٤ - رقم ٣٠٥٧)؛ ومسلم في "الصحيح" (٢٢٤٥/٤ - رقم ٢٩٣١).

(٢) انظر: أخرجهما البخاري في "الصحيح" (٩٩/٢ - رقم ١٣٧٧)؛ ومسلم في "الصحيح" (٤١٢/١ - رقم ٥٨٨).

(٣) أي أنه رجل أبيض البشرة، انظر "لسان العرب" لابن منظور (فصل الزاي المعجمة؛ ٣٣٢/٤)، ولعله مائل إلى الحمرة ليجمع بين رواية "رجل أحمر" الثابتة في "الصحيحين" ورواية "هجان أزهر" المروية في "مسند" الإمام أحمد و"صحيح ابن حبان" وهي في "السلسلة الصحيحة" للألباني (١٩٠/٣ - رقم ١١٩٣).

(٤) أفحجٌ أي أن مشيته معيبة، لتباعده ساقيه، انظر "تاج العروس" (مادة فحج؛ ١٤٠/٦)؛ و"فتح الباري" لابن حجر (٩٧/١٣).

(٥) أي أنه شعره وُصِفَ بأن فيه التواءً وتقبضاً شديداً المعودة، بخلاف المسترسل، وهو كثير وغزير شعر الرأس؛ انظر "المصباح المنير" للجوهري (باب ج ع د؛ ١٠٢/١)؛ "تاج العروس" (باب جفل؛ ج ٢٨/٢١٥).

(٦) أي منحسر الشعر من مقدّم رأسه؛ انظر "تاج العروس" للزبيدي (باب جلو؛ ٣٧/٣٦٦)؛ و"لسان العرب" (فصل الجيم؛ ١٥١/١٤).

(٧) أي ناتئة، مأخوذة من التواء أي الارتفاع والانتفاخ، أي ليست بارزة، ولا جحراء أي غائرة، انظر "لسان العرب" (فصل الجيم؛ ١١٨/٤).

(٨) انظر "أشراط الساعة" يوسف الوابل (ص ٢٧٧-٢٧٨)؛ و"إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم" (٣٦٧/٢)، (٩٢/٣).

وقد عَدِمَ ذَكَرُ مَسِيحِ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنْ قَدْ اسْتَفَاظَتْ السُّنَّةُ بِذِكْرِهِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ فِتْنَتِهِ وَشَرِّهِ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ عَلَى خُرُوجِهِ وَظُهُورِهِ خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَبَعْضِ الْمَعْتَزِلَةِ وَبَعْضِ الْعُقْلَانِيِّينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ^(١)؛ وَقَدْ ذَكَرَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أَحَادِيثَ خُرُوجِ الدَّجَالِ بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ^(٢)؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ: (لَمْ يُذَكَّرْ بِصَرِيحِ اسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ احْتِقَارًا لَهُ، حَيْثُ إِنَّهُ يَدَّعِي الْإِلَهِيَّةَ وَهُوَ بَشَرٌ، وَهُوَ مَعَ بَشَرِيَّتِهِ نَاقِصُ الْخَلْقِ، يَنَافِي حَالَهُ جَلَالَ الرَّبِّ وَعَظَمَتَهُ وَكِبَرِيَاءَهُ وَتَنْزِيهَهُ عَنِ النِّقْصِ، فَكَانَ أَمْرُهُ عِنْدَ الرَّبِّ أَحَقَّرَ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ، وَأَصْغَرَ وَأَدْحَرَ مِنْ أَنْ يُجَلَّى عَنْ أَمْرِ دَعْوَاهِ وَيُحْذَرَ، وَلَكِنْ انْتَصَرَ الرَّسُلُ لَجَنَابِ الرَّبِّ وَعَظَمَتِهِ، فَجَلُّوا لِأَمْمِهِمْ عَنْ أَمْرِهِ، وَحَدَّرُوهُمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ، وَالْخَوَارِقِ الْمُنْقِضِيَةِ الْمَضْمَحَلَّةِ، فَانْتَفَى بِإِخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَوَاتُرِ ذَلِكَ عَنْ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ أَنْ يَذَكَرَ أَمْرَهُ الْحَقِيرَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَلَالِ اللَّهِ، فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَوَكَّلَ بِيَانِ أَمْرِهِ إِلَى كُلِّ نَبِيِّ كَرِيمٍ).^(٣) وَفِي كَلَامِهِ فَائِدَةٌ عَدَمُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ فِي الْقُرْآنِ وَالْإِكْتِفَاءُ بِذِكْرِهِ فِي السُّنَّةِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا ذِكْرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَفِيضَةِ، وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَسِيحِ الْهُدَى عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي أُوْكِلَ حِينَ هَبُوطِهِ إِلَى الْأَرْضِ الْقَضَاءَ عَلَى فِتْنَةِ مَسِيحِ الصَّلَاةِ الدَّجَالِ - عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ -

ومن هذه الأحاديث :

١- عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفِضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفِضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي

(١) انظر كتاب "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" للقرطبي (فصل الإيمان بالدجال وخروجه حقاً ص ١٢٨٢)؛ وكتاب "إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم" (٢/٢٩٢)؛ وقد أنكره عددٌ من العقلايين تبعاً لسلفهم المعتزلة، انظر رسالة "إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان" للشيخ حمود التويجري؛ ورسالة "الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي" للشيخ عبدالمحسن العباد.

(٢) كما أثبت ذلك الحافظ ابن كثير وابن حجر والسخاوي والكتّاني وتبعهم الإمام الشوكاني والشيخ الألباني وغيرهم رحمهم الله جميعاً؛ انظر كتاب "فتح المغيب بشرح ألفية الحديث" للسخاوي (٤/٢٣)؛ وكتاب "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" للكتّاني (ص ٢٢٨)؛ ورسالة الشيخ الألباني "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام".

(٣) "البداية والنهاية" لابن كثير (١٩٧/١٩).

(٤) النّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابِ بْنِ رِبْعَةَ الْكِلَابِيِّ. معدود في الشاميين، يقال: إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ، روى عن النّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ بْنِ جَبْرِ بْنِ نَفِيرٍ، وَنَفِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَمَاعَةٍ. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٤/١٥٣٤).

عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيجُ نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبّهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلّة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا»، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغهُ ضروعا، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردُّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون محللين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالحرية، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل يتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة...»^(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الرُّوم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا، قالت الرُّوم: خلُّوا بيننا وبين الذين سَبَّوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبدا، ويُقتل ثلثهم، أفضلُ الشهداء عند الله، ويفتتحُ الثلث، لا يفتنون أبدا فيفتتحون قُسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطلٌ، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يُعدُّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، فأَمَّهم، فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فِيرِيهم دمَه في حُرَيْتِه»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٥٠-٢٩٣٧ رقم).

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٢١-٢٨٩٧ رقم).

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال في حَقْمَةٍ من الدّين، وإدبارٍ من العلم، فله أربعون ليلةً يسيحُها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمائر يركبُه عَرَضٌ ما بين أُذُنَيْهِ أربعون ذراعاً، فيقول للناس: أنا ربُّكم وهو أعور، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور، مكتوبٌ بين عينيه كافر - ك ف ر مهجاة - يقرؤه كلُّ مؤمنٍ كاتبٍ، وغير كاتبٍ، يَرُدُّ كلَّ ماءٍ ومنهليّ إلَّا المدينة ومكة، حرَّمهما الله عليه، وقامت الملائكةُ بأبوابها، ومعه جبالٌ من خُبْزٍ، والنَّاسُ في جَهْدٍ إلَّا من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار، فمن أدخل الذي يسمِّيه الجنَّةَ، فهو النَّار، ومن أدخل الذي يسمِّيه النَّارَ، فهو الجنَّةَ»، قال: «ويبعثُ الله معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة، يأمرُ السَّماءَ فتمطرُ فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلِّط على غيرها من الناس، ويقول: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الربُّ؟»، قال: «يفرُّ المسلمون إلى جبل الدُّحان بالشام فيأتيهم، فيحاصروهم، فيشتدُّ حصارهم ويجهدُهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السَّحَر، فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذَّاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جنّي، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصلِّ بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه»، قال: «فحين يرى الكذَّاب ينمأُ كما ينمأُ الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله حتى إنَّ الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله، هذا يهوديٌّ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله». (١)

٤- وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (٢) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصارٍ: مصرٌ بملتنقى البحرين، ومصرٌ بالحيرة، ومصرٌ بالشام، فيفرع الناسُ ثلاث فرعات، فيخرج الدجال في أعراض الناس، فيهزم من قبل المشرق، فأول مصرٍ يرُدُّه المصر الذي بملتنقى البحرين، فيصير أهله ثلاث فرق: فرقة تقول: نشامه، ننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم، ومع

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١١/٢٢ - رقم ١٤٩٥٤)؛ والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣٨١/١٤ - رقم ٥٦٩٤)، وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٤٣٩/٤ - رقم ١٩٦٩): (ضعيف، ولا يخلو فقرات منه ثابتة في أحاديث صحيحة مشهورة).

(٢) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف: صحابي، من أهل الطائف. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. ثم ولاة عمر عمان والبحرين سنة ١٥ هـ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. وفي البصرة موضع يقال له "شط عثمان" منسوب إليه. وهو الذي منع ثقيفا عن الردة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (١٠٣٥/٣)؛ و"الإصابة" (٩٦/٧).

الدجال سبعون ألفا عليهم السيجان، وأكثر تبعه اليهود والنساء، ثم يأتي المصر الذي يليه فيصير أهله ثلاث فرق: فرقة تقول: نشامه وننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغربي الشام، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق، فيبعثون سرحا لهم، فيصاب سرحهم، فيشتد ذلك عليهم، وتصيبهم مجاعة شديدة، وجهدٌ شديدٌ، حتى إنَّ أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السَّحَر: يا أيها الناس أتاكم العَوْثُ، ثلاثاً، فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لصوت رجلٍ شبعانٍ، وينزل عيسى ابن مريم عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله، تقدّم صلِّ، فيقول هذه الأمة أمراءٌ بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلي، فإذا قضى صلاته، أخذ عيسى حَرْبَتَهُ، فيذهب نحو الدَّجال، فإذا رآه الدجال، ذاب كما يذوب الرِّصاصُ، فيضع حربته بين ثَنَدَوَتِهِ، فيقتله وينهزم أصحابه، فليس يومئذ شيءٌ يوارى منهم أحداً، حتى إنَّ الشجرة لتقول يا مؤمناً هذا كافرٌ، ويقول الحجر يا مؤمناً هذا كافرٌ». (١)

٥- وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: "قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يخرج الدجال في أمّتي، فيلبث فيهم أربعين - لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين سنة، أو أربعين ليلة، أو أربعين شهراً؟ - فيبعث الله عز وجل عيسى ابن مريم صلّى الله عليه وآله كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيظهر فيطلبه فيهلكه...». (٢)

٦- وعن رجل من الأنصار عن بعض أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله قال: «يأتي سبأخ المدينة وهو مُحْرَمٌ عليه أن يدخل نقابها، فتنتفض المدينة بأهلها نفضة أو نفضتين - وهي الزلزلة - فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة، ثم يولي الدجال قِبَلَ الشام حتى يأتي بعضَ جبالِ الشَّام فيحاصرهم، وبقيةُ المسلمين يومئذٍ معتمسون بذروة جبلٍ من جبالِ الشام، فيحاصرهم الدجال نازلاً بأصله حتى إذا طال عليهم البلاء قال رجلٌ من المسلمين: يا معشر المسلمين حتى متى أنتم هكذا وعدوُّ الله نازل بأرضكم هكذا؟ هل أنتم إلا بين إحدى الحسينيين بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم؟ فيبايعون على الموت بيعاً يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمةٌ لا يبصر امرؤ فيها كفه؛ قال: فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم، وبين أظهرهم رجل عليه لأمته فيقولون: من أنت يا عبد الله؟ فيقول: أنا عبدُ الله ورسولُهُ وروحُهُ وكلمتُهُ عيسى

(١) رواه الإمام أحمد في "المسند" (٤٣١/٢٩ - رقم ١٧٩٠٠)؛ والحاكم في "المستدرک" (٦٤٦/٤ - رقم ٨٥٣٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ بِذِكْرِ أُتُوبِ السَّخْتِيَانِيِّ، وَلَمْ يُخْرَجَاهُ؛ وَقَالَ عَنْهُ الْأَبَانِيُّ فِي "قِصَّةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ" (ص ٩٦): (ورجاله ثقات رجال مسلم غير علي بن زيد - وهو ابن جدعان - وهو ضعيف).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٣١٦/١٠ - رقم ١١٥٦٥)؛ والطبراني في "الكبير" (٤٩١/١٣ - رقم ١٤٣٦٤)؛ وأحمد في "المسند" (١١٣/١١ - رقم ٦٥٥٥)؛ والحاكم في "المستدرک" (٤/٥ - رقم ٨٦٩٧) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه)؛ وصححه الألباني في "الجامع الصغير وزياداته" (ص ١٤٠١ - رقم ١٤٠٠٧).

ابن مريم، اختاروا بين إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدجال وحنوده عذاباً من السماء، أو يخسف بهم الأرض، أو يسلط عليهم سلاحيهم ويكف سلاحهم عنكم. فيقولون: هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا. فيومئذ ترى اليهوديَّ العظيم الطويلَ الأكوْلَ الشروبَ لا تقلُّ يده سيفه من الرعدة، فيقومون إليهم فيسلطون عليهم، ويزوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص، حتى يأتيه أو يدركه عيسى فيقتله». (١)

٧- وعن مجمع ابن جارية الأنصاري رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لُد». (٢)

وهذه الأحاديث السابقة تبين أنه يكون مع عيسى عليه السلام عصابة مؤمنة، وأنهم آخر ما يبقى من الطائفة المنصورة الذين ينزل عليهم المسيح عيسى ابن مريم، ويقاتلون المسيح الدجال ومن معه من اليهود؛ وسندكر مزيداً من الأحاديث التي تصف هذه الطائفة المؤمنة الظاهرة على الحق، ومن هذه الأحاديث مع ما سبق:

• عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم». (٤)

• عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(١) أخرجه معمر بن راشد في "جامعه" المطبوع بمامش مصنف عبد الرزاق (١١/٣٩٧- رقم ٢٠٨٣٤)؛ وقال الألباني عنه في "قصة المسيح الدجال": (قلت: وإسناده ثقات رجال الشيخين غير الرجل الأنصاري فإنه لم يسم ويحتمل أن يكون صحابياً لأن الثقفي هذا تابعي روى عن أبي موسى الأشعري وغيره فإن كان كذلك فالسند صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة).
(٢) أخرجه الترمذي في "الجامع" (٤/٨٥- رقم ٢٢٤٤)؛ وأحمد في "المسند" (٢/٥٥٤- رقم ١٣٢٣)؛ وصححه الألباني في "قصة المسيح الدجال" (ص ١٠٨).

(٣) ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: صحابي مشهور. يقال إنه من العرب حكمي من حكم ابن سعد حمير وقيل من السراة اشتراه ثم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمه إلى أن مات ثم تحول إلى الرملة ثم حصص ومات بها سنة أربع وخمسين. انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" (٢/٨٨).

(٤) رواه النسائي في "السنن" (٦/٤٢- رقم ٣١٧٥)؛ والطبراني في "الأوسط" (٧/٢٣- رقم ٦٧٤١)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٤/٥٧٠- رقم ١٩٣٤).

(٥) عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر سنة ٧ هـ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة. وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها. وتوفي بها سنة ٥٢ هـ. وهو ممن اعتزل حرب صفين. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٣/١٢٠٨)، و"تاريخ الإسلام" (٢/٥٢٤).

« لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله، وينزل عيسى ابن مريم»^(١)، وفي رواية: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتَلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ»^(٢)

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٨٣/٣٣ - رقم ١٩٨٥٠)؛ واللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١٢٤/١ - رقم ١٦٨)؛ وهو صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤/٣ - رقم ٢٤٨٤)، وأحمد في "المسند" (١٤٩/٢٣ - رقم ١٩٩٢٠)؛ والحاكم في "المستدرک" (٨٩/٢ - رقم ٢٤٤٧) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦٠٢/٤ - رقم ١٩٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١٣٧/١ - رقم ١٥٦).

المطلب الثالث: صفة نزول عيسى ﷺ، ومكانه، وما يقوم به من أعمال.

قد سبق ثبوت النزول لعيسى عليه السلام في آخر الزمان قُرب قيام الساعة، وقد جاء وصفُ عيسى عليه السلام حين نزوله بأنه رجلٌ مربعٌ، معتدلُ القامة، ليس بالطويل ولا القصير، عريضُ الصدر؛ أقربُ الناس شبيهاً له عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه، ولونُ بشرته مائلٌ إلى البياض المشربَّ بجمرة، وشعرُه سَبَطٌ مسترسلٌ، وقد جاوزَ لَمَّةُ شعره إلى منكبيه، ينحدرُ من رأسه ماءٌ كأنه خارجٌ من ديماس^(١)؛ وهو لنضارته ونظافته عليه لصفائه كاللؤلؤ، عليه ثوبان ممصَّران مهودتان -أي مائلة إلى الصفرة كأنها صبغت بالهرد أو الزعفران- وهو ينزل عليه السلام؛ ولا يحقُّ لكافرٍ أن يجدَ ريحَ نفسه إلا هلك ومات، ونفسه تنتهي حيثُ ينتهي بصره عليه السلام، إلا ما يكون من المسيح الدجال الذي يُقتل بحزبته عليه السلام، وهذه من آياتِ الله تعالى التي تجرى على يديه كرامةٌ له كباقي معجزاته عليه السلام، وينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وينزل وهو واضح كفيه على أجنحة ملكين رضي الله عنهما.^(٢)

ومن الأحاديث الدالة على صفة وجهه و هيئته عند نزوله - عليه السلام -:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أُسري بي على موسى بن عمران عليه السلام، رجلٌ آدمٌ طوالٌ جعدٌ كأنه من رجالِ شَنْوَةَ، ورأيت عيسى ابن مريمَ مَرَبُوعَ الخلقِ إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس...».^(٣)

٢- وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَ عَلَيَّ الأنبياءِ، فإذا موسى ضربٌ من الرجال، كأنه من رجالِ شَنْوَةَ، ورأيت عيسى ابن مريمَ عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبيهاً عروة بن مسعود...».^(٤)

(١) الديماس هو الحَمَام، انظر: "لسان العرب" (١٤٢١/٢).

(٢) انظر: "لوامع الأنوار" للسفاريني (٩٢/٣)؛ و"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" علي القاري (٣٤٦٢/٨).

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١١٦/٤ - رقم ٣٢٣٩)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٥١/١ - رقم ١٦٥).

(٤) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١٥٣/١ - رقم ١٦٧).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به: «لقيت موسى، قال: فنعته، فإذا رجل - حسبته قال - مضطرب رجل الرأس، كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ربعةٌ أحمر، كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - ...»^(١).

٤- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر الدجال ثم قال: «... إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء^(٢) شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجذُّ ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله...»^(٣).

٥- وعن كيسان^(٤) رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ينزل عيسى ابن مريم -عليهما السلام- عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»^(٥).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأنبياءُ إخوةٌ لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربعٌ إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بللٌ...»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٦٦ - رقم ٣٤٣٧).

(٢) المنارة البيضاء، ويظن كثير من أهل العلم أن المنارة التي بشرقي دمشق هي المنارة الشرقية الموجودة في الجامع الأموي بدمشق، يقول ابن كثير: (وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه، وهي بيضاء بنفسها، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها، ولا أبهى ولا أعلى منها) "البداية والنهاية" (١٢/٥٩٢)، وقال في موضع آخر: (وقد تجدد بناء منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، من حجارة بيض، من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قبض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى، لينزل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ومن لم يسلم قتله) "البداية والنهاية" (١٩/٢٢٩-٢٣٠)، وقال في موضع آخر: (ثم يكون نزول عيسى حتفا لهم، وهلاكاً ودماراً عليهم) "البداية والنهاية" (١٢/٥٩١).

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٥٠ - رقم ٢٩٣٧).

(٤) كيسان: أبو نافع بن كيسان. يقال: هو كيسان بن عبد الله بن طارق. سكن الطائف، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر أنها حرمت وحرم ثمنها. روى عنه ابنه نافع. وله هذا الحديث المذكور. انظر "الاستيعاب" (٣/١٣٣٠)؛ و"تهذيب الكمال" للمزي (٢٤/٢٣٩).

(٥) أخرجه أبو الحسن الربيعي في "فضائل الشام ودمشق" (ص ٧١ - رقم ١٠٦)؛ وصححه الألباني في "تخریج أحاديث فضائل الشام" (١/٥٩).

(٦) أخرجه أبو داود في "السنن" (٤/١١٧ - رقم ٤٣٢٤)؛ وأحمد في "المسند" (١٥/١٥٣ - رقم ٩٢٧٠)؛ والحاكم في "المستدرک" (٢/٧٠٠ - رقم ٤٢٢٢)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٥/٢١٤ - رقم ٢١٨٢). وقد ذكرت الأحاديث الدالة على وصف عيسى عليه السلام حينما أسري بالنبي عليه الصلاة والسلام وحين نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وكذلك الحديث التي فيها وصف عيسى عليه السلام في منام النبي صلى الله عليه وسلم، ورؤيا الأنبياء حق، ولعل اجتماع رؤيا المسيح عيسى عليه

٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه قال: «رأيتُ عند الكعبة رجلاً آدمَ، سبطَ الرأس، واضعاً يديه على رجلين يسكب رأسه - أو يقطر رأسه - فسألت من هذا؟ فقالوا: عيسى ابن مريم - أو المسيح ابن مريم، لا ندري أي ذلك قال - ورأيت وراءه رجلاً أحمر، جعدَ الرأس، أعور العين اليمنى، أشبه من رأيت به ابن قطن، فسألت من هذا؟ فقالوا: المسيح الدجال». (١)

٨- وبسندٍ آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلوات الله وسلاماته عليه أنه قال: قال رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه: «أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال، تضرب لمتة بين منكبيه، رجلُ الشعر يقطرُ رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً، أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال». (٢)

وأما ما يقوم به من أعمالٍ فهي عديدة، فأوّل مهامه كما سبق أنه يقتل المسيح الدجال بعد أن يصلي صلاة الفجر، ثم يحكم بالإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبلها من أهل الكتاب، ولا يقبل ديناً سوى الإسلام، ثم إنّه عليه الصلاة والسلام يحجّ ويعتمر.

ومن الأحاديث التي تذكر ما يقوم به من أعمال :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه: «والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»، وفي رواية: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: " و اقرءوا إن شئتم:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (٣)

السلام مع المسيح الدجال وإظهار أوصاف المسيح ابن مريم والمسيح الدجال للتفريق بينهما والتحريض على اتباع مسيح الهدى والحذر من اتباع مسيح الضلالة. والله أعلم

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١/١٥٦ - رقم ٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١/١٥٥ - رقم ١٦٩).

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٩؛ والحديث أخرجه البخاري في "الصحيح" (٢/٨٢ - رقم ٢٢٢٢)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/١٣٥ - رقم

١٥٥).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلوات الله عليه قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد»^(١).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «والله، لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص^(٢) فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»^(٣).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه قال: «يوشك من عاش منكم أن يلقي عيسى ابن مريم إماماً مهدياً وحكماً عادلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وتوضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها»^(٤).

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه قال: «ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربعٌ إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه المملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يُتوفى، فيصلي عليه المسلمون»^(٥).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحي الصليب، وتُجمع له الصلاة، ويُعطى المال حتى لا يُقبل، ويضع الخراج، وينزل الرّوحاء^(٦)، فيحج منها أو يعتمر، أو يجمعهما...»^(٧).

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٣٦/٣ - رقم ٢٤٦٧).

(٢) القلاص بكسر القاف جمع قلوص بفتحها وهي من الإبل كالفقارة من النساء والحديث من الرجال؛ انظر: "شرح النووي على مسلم" (١٩٢/٢)؛ و"فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر (١٨٠/٧).

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١٣٦/١ - رقم ١٥٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٨٧/١٥ - رقم ٩٣٢٢)، وصححه الألباني في "قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى عليه السلام" (ص ٩٨).

(٥) أخرجه أبو داود في "السنن" (١١٧/٤ - رقم ٤٣٢٤)؛ وأحمد في "المسند" (١٥٤/١٥ - رقم ٩٢٦٨)؛ والحاكم في "المستدرک" (٢٠٠/٢ - رقم ٤٢٢٢)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢١٤/٥ - رقم ٢١٨٢).

(٦) فج الروحاء: هو بفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: (هو بين مكة والمدينة، قال: وكان طريق رسول الله صلوات الله عليه إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع)، انظر: "شرح النووي لصحيح مسلم" (٢٣٤/٨).

(٧) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٨١/١٣ - رقم ٧٩٠٤)؛ وصححه الألباني في "قصة المسيح الدجال" (ص ٩٩)، وقال: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفتح الرَّوحاءِ، حاجا أو معتمرا، أو ليشننهما»^(١)، أي أن عيسى عليه السلام قد يقرن بينهما فيجمع بين الحج والعمرة.^(٢) ، وقد ذكر أهل العلم أن من أعمال المسيح عيسى عليه السلام أنه يحكم بدين الإسلام ولا يقبل الجزية من أهل الكتاب حتى من الذين ادَّعوا أنهم أتباعه من النصارى، فيكسر الصليب ويمحيه، ويقتل الخنزير الذي يجلُّه النصارى في طعامهم، ويهلك الله جميع الملل إلا الإسلامَ شريعةَ الخليل الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فيحكم به عيسى عليه السلام، ولا يقبل دينا سواه، وحكمه بالإسلام دليل على أن عيسى عليه السلام يحكم بالقرآن وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - كما أشرت إلى ذلك سابقا -^(٣)؛ وليس كما يدَّعي النصارى أنه سينزل عيسى عليه السلام -الذي هو الرب عندهم- ويظهر ليبشر بالإنجيل ويكرز به في جميع الأمم^(٤)، فهو بوعد النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم سينزل حكما مقسطا بدين الإسلام وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم؟»، فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي، حدثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة، «وإمامكم منكم» قال ابن أبي ذئب: «تدري ما أمكم منكم؟» قلت: تخبرني، قال: «فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم»^(٥)؛ وقد ذكر النووي كلاما عظيما في حكم عيسى عليه السلام بالإسلام مع وضعه الجزية وعدم قبوله لها فقال: (قد يقال هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيّد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبيّن للنسخ، فإنَّ عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم).^(٦)

(١) أخرجه مسلم في "الصحیح" (٢/٩١٥ - رقم ١٢٥٢).

(٢) انظر: "شرح مسلم على النووي" (٨/٢٣٤).

(٣) انظر الفصل الخامس نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وإقراره لشريعة النبي عليه الصلاة والسلام.

(٤) انظر "الكتاب المقدس": أعمال الرسل [٢:٢٠]، "إنجيل مرقس" [١٠:١٣]؛ "إنجيل مرقس" [٩:١٤].

(٥) رواه البخاري في "الصحیح" (٤/١٦٨ - رقم ٣٤٤٩)؛ ومسلم في "الصحیح" (١/١٣٧ - رقم ١٥٥) واللفظ له.

(٦) "شرح النووي على مسلم" (٢/١٩٠)، وقد علق الألباني رحمه على ذلك فقال: (ومعنى هذا أن الحديث يشعر بنسخ أخذ الجزية من الكفار في عهد عيسى عليه السلام، فالناسخ هو الحديث وليس عيسى - صلى الله عليه وآله وسلم -؛ فإنه يحكم بشريعتنا كما أفاد ذلك قوله "حكماً")، "تحقيق مختصر صحيح مسلم للمنذري" للشيخ الألباني (ص ٥٤٨).

وهذا كلام عظيم النفع يرد على من لم يوفّق بين هذه الأحاديث، وزعم أن التكليف في عهد عيسى عليه السلام سترفع لكي لا يلتبس كون النبي محمد هو خاتم الأنبياء وشريعته آخر الشرائع وأنها الناسخة لما قبلها^(١)؛ وقد أورد الإمام السيوطي شُبهة القوم في كيفية حكم عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقد اجتهد رحمه الله في تبيين طرق حكم عيسى عليه السلام بشريعة النبي ﷺ، فذكر أنّ:

الطريق الأولى: أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم ومن بعدهم وذلك بالوحي الذي يأتي به جبريل عليه السلام من الله تعالى.

والطريق الثانية: أن عيسى عليه السلام يمكن أن ينظر في القرآن فيفهم منه جميع الأحكام المتعلقة بهذه الشريعة بدون الحاجة إلى الرجوع إلى الأحاديث كما فهمه النبي ﷺ من القرآن.

والطريق الثالثة: ما أشار إليه عدد من العلماء من كون عيسى عليه السلام معدودا من الصحابة الذين رأوا النبي ﷺ، فقد اجتمع به في عدد من المرات، وهو حي مؤمن به.

والطريق الرابعة: أنه ينزل إلى النبي ﷺ ويجتمع به ويرد عليه ويسأله عما يحتاج؛ واحتج الإمام السيوطي بحديث في سنده مقال عن أبي هريرة رضي الله عنه: «.. وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردنّ عليه»^(٢)، وقد نصر هذا القول وأيده، والله أعلم بصحة استدلاله؛ ولكنه يكفي أن عيسى عليه السلام مؤيد بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام الذي كان يوحي للنبي محمد ﷺ بكل الوحي المنزل عليه، وهو أعلم بما أنزله، وقد ثبت أنّ عيسى عليه السلام يُوحى إليه كما جاء في حديث النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه: «...فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور»^(٣)، قال الإمام السيوطي تعليقا على هذا الحديث: (فهذا صريح في أنه يوحي إليه بعد النزول، والظاهر أنّ الذي يوحي إليه هو جبريل، بل هو الذي يُقطع به، ولا يتردد فيه لأن تلك هي وظيفته، فهو السفير بين

(١) كما سين هذه المخالفة فيما سيأتي قريبا .

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٦٩٩/٢ - رقم ٤٢٢١) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة)، و وافقه الذهبي، وضَعَفَه الشيخ الألباني بهذه الزيادة في "السلسلة الضعيفة" (٦٤٧/٣ - رقم ١٤٥٠) وقال: (منكر بهذا التمام).

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٢٢٥٠/٤ - رقم ٢٩٣٧).

الله وبين الأنبياء، لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ..^(١)؛ وكون عيسى عليه السلام مؤيدا بروح القدس فلعل جبريل عليه السلام ينقل له ما قاله النبي ﷺ، والله أعلم.

وقد خالف النصارى في كون عيسى السلام يحكم بالإسلام، فهم يرون أنه سبيشّر بالإنجيل المحرف عندهم، كما جاء في كتابهم المحرف في إنجيل متى: ((الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُحْبَزُ أَيْضًا بِمَا فَعَلْتُهُ هَذِهِ تَذْكَارًا لَهَا))^(٢)، و مثله ما جاء في إنجيل مرقس: ((وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلًا بِالْإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ))^(٣)؛ وهذا قول بائن ضالُّه وكذبُه، وقد قال أحد الباحثين في توفيقه بين ما ثبت في ديننا الصحيح وبين ما جاء في نصوص العهد الجديد في مجيء عيسى عليه السلام وتكريمه بين الأمم قال: (... والله أكبر حين يتلى على أسماعنا قوله: "ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى" وبذلك يتفق عيسى ومحمد على أن العالم ستسوده دعوة عيسى وحكم عيسى قبل انقضاء الدهر، لكن بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام، والذي يؤكد نبوءة محمد هذه أن المسيح في رسالته الأولى لم يرسل لبني إسرائيل خاصة، ولم يرسل لجميع الأمم، وهذا ما عرفناه وسجله التاريخ من بعد أن سجله الإنجيل، أما في المجيء الثاني فإن بشارته ستكون لجميع الأمم حقا وصدقا).^(٤)

المطلب الرابع: هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه عليه السلام.

قد ذكرت فيما سبق أنّ للسّاعة علاماتٍ صغرى وكبرى، ومن علاماتها خروجُ يأجوجٍ ومأجوجٍ كما قال نبينا ﷺ: «إِنهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدَّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَزُولَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ...» وفي لفظ عند أبي داود: «وَأَخْرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ». ^(٥)

ويأجوج ومأجوج من البشر، من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، وقد ذكر المؤرخون من أهل العلم أنهم من ذرية يافث أبي التُّرك، ويافث من ولد نوح ابن آدم عليهما السلام، والذي يدل على أنهم من ذرية آدم

(١) انظر: كتاب "نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان" للإمام السيوطي، تحقيق: سعد كيرم الدرعمي (ص ٢٣)؛ وللطرق الأربعة التي ذكرها انظر الكتاب (ص ١٠ وما بعدها).

(٢) "إنجيل متى" [١٣ : ٢٦]

(٣) "إنجيل مرقس" [١٣ : ١٠]

(٤) "بولس والمسيحية" للدكتور محمد أبو الغيط الفرت (ص ١٤٥-١٤٦).

(٥) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٢٥-٢٩٠١)؛ وأبو داود في "السنن" (٤/١١٤-١١٤) رقم (٤٣١١).

عليه السلام ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: « يقول الله تعالى: ﴿يا آدم﴾، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: ﴿أخرج بعث النار﴾، قال: وما بعث النار؟، قال: ﴿من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين﴾، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد؛ قالوا: يا رسول الله، وأئنا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا، فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً». (١)؛ وهما قبيلتان مفسدتان في الأرض كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوا يٰذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَأَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾، فكانوا في قديم الزمان أهل فسادٍ وشرٍّ وقُوَّةٍ، لا يصدِّهم شيءٌ عن ظلمٍ من حولهم لقوتهم وجبروتهم، حتى قديم الملك الصَّالح ذو القرنين، فاشتكى له أهل تلك البلاد ما يلقون من شرِّهم، وطلبوا منه أن يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدًّا يحميهم منهم، وجمعوا له خراجًا لذلك، فأجابهم إلى طلبهم وامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجزيلة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾، وأقام سدًّا منيعاً من الحديد والقِطْرِ وهو النحاس المذاب، فجعل بدل اللبَنِ حديدًا، وبدل الطَّيْنِ تُحاسًا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴿٩٧﴾، أي: يعلُّوا عليه بسلا لم ولا غيرها، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾، أي: بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها، والحمد لله على رحمته سبحانه. (٥)

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٤/١٣٨ - رقم ٣٣٤٨)؛ ومسلم في "الصحيح" (١/٢٠١ - رقم ٢٢٢).

(٢) سورة الكهف: الآيات من ٩٤ إلى ٩٩.

(٣) سورة الكهف الآية ٩٥.

(٤) سورة الكهف الآية: ٩٧.

(٥) انظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (٢/٤٩٥)؛ و"تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري (١/٢٠١).

فمن علامات الساعة الكبرى إذا خروج يأجوج ومأجوج، وإقذار الله لهم على هدم هذا السد المنيع بحكمته وإذنه، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي ^(١) ﴾، وقال سبحانه عنهم: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ^(١١) وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يَوَالِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ^(٢) ﴾.

وقد جاء في الحديث أن دعاء عيسى عليه السلام ودعاء من معه من المؤمنين ورغبتهم واضطرارهم إلى الله تعالى هو سبب هلاكهم، ومن هذه الأحاديث :

١- عن النّوَّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الدَّجَالَ ذات غداةٍ، فحفضَ فيه ورفع ... ثم قال: فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ... ثم قال: فيطلبه حتى يدركه بباب لُدَّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومًا قد عصمهم الله منه، فيمسحُ عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: ﴿ إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطُّورِ ﴾. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بُحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءً. ويُحصِرُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم النَّعْفَ في رقابهم، فيُصبحون فرسى كموثٍ نفسٍ واحدةٍ، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملاءَ زهمهم ونتاجهم، فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسلُ الله طيراً كأعناق البُخْت فتحمّلهم فتطرّحهم حيث شاء الله، ثم يرسلُ الله مطراً لا يُكِنُّ منه بيتٌ مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسلُ الأرضَ حتى يتركها كالزَّلْفَةِ، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وزدّي بركتك. فيومئذٍ تأكلُ العصابةُ من الرُّمانة، ويستظلون بِقَحْفِهَا، ويباركُ في الرِّسْلِ حتى إنّ من الإبل لتكفي الفئامَ من الناس، واللَّقْحَةُ من البقر لتكفي القبيلةَ من الناس، واللَّقْحَةُ من الغنم لتكفي الفخذَ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً

(١) سورة الكهف: الآية ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٦-٩٧.

طَيِّبَةً، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ، وكلِّ مسلمٍ، ويبقى شرارُ النَّاسِ يتهارجون فيها تهارجَ الحمُر، فعليهم تقوم الساعة».^(١)

٢- وجاء حديثُ لابن مسعود رضي الله عنه يشهدُ لما سبق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقيتُ ليلةً أُسريَ بي إبراهيمَ، وموسى، وعيسى...»، قال: «فتذاكروا أمر الساعة، فردُّوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علمَ لي بها، فردُّوا الأمر إلى موسى، فقال: لا علمَ لي بها، فردُّوا الأمر إلى عيسى، فقال: أمَّا وَجِبْتُهَا؟ فلا يعلمُها أحدٌ إلَّا اللهُ، ذلك وفيما عهدَ إليَّ ربي وعزَّي أنَّ الدَّجالَ خارجٌ. قال: ومعِي قضيبان، فإذا رأني ذابَ كما يذوب الرِّصاص، قال: فيهلكه اللهُ. حتى إنَّ الحجر والشجر ليقول: يا مسلمُ! إن تحتي كافرًا، فتعال فاقتله. قال: فيهلكهم اللهُ، ثم يرجع الناسُ إلى بلادهم وأوطانهم. قال: فعند ذلك يخرجُ يأجوجُ ومأجوجُ، وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون، فيطؤون بلادهم، لا يأتون على شيءٍ إلَّا أهلكوه، ولا يمرُّون على ماءٍ إلَّا شربوه، ثم يرجعُ الناسُ إليَّ فيشكونهم، فأدعو اللهُ عليهم، فيهلكهم اللهُ ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريجهم. قال: فينزِلُ اللهُ وعزَّي المطر، فتحرفُ أجسادهم حتى يقذفهم في البحر، ثم تُنسفُ الجبالُ، وتمدُّ الأرضُ مدَّ الأديم، قال: ففيما عهدَ إليَّ ربي وعزَّي أنَّ ذلك إذا كان كذلك، فإنَّ الساعةَ كالحاملِ المتئمِّ التي لا يدري أهلها متى تفجُّوهم بولادها، ليلاً أو نهاراً!». ^(٢)

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس، كما قال اللهُ وعزَّي: ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾» ^(٣)، فيغشون الأرضَ، وينحازُّ المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمُّون إليهم مواشيهم، ويشربون مياةَ الأرض، حتى إنَّ بعضهم ليمرُّ بالنهر فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبسًا، حتى إنَّ من بعدهم ليمرُّ بذلك النَّهر فيقول: قد كان هاهنا ماءً مرَّةً، حتى إذا لم يبقَ من الناسِ إلَّا أحدٌ في حصنٍ أو مدينةٍ قال قائلهم: هؤلاءِ أهلُ الأرض، قد فرغنا منهم، بقي أهلُ السماء، قال: "ثم يهزُّ أحدُهم حِربته ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مختضبة دماءً، للبلَاءِ والفتنة، فبينما هم على ذلك، إذ بعث اللهُ دُوداً في أعناقهم، كَنَغفِ الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يُسمعُ لهم حسناً، فيقول المسلمون: ألا رجلٌ يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو

(١) تقدم تخرجه ص ٢٢٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٩/٦ - رقم ٣٥٥٦)؛ وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٣٠٧/٩ - رقم ٤٣١٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٦ .

" قال: " فيتجرّد رجلٌ منهم لذلك مُحتسبًا لنفسه قد أظنّها على أنه مقتول، فينزل، فيجدّهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم. فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعيٌّ إلا لحومهم، فتشكرُ عنه كأحسن ما تشكرُ عن شيءٍ من النَّبات أصابته قط". (١)

وهذه الأحاديثُ تبينُ حالَ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال، وأنّه بينما هو يحدثُ المؤمنين، يأذنُ الله بهدمَ الرّدم الذي بناه ذو القرنين، ويخرج حينئذٍ يأجوج ومأجوج، فيوحى الله لعيسى عليه السلام بأن هؤلاء عبادٌ أفوياءٌ أشدّاءُ جبّارين، لا طاقةً لعيسى عليه السلام ولا من معه من المؤمنين على قتالهم، بخلاف حالِ الدجال ومن معه من اليهود والكافرين الذين أمر عيسى عليه السلام ومن معه بقتالهم، ثم يرغبُ ويضطرُّ عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين دعاءً لله في إهلاكهم، فيستجيبُ الله دعائه، فيكفيهم الله شرّهم، فيميتهم موتةً واحدةً، وينجّي عيسى ومن معه من المؤمنين.

(١) أخرجه ابن ماجه في "السنن" (١٣٦٣/٢ - رقم ٤٠٧٩)؛ وأحمد في "المسند" (٢٥٦/١٨ - رقم ١١٧٣١)؛ وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير وزياداته" (٥٧١/١ - رقم ٢٩٧٠).

المطلب الخامس: حال الناس في عصر عيسى عليه السلام، ومدّة لبثه وموتّه عليه السلام.

قد جاء في الأحاديث وصفٌ لحالِ النَّاسِ والدَّوَابِّ في عهد عيسى عليه السلام أنهم يعيشون في أمنٍ ورَعَدٍ من العيش، فلا يُسعى لصدقةٍ، ولا تُقبلُ من مُنْفِقِها، ويذهبُ عن قلوبهم البغضاء والحسد والشحناء، وتُنزلُ السماءُ رزقها، والأرضُ تُخرجُ بركتها من الثَّمار، فيكفي القليلُ منها النَّفَرِ الكثير، بل حتى الوحوشُ الضَّاريةُ والدَّوَابُّ السَّامةُ ينزِعُ اللهُ منها الحَمَّةَ والضَّرَرَ، فترتَعُ الإبِلُ مع الأسودِ جميعا، ويلعبُ الصَّيَّانُ بدواتِ السُّمومِ فلا تضرُّها، وتضعُ الحربُ أوزارها؛ وأعظمُ ما يكونُ في ذلك الوقتِ أنَّ الأديانَ التي تخالفُ الإسلامَ كلُّها تهلكُ، ولا يُعبدُ إلَّا اللهُ وحده، وتكونُ السَّجدةُ الواحدةُ عند أحدهم خيرا من الدُّنيا وما فيها، لإقبالهم على الخير، وزيادة إيمانهم برويتهم عيسى عليه السلام، ويقينهم بقرب الآخرة وحلول الساعة. (١)

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لِيُحَجَّنَ هَذَا الْبَيْتُ، وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ». (٢)

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»، وفي رواية: «حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها» (٣)

٣- وعنه رضي الله عنه أيضا، عن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات: ديتهم واحد، وأمهاهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربعٌ إلى الحمرة والبياض، سبطٌ كأن رأسه يقطرُ، وإن لم يصبه بللٌ، بين ممصرتين، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضع الجزية، ويعطلُّ الملل، حتى تهلك في زمانه المللُ كلُّها غيرَ الإسلام، ويُهلك اللهُ في زمانه المسيح

(١) انظر: "شرح النووي على مسلم" (١٩٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٤٩/٢) - رقم ١٥٩٣.

(٣) والحديث أخرجه البخاري في "الصحيح" (٨٢/٣) - رقم ٢٢٢٢؛ ومسلم في "الصحيح" (١٣٥/١) - رقم ١٥٥.

الدَّجَّالَ الكَذَّابَ، وتقعُ الأمانةُ في الأرضِ حتى ترتعَ الإبِلُ مع الأسدِ جميعاً، والثَّمورُ مع البقرِ، والدُّنَّابُ مع الغنمِ، ويلعبُ الصبيانُ والغلمانُ بالحَيَّاتِ، لا يضُرُّ بعضهم بعضاً...»^(١).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إماماً مهدياً وحكماً عادلاً، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، وتوضعُ الجزيةُ، وتضعُ الحربُ أوزارها»^(٢).

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «ينزل ابن مريم إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويرجعُ السِّلْمُ، ويتخذُ السيوفُ مناجلَ، وتذهبُ حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ، وتُنزَلُ السماءُ رزقها، وتُخْرِجُ الأرضُ بركتها، حتى يلعبُ الصبيُّ بالثُّعبانِ فلا يضُرُّه، ويُراعي الغنمَ الذئبُ فلا يضُرُّها، ويُراعي الأسدُ البقرَ فلا يضُرُّها»^(٣).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «والله، لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليبَ، وليقتلنَّ الخنزيرَ، وليضعنَّ الجزيةَ، ولتتركنَّ القلاصُ فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»^(٤).

٧- وجاء في الشَّواهد عن أبي أُمَامَةَ الباهلي رضي الله عنه^(٥) قال: خطبنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله فكان أكثرَ خطبته حديثاً حدَّثناه عن الدَّجَّالِ وحدِّثناه، ثم قال رضي الله عنه: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «فيكونُ عيسى ابن مريم عليه السلام في أمتي حكماً عادلاً وإماماً قسطاً، يدقُّ الصليبَ، ويذبحُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويتركُ الصدقةَ فلا يُسعى على شاةٍ ولا بعيرٍ، وتُرفعُ الشحناءُ والتباغضُ، وتُنزَعُ حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ، حتى يُدخلَ الوليدُ يده في الحيةَ فلا تضُرُّه، وتُفَرِّقُ الوليدةُ الأسدَ فلا يضُرُّها، ويكونُ الذئبُ في الغنمِ كأنه كلبها، وتُمَلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ كما يُملَأُ الإناءُ من الماءِ، وتكونُ الكلمةُ واحدةً فلا يُعبَدُ إلا اللهُ، وتضعُ الحربُ أوزارها، وتُسَلَّبُ قريشٌ ملكها، وتكونُ الأرضُ كقناثورِ الفضةِ تُنبِتُ نباتها بعهد آدم حتى يجتمعَ النَّفَرُ على القطف من

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٣٩٨/١٥ - رقم ٩٦٣٢)؛ وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٩٩/٧ - رقم ٣٧٥٢٦)؛ والحاكم في "المستدرک" (٧٠٠/٢ - رقم ٤٢٢٢)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) تقدم تخرجه ٢٣١ .

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (١٧٢/١٦ - رقم ١٠٢٦١)؛ وقوَّاه الألباني لغيره في "قصة المسيح الدجال" (ص ١٠١).

(٤) أخرجه مسلم في "الصحيح" (١٣٦/١ - رقم ١٥٥).

(٥) أبو أُمَامَةَ الباهليُّ : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي صحابي. كان مع علي في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص، روى: علماً كثيراً توفي سنة إحدى وثمانين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة. ويقال: مات سنة ست وثمانين وهو آخر من مات من الصحابة بالشام انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٣٦ / ٢) "سير أعلام النبلاء" (٣ / ٣٥٩).

العنب فيشبعهم، ويجتمع الثفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدرهمات»، قالوا: يا رسول الله وما يُرخصُ الفرس؟، قال: «لا تركبُ لحربٍ أبداً»، قيل له: فما يُغلي الثور؟، قال: «تُحرثُ الأرضُ كُلُّها». (١)

والأحاديث السابقة تدلُّ دلالاتٍ آخر منها:

• أن حديث النبي ﷺ: «ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» لا يتعارض مع حديثه ﷺ الذي قال فيه: «لا تقوم الساعةُ حتى لا يُحجَّ البيتُ» (٢) حيث إن البخاريَّ أورد الحديثين مع بعضهما، وهما صحيحان، وظاهرهما التعارضُ، ولا تعارض بينهما حيث إن الحديث يدلُّ على أن البيت الحرام والكعبة المشرفة ليعتمرنَّ الناسُ فيها وليُحجَّنَّ إليها بعد قيام بعضِ أَسْوَاطِ السَّاعَةِ من نزول عيسى عليه السلام، وقتل المسيح الدجال، وهلاك يأجوج ومأجوج، وتبقى كذلك فترةً ثم تُهدم الكعبةُ على يد ذي السُّويقتين وأهل الحبشة، فيكون الحديثُ الثَّانِي في توقُّفِ الحجِّ، أي بعد أن يُهدم البيت. قال الحافظ ابن حجر: (لأن ظاهرهما التعارض، لأن المفهوم من الأول أن البيت يُحجُّ بعد أَسْوَاطِ السَّاعَةِ، ومن الثاني أنه لا يُحجُّ بعدها، ولكن يمكن الجمع بين الحديثين، فإنه لا يلزم من حجِّ الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج أن يمتنع الحجُّ في وقتٍ ما عند قُرب ظهورِ السَّاعَةِ، ويظهر والله أعلم أن المراد بقوله (ليحجن البيت) أي مكان البيت لما سيأتي بعد باب أن الحبشة إذا خربوه لم يُعمر بعد ذلك). (٣)

• ذهب بعضُ أهل العلم أن عيسى عليه السلام إذا نزل رُفِعَ التَّكْلِيفُ لتوهُم أن يكونَ نبيًّا بعد نبينا محمد ﷺ ينزل بغير شريعته ﷺ، وهذا قولٌ مردودٌ باطلٌ للأحاديث الواردة في ثبوتِ وقوعِ العبادةِ في عهد عيسى عليه الصلاة والسلام من حجِّ وصلاةٍ وصدقةٍ وغيره؛ ولأنَّ عيسى عليه السلام إنما ينزل حكماً مُقْسِطاً تابعاً لشريعة النبي محمد ﷺ يحكم بها، ولأنَّ بقاءَ الدُّنْيَا تقتضي بقاءَ التَّكْلِيفِ فيها. (٤)

(١) أخرجه ابن ماجه في "السنن" (١٣٥٩/٢ - رقم ٤٠٧٧)، وصححه الألباني في "قصة المسيح الدجال" (ص ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٤٩/٢ - رقم ١٥٩٣).

(٣) انظر: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر (٤٥٥/٣)؛ و"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" بدر الدين العيني (٢٣٦/٩).

(٤) انظر: "تفسير الماوردي" (٢٣٥/٥)؛ و"التذكرة في أحوال الموتى والقبور" للقرطبي (١٣/١).

مُدَّةُ بُنْه فِي الْأَرْضِ، وَمَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَالُ النَّاسِ بَعْدَهُ :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: « الأنبياء إخوة لعلات: دينهم واحد، وأمهااتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوعٌ إلى الحمرة والبياض، سبطٌ كأن رأسه يقطرُ، وإن لم يصبه بللٌ، بين ممصرتين، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضع الجزيةَ، ويعطلُّ الملل، حتى تهلك في زمانه المللُ كُلُّها غيرَ الإسلام، ويُهلك الله في زمانه المسيح الدَّجَّالَ الكذَّابَ، وتقعُ الأمانةُ في الأرض حتى ترتعَ الإبِلُ مع الأسد جميعاً، والنُّمور مع البقر، والدُّئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لا يضُرُّ بعضهم بعضاً، فيمكثُ ما شاء الله أن يمكثَ، ثم يُتوفَّى فيصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه ». (١)

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله قال: « ليس بيني وبينه نبيٌّ - يعني عيسى - وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوعٌ إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدقُّ الصليب، ويقتل الخنزيرَ، ويضع الجزيةَ، ويُهلك الله في زمانه الملل كُلُّها إلا الإسلام، ويهلكُ المسيح الدَّجَّالَ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يُتوفَّى، فيصلِّي عليه المسلمون ». (٢)

٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وأنا أبكي، فقال لي: « ما يبكيك؟»، قلت: " يا رسول الله، ذكرت الدَّجَّالَ فبكيْتُ"، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: « إن يخرج الدَّجَّالَ وأنا حيٌّ كفيتكموه، وإن يخرج بعدي، فإن ربكم وعجل ليس بأعور، وإنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كلِّ نَقَبٍ منها ملكان، فيخرجُ إليه شرارُ أهلها حتى الشَّام مدينة فلسطين بباب لُدٍّ - وقال أبو داود مرة: حتى يأتي فلسطينَ باب لُدٍّ -، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنةً إماماً عادلاً، وَحَكَمًا مُقْسِطًا ». (٣)

(١) تقدم تخرجه ص ٢٤٠.

(٢) تقد تخرجه ص ٢٣١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٥/٤١ - رقم ٢٤٤٦٧).

٤- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فيبعثُ اللهُ عيسى ابن مريم كأنه عُروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث النَّاسُ سبعَ سنين، ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل اللهُ ريحا باردةً من قبل الشام، فلا يبقى على وجهِ الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أنَّ أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه». (١)

وقد ذكر أهل العلم للجمع ما بين الحديثين في كون أن الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن عيسى صلى الله عليه وسلم يمكث في الأرض أربعين سنةً والحديث الذي جاء في صحيح مسلم أنه يمكث سبع سنين، فهو إمَّا أنه يُحمل هذه السبع على مدَّة إقامة بعد نزوله مضافاً إلى مُكثه فيها قبل رفعه إلى السماء وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين على المشهور كما قاله الحافظ ابن كثير، وإمَّا أن يراد بقوله عليه صلى الله عليه وسلم: « ثم يلبثُ الناس » أي: أن الناس يمكثون بعد موته عليه السلام سبع سنين في صفاء وبلا عداوة ولا شحناء ، فلا يكون حديث صحيح الإمام مسلم مخالفاً لأحاديث الإمام أبو داود والإمام أحمد ، فيكون لبثه في الأرض أربعين سنة ، وحديث مسلم ليس نصاً في الإخبار عن مدة لبث عيسى، وذاك نصٌ فيها ، والله أعلم. (٢)

● ومما يناسب ذكره في هذا الموضوع ما نقل من آثار لا تخلو من ضعف ، تبين أن موضع دفن المسيح عيسى عليه السلام مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع قبور صاحبيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما ومن تلك الآثار :

ما جاء عن عبد الله بن سلام قال: ((يدفن عيسى بن مريم عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحبيه رضي الله عنهم ما فيكون قبره رابعاً)) (٣) ، وجاء عنه في لفظ الترمذي : عن عبد الله بن سلام قال: ((مكتوب في التوراة: صفة محمد، وعيسى ابن مريم يدفن معه)) ونقل عن بعض الرواة قولهم : (قد بقي في البيت موضع قبر) والله أعلم (٤)

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح" (٤/٢٢٥٨- رقم ٢٩٤٠).

(٢) انظر: "النهاية في الفتن والملاحم" لابن كثير (١/١٨٤) ، وكتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، للشيخ محمد علي بن محمد الصديقي ، (٨ / ٦٣١) .

(٣) رواه الطبراني بتمامه في معجمه الكبير (١٣ / ١٥٨ / رقم ٣٨٤) وضعفه الإمام البخاري في تاريخه الكبير وقال " هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه " (١ / ٢٦٣) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤ / ١٠٦١) برقم (٦٩٦٢)

(٤) رواه الترمذي في سننه ٥ / ٥٨٨ برقم (٣٦١٧) ، وهو ضعيف كما سبق .

المبحث الثاني: ما ورد في الإيمان بيوم القيامة.

مقدمة عن اليوم العظيم يوم القيامة :

قد عُلم من دين نبينا محمد ﷺ ودين من قبله من النبيين والمرسلين عليهم الصلوات والتسليم بالإيمان باليوم الآخر، وهو يسمى بالسَّاعَة والحاقَّة والقارعة والواقعة، وهو يومُ الصَّعق والنَّفخ في الصور، ويومُ بعث الأَجساد والحساب والتُّشور، ويومُ يُعثر ما في القبور ويحصَّل ما في الصدور، يوم تُخَفَّف أو تنقَّل الموازين، وتتطايرُ الصُّحف لأهل الشمال واليمين؛ هو يومُ علَّق الله سبحانه فيه توفيةَ الأَجور ودقَّة الحساب، والخفضَ والرَّفَع بالإيمان والصَّالح من العمل بلا حسبٍ ولا أنسابٍ، هو يومٌ عظيمٌ مهولٌ تشيبُ له الولدانُ، وتضع له ذاتُ الأحمالِ، وتذهلُ الرُّضَع وتُقطع الحِلَّانُ، ويُجمَع فيه الأوَّلون والآخرون، ويُجاء فيه بالأنبياء والشهداء، وتُرلَّف فيه الجِنانُ للمتقين، وتُسعَّر الجحيمُ للغاوين، ويشفَع فيه الأنبياء والأولياء، ويسعدُ أهلُ السَّعادة بمقاعدهم، ويشقى أهلُ النَّارِ بعدابهم، ويُذبحُ الموتُ فلا ينفَعُ الفوتُ، ويُخلَّد حينئذ أهلُ الجِنان وأصحابُ النَّيران.

هذا اليومُ العظيمُ من عظمتِه له أسماءٌ كثيرةٌ، وأوصافٌ عديدةٌ، وليس المقصود التَّفصيلُ فيه إمَّا يهْمُنَا ذكرُ ما يتعلَّق بما ورد في عيسى عليه السلام في هذا اليوم العظيم ، وهو في المطالب الآتية :

المطلب الأول : في طلب الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام .

المطلب الثاني : تلقين الله عز وجل حجته لعيسى عليه السلام .

المطلب الثالث : ما يكون يوم القيامة من البعث والجنة والنار .

المطلب الأول: في طلب الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام.

والشفاعة كما يعرفها أهل العلم هي: طلبٌ ومعونَةٌ لطالب الشفاعة في طلبه، وقد تكون حسنةً وقد لا تكون، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَرَثَ اللَّهُ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا﴾^(١)، وعرفها الرَّاغب الأصفهاني بأنها: (الانضمامُ إلى آخرَ ناصرًا له، سائلًا عنه، وأكثر ما يُستعمل في انضمام من هو أعلى حُرمةً ومرتبَةً إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة)^(٢)، وإن كانت الشفاعة دينيةً وأخروية فهي دُعاءٌ يطلبُ الشَّافِعُ من الله دَفْعَ ضَرَرٍ أو جَلْبِ نَفْعٍ للمشفوع له، ولا تكون إلا بشرطين: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن الشافع والمشفوع له، ولا تكون إلا لأهل التوحيد من أُمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويُستثنى منه أبو طالب عمُّ رسول الله ﷺ لثبوت الشفاعة له في التخفيف فقط، لما له من خصوصية؛ ولشيخ الإسلام كلامُ نفيسٍ في هذا^(٣)؛ وقد أنكرها بعض أهل البدع.^(٤)

قال ابن حزم في ردِّ جميلٍ مفصَّلٍ: (أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا على بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ الذي قال له ربه ﷻ: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾، وقد نص الله تعالى على صحَّة الشفاعة في القرآن فقال تعالى: ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾، فأوجب ﷻ الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهدًا بالشفاعة، وصحَّت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها، قال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا﴾، وقال تعالى: ﴿لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾؛ فنصَّ تعالى على أنَّ الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده ﷻ ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحدَ من النَّاسِ أولى بذلك من محمَّد ﷺ، لأنه أفضلُ ولد آدم عليه السلام، وقال

(١) سورة النساء: الآية ٨٥.

(٢) "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني (ص ٤٥٨).

(٣) انظره في: "كتاب الإيمان" له (ص ٥٦ وما بعدها في فصول متعددة)؛ وللاستزادة انظر: "الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار" لأبي الحسين يحيى العمراني (٦٨٨/٣)؛ وكتاب "إثبات الشفاعة" للإمام الذهبي؛ وكتاب "الشفاعة على من رد أحاديث الشفاعة" لأبي محمد عبد الكريم الحميد؛ وكتاب "الشفاعة" لأبي عبد الرحمن مقبل الوادعي.

(٤) كالمعتزلة والخوارج الذين أنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكباثر، واحتجوا بعمومات القرآن والمتشابه منه، وأنكروا بذلك ما تواترت به نصوص القرآن والسنة من إثبات الشفاعة.

تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}، {وكم من ملك في السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}، وقال تعالى: {ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}، وقال تعالى: {ما من شفيع إلا من بعد إذنه}؛ فقد صحّت الشفاعة بنصّ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصحّ يقيناً أنّ الشفاعة التي أبطلها الله ﷻ هي غير الشفاعة التي أثبتها ﷻ، وإذ لا شكّ في ذلك فالشفاعة التي أبطل ﷻ هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلّدون في النّار، قال تعالى: {لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها}، نعوذ بالله منها؛ فإذا لا شكّ فيه فقد صحّ يقيناً أنّ الشفاعة التي أوجب الله ﷻ لمن أذن له، واتخذته عنده عهداً، ورضي قوله، فإنما هي لمذنبني أهل الإسلام، وهكذا جاء الخبر الثابت، وهما شفاعتان :

أحدُهما: الموقف، وهو المقام المحمود الذي جاء النص في القرآن به في قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، وهكذا جاء الخبر الثابت نصّاً؛ والشفاعة الثانية في إخراج أهل الكبائر من النّار طبقةً طبقةً، على ما صحّ في ذلك الخبر أ.هـ (١)

والمقصود هنا ذكرُ التّصوُّص التي وردت في عيسى عليه السلام عندما تُطلب منه الشفاعة العظمى في هذا المقام المحمود، ويُنَى عليه بأحسن الأوصاف، « فيقال له: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت النّاس في المهدي صبياً، - ولم يذكر ذنباً سوى أنه عبد من دون الله وهو غير راض بذلك - فيقول : إني لست هناكم إني عبدت، إني أتحدّث إلهاً من دون الله، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن أرايتم لو كان متاع في وعاءٍ محتومٍ عليه أكان يُقدّر على ما في جوفه حتى يُفضّ الخاتم؟ قال: فيقولون: لا. قال: فيقول: إنّ محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلّم خاتم النبيين، وقد حضر اليوم وقد عُفّر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر» (٢) فيدلُّ الخلق والعباد على من هو خيرٌ منه، وهو صاحبُ المقام المحمود والشفاعة العظمى، محمدُ الأمينُ الصّادقُ المصدوقُ الخاتمُ الكريمُ ﷺ.

(١) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم الأندلسي (٤/٥٣-٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٤/٣٣١- رقم ٢٥٤٦).

وهذه بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب:

١- عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجسُّ المؤمنون يومَ القيامة حتى يهيموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدمُ أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجدَ لك ملائكته، وعلمك أسماءَ كلِّ شيء، لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيقول: لست هناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب: أكله من الشجرة، وقد هُي عنها، ولكن اتوا نوحا ... فيأتون موسى، فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته، قال: فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد، وقلْ يُسمع، واشفعُ تُشَفِّع...» الحديث ^(١)

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله قال: «أنا سيدُ الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناسَ الأولين والآخريين في صعيدٍ واحدٍ، يسمعونُ الداعي، وينفذهم البصرُ، وتدنو الشمسُ، فيبلغ الناسُ من الغمِّ والكربِ ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناسُ: ألا ترون ما قد بلغكم؟، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُ الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر... فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قطُّ، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، فأنطلقُ فآتي تحت العرش، فأقعُ

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٣١/٩ - رقم ٧٤٤٠)

ساجدا لربي ﷺ، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تُشفع». (١)

٣- وعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذٍ آدمٌ فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر»، قال: " فيفزعُ الناسُ ثلاثَ فزعاتٍ، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك ... ثم يأتون موسى ويقول لهم:.... ولكن اتنوا عيسى، فيأتون عيسى، فيقول: إني عُبدتُ من دون الله، ولكن اتنوا محمداً"، قال: «فيأتونني فأنتلق معهم...». (٢)

٤- وخطب ابنُ عباسٍ على منبرِ البصرة فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنّه لم يكن نبيّ إلاّ له دعوةٌ قد تنجزها في الدنيا، وإنيّ قد احتبأت دعوتي شفاعةً لأمتي، وأنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، آدمٌ فمن دونه تحت لوائي ولا فخر، ويطولُ يومُ القيامة على النَّاسِ، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر، فليشفع لنا إلى ربنا ﷺ، فليقبض بيننا. فيأتون آدم ﷺ فيقولون: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته، اشفع لنا إلى ربنا فليقبض بيننا.... حتى يأتوا موسى عليه السلام فيقول لهم: ولكن اتنوا عيسى روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى اشفع لنا إلى ربك فليقبض بيننا. فيقول: إنيّ لست هناكم، إنيّ أُخِذْتُ إلهًا من دون الله، وإنّه لا يهمني اليوم إلاّ نفسي، ولكن أرايتم لو كان متاع في وعاء مختوم عليه أكان يقدر على ما في جوفه حتّى يفضّ الخاتم؟ قال: فيقولون: لا. قال: فيقول: إنّ محمداً ﷺ خاتم النبيّين، وقد حضر اليوم وقد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر. قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فيقولون: يا محمّد اشفع لنا إلى ربك فليقبض بيننا. فأقول: أنا لها...». (٣)

٥- وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبح رسولُ الله ﷺ ذات يوم فضلّى الغداةَ ثم جلس حتى إذا كان من الضحى، ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه، حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كلُّ ذلك لا يتكلم، حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما

(١) تقدّم تخريجه ص ٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي في "الجامع" (٣٠٨/٥ - رقم ٣١٤٨)؛

(٣) تقدّم تخريجه ص ٢٤٦.

شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال: «نعم، عُرض عليّ ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففطع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام، والعرق يكاد يُلجئهم، فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر... إلى أن يأتوا إلى موسى عليه السلام ويقول لهم: ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم، فانه يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم، فانه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد ﷺ، فيشفع لكم إلى ربكم ﷻ...» (١)

٦- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني نبي الله ﷺ: «إني لقائمٌ أنتظرُ أمّتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياءُ قد جاءتك يا محمد يسألون - أو قال: يجتمعون إليك - ويدعون الله، أن يفرق بين جمع الأمم، إلى حيث يشاء الله، لغم ما هم فيه فالخلق ملجمون في العرق. فأما المؤمن، فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيتغشاه الموت». قال: «قال عيسى: انتظر حتى أرجع إليك، قال: فذهب نبيُّ الله ﷺ حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يلق ملكٌ مصطفى، ولا نبيٌّ مرسلٌ، فأوحى الله إلى جبريل: أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع. قال: فشفت في أمّتي» الحديث. (٢)

والشفاعة التي يمتنع عنها عيسى عليه السلام هي الشفاعة العظمى التي تكون في الفصل بين العباد، ولكن شفاعته ثابتة لإخراج عصاة الموحدين من النار، فيكون هو عليه السلام من الأنبياء الذين يشفعون، كما ثبت عن النبي ﷺ قوله في "الصحيحين" فيقول الله ﷻ: ﴿شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين﴾، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقبهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة...» (٣)

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٠٩/٩ - رقم ٦٤٤٢)؛ وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٨١/٢ - رقم ٨١٢)؛ وصححه الألباني في "ظلال الجنة" (٣٨١/٢ - رقم ٨١٢)
(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٤٩/٧ - رقم ٢٦٩٥)؛ وابن خزيمة في "التوحيد" (٦١٦/٢)؛ والضياء في "المختارة" (٢٤٩/٧ - رقم ٢٦٥).
(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٢٩/٩ - رقم ٧٤٣٩)؛ ومسلم في "الصحيح" (١٦٧/١ - رقم ١٨٣).

وجاء عن أبي بكره رضي الله عنه ^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادَعُ الْفِرَاشَ فِي النَّارِ»، قال: «فِينَجِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ»، قال: «ثُمَّ يُؤَدَّنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيُشْفَعُونَ، وَيُخْرَجُونَ وَيُشْفَعُونَ، وَيُخْرَجُونَ وَيُشْفَعُونَ، وَيُخْرَجُونَ فَيُشْفَعُونَ». ^(٢)

وفي هذا دلالة على ثبوت شفاعة الأنبياء والمرسلين ومن دونهم لمن شاء الله تعالى أن يُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَا يُخْرِجُهُ إِلَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا أَهْلُ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَمَنْ حَبَسَهُمُ الْقُرْآنُ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَحَالِ أَهْلِ النَّارِ -.

والشفاعة عند أغلب فرق النصارى - كما يظهر في اجتهادات قساوستهم وأساتذتهم - أنها تكون في الدنيا لا تكون في الآخرة ^(٣)، وهي على أقسام عندهم :

١ - شفاعة كفارية، والتي لا تكون إلا لعيسى عليه السلام بافتداء نفسه، وسفك دمه، فكفرت عن الناس الخطايا، ووفعت عنهم لعنة الخطيئة الأولى.

٢ - شفاعة نيابية، وهي خاصة بالروح القدس.

٣ - الشفاعة التوسلية : وهذه بدورها ثلاث أنواع :

أ - شفاعة الأحياء من أجل الأحياء، وتضم شفاعة الملائكة.

ب - شفاعة الأحياء من أجل الأموات.

(١) أبو بكره الثقفي الطائفي نفع بن الحارث، مولى النبي صلى الله عليه وسلم، اسمه: نفع بن الحارث. وقيل: نفع بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. روى: جملة أحاديث. سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، ووفد على معاوية. وقصة عمر مشهورة في جلده: أبا بكره، ونافعا، وشبل بن معبد؛ لشهادتهم على المغيرة بالزنى، ثم استتابهم، فأبى أبو بكره أن يتوب، وتاب الأحران. قيل: مات سنة إحدى وخمسين. انظر "الاستيعاب" (٤/١٥٣٠)؛ و"سير أعلام النبلاء" (٥/٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٩٠/٢٤ - رقم ٢٠٤٤٠)؛ وابن أبي شيبة في "المصنف" (٥٩/٧ - رقم ٣٤١٩٣)؛ وابن أبي عاصم في "السنن" (٤٠٣/٢ - رقم ٨٣٧)؛ وحسن إسناده الألباني في "ظلال الجنة" (٤٠٣/٢ - رقم ٨٣٧).

(٣) وهم على اختلاف بينهم فمنهم من يرى أن الوسيط الوحيد هو يسوع المسيح وهم البروستانت، أما غيرهم فيقولون بشفاعتين وهؤلاء هم الأرثوذكس: الكاثوليك واللوثيون والكنائس الأنجليكانية، انظر كتاب "اللاهوت المقارن" البابا شنودة الثالث (١ / ٦٦-٧٧)؛ و"علم اللاهوت" ميخائيل مينا.

ج- شفاعَةُ القَدَّيسينِ الأَمواتِ من أجل الأحياء ، وأهمهم هنا مريم العذراء، ويعتقدُ النَّصارى أنها الملكة القائمة عن يمين الله -سبحان الله عما يقولون- وفي هذا يتَّضحُ الشركُ العظيم في عقيدة النصارى، حيث إنَّ هذا الإعتقادَ الفاسدَ يتوجب عليهم التوبةَ والرجوعُ ودعاءُ الأمواتِ باعتقاد حياتهم الكاملة، واعتقادِ قدرتهم على التوسُّط عند الله الآب بأن يقضي حاجاتهم، ويغفرَ ذنوبهم، ويقبلَ توباتهم، بل إنَّ هذا التوسُّطَ تعدَّى إلى أن هؤلاء القَدَّيسون قد أعطاهم اللهُ الآبُ سلطةً لهم، فهم يشاركونه سبحانه في مغفرة الرِّلات، والعفو عن السيئات، وصلاحِ حالِ الأحياءِ والأمواتِ؛ وكيفيَّة هذه التوبة والغفرانِ لمن أخطأ من النَّصارى بأن تكون في الدنيا بتقدم الدَّعوات والصلوات والصدقات، وتكون بالإعتراف أمام القسِّيسِ بجميع ما مضى من الذنوب والجرائم، بل حتى خواطرِ النَّفس، وهمِّها الرديئة، ويعطي بذلك أموالاً لكي يُمنحَ صكَّ الغفرانِ وإيجابِ دخولِ الجنَّة، والنَّجاة من النيران^(١)؛ وهي من حيل القساوسة والكُهانِ لأكلِ أموالِ الناس بالباطل، مع ما فيه من ادِّعاء الغيبِ، واعتقاد ما يختصُّ بالله الواحدِ الذي من ملكه وقدرته واختصاصه سبحانه أنه لا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه، لا يقدر على ذلك مَلَكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)؛ وفي حديثِ سيِّد الاستغفار: «وأبوءُ لكُ بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣)؛ وهذا الذي يزيدُ في كفرِ النَّصارى وشركهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤).

(١) انظر كتاب "اللاهوت المقارن" للمؤلف البابا شنودة الثالث (ص ٦٦-٧٧)؛ وكتاب "شفاعة القَدَّيسين" القمَّص بشوي كامل.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٦٧/٨ - رقم ٢٣٠٦).

(٤) سورة التوبة: الآية ٣١ ، انظر كتاب "بين الإسلام والمسيحية" لأبي عبيدة الخزرجية (ص ٧٧)؛ وكتاب "تحفة الريب في الرد على أهل الصليب" للمهتدي عبدالله الترجمان الأندلسي (ص ٩٧-٩٩)؛ وكتاب "اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام" د. فرج الله عبدالباري أبو عطا الله (ص ٢٢١-٢٢٢).

المطلب الثاني: تلقين الله ﷻ لعيسى ﷺ حجته يوم القيامة.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّرْتُمْ فَإِنَّمَا تَعْبَادُونَ اللَّهَ وَإِنْ تَغَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾؛ تبين هذه الآيات موقفًا من مواقف يوم القيامة حينما يبيِّن الله للناس فيما هم فيه يختلفون، فيظهر الحق من الباطل، ويتبين الصدق من الكذب، وينفع الله الصادقين المتقين، ويكذب الله المجرمين الظالمين؛ فيسأل الله تعالى عيسى عليه السلام سؤال توبيخ للنصارى، وتثبيت الحجة عليهم، وتكذيبهم في ادعائهم بأن عيسى عليه السلام إله، وأنه ابن الإله، وذلك يكون يوم القيامة على الصحيح من قولي أهل التفسير وأكثر المفسرين على ذلك؛ والله يعلم أن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك، وقد ثبت الله عيسى عليه السلام حجته بأن أعلمه جوابه بأنه لم يدع الناس إلى اتخاذها واتخاذ أمه آلهة من دون الله سبحانه، وأن الله رقيب شهيد حفيظ لما يقال ويُفعل. (٢)

(١) سورة المائدة، الآيات: ١١٦-١١٧-١١٨.

(٢) والقول الثاني قاله السدي، أنه سأله حينما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام للسماء، ورجَّحه ابن جرير وهو قول مرجوح؛ قال ابن كثير: (واحتج ابن جرير على ذلك بمعنيين: أحدهما: أن الكلام لفظ المضى، والثاني: قوله: {إن تعذبهم} و {إن تغفر لهم} وهذان الدليلان فيهما نظر؛ لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضى، ليدل على الوقوع والتبوت... والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر، والله أعلم: أن ذلك كائن يوم القيامة، ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة)، انظر: "تفسير ابن كثير" (٣/٢٣٢)؛ و"تفسير ابن جرير" (٩/١٣٤)؛ و"تفسير القرطبي" (٦/٣٧٤)؛ و"تحفة الأحوذى" للمباركفوري (٨/٣٤٥).

وقد جاء فيما يدلُّ على تلقين الله حجته لعيسى عليه السلام أحاديث منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يلقى عيسى حجته في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فلَقاه الله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ الآية كلها». (١)

٢- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يومُ القيامة دُعِيَ بالأنبياء وأممها، ثم يُدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقرُّ بها، يقول: ﴿يَلْعَبُ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ﴾، ثم يقول: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فينكر أن يكون قال ذلك، فيؤتى بالنصارى فيسألون فيقولون: نعم هو أمرنا بذلك، فيطول شعر عيسى حتى يأخذ كلُّ ملكٍ من الملائكة بشعرةٍ من شعر رأسه وجسده، فيجاثيهم بين يدي الله مقدار ألفِ عامٍ، حتى يوقع عليهم الحجة، ويرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار». (٢)

ومن الآثار في ذلك: ١- عن ابن جريج: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال: (والناس يسمعون، فراجعه بما قد رأيت، وأقر له بالعبودية على نفسه، فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول: أنه إنما كان يقول باطلاً) (٣)

٢- وعن قتادة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ﴾. (٤)

(١) رواه الترمذي في "السنن" (٢٦٠/٥ - رقم ٣٠٦٢)؛ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٥٨٢/٥ - رقم ٢٤٥٤).

(٢) رواه ابن عساکر في "تاريخ دمشق" (٤٠/٦٧)، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ولم أحده انظر (٢٢٩/٣)، و أورده ابن كثير في تفسيره ثم قال (وهذا حديث غريب عزيز) (٣ / ٢٣٢)، و أورده القاسمي في تفسيره وقال قبله (وقد روي بذلك حديث مرفوع، رواه الحافظ ابن عساکر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيز، وكان ثقة) ثم ذكر الحديث (٤ / ٣٠٠).

(٣) "تفسير ابن جرير الطبري" (٣٣٤/١١).

(٤) "تفسير ابن جرير" (٢٣٤-٢٣٥)؛ و"تفسير عبد الرزاق" (٣٨/٢).

٣- وعن ميسرة قال: ﴿ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ

اللَّهِ ﴾ فَأُرْعِدْت مفاصله، وخشي أن يكون قد قال، فقال: ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، ﴾ الآية. (١)

فبيّنت الآيات والأحاديث والآثار السابقة أنّ عيسى عليه السلام لم يدعُ إلى عبادة نفسه، وعبادة أمّه، وكذلك بيّنت النصوص السابقة أنّ عيسى عليه السلام لا دخل له في حساب العباد، وأنه لا يملك تعذيبهم أو العفو عنهم بخلاف ما يعتقد النصارى من أنّ الآب جعل الدينونة -أي الحساب كلّ- لابنه المسيح، فالمسيح هو الدّيّان الذي يتولى الحساب، فيحاسب كلّ البشر على أعمالهم خيرا وشرّا في الآخرة كما جاء في نصوص الكتاب المقدس وكما يعتقد النصارى، «لأنّ الآب لا يدينُ أحداً، بل قد أعطى كلّ الدّيّونَةَ لابن، لكي يُكرّم الجميع الابن كما يُكرّمون الآب. من لا يُكرّم الابن لا يُكرّم الآب الذي أرسله»^(٢)؛ والعجيب أنّ نصوص الكتاب المقدس أتت متناقضة في إثبات ذلك، فتارة تُثبت الحساب للمسيح وحده، وتارة تنفي على لسان المسيح كونه دّيّاناً، ومرة ثالثة تُثبت أنّه يدين مع الآب، ومرة رابعة تُثبت أنّه يدين مع التلاميذ، ومرة خامسة يُثبت بولس أنّ الله هو الذي يدين فقط ... وهذا الاضطراب مرجعة إلى أمرين: الأول: التّحريف الذي لحقّ بالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، الثاني: اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح وبُنوّته لله ^(٣)، مع ما في ذلك من اضطراب.

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" (١٢٥٢/٤).

(٢) "إنجيل يوحنا": [٥ : ٢٢-٢٣]؛ و انظر كتاب "علم اللاهوت" لميخائيل مينا (٢٨/٢-٢٩).

(٣) من كتاب "اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام" (ص ١٩٨) وهي رسالة ماجستير للباحث فرج الله عبد الباري أبو عطاءالله، بتصرف يسير؛ وانظر الكتاب المقدس يوحنا [١٨ : ١٥-١٦]، يوحنا [٢٥ : ٢٧-٢٨]؛ "رسالة بولس إلى رومية" (١٦/٢).

المطلب الثالث: ما ورد في أهوال يوم القيامة وذكر البعث والجنة والنار

١- البعث:

قال الله ﷻ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ

الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَتَّرُونَ ﴿^(١)؛ هذه الآية دالة على البعث، وهو دعاء جرى مجرى الخبر عن حال عيسى عليه السلام أنه في أمن وسلام حين ولادته من نزغ الشيطان، وهذا فيه إثبات منه لعبوديته لله ﷻ، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت، ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السَّلامَة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، صلوات الله وسلامه عليه؛ ^(٢)، كما قال تعالى في حاله عند بعثه وغيره من أهل

الحسنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا

وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ

هَذَا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿^(٣)؛ وفيها أيضا ردُّ على ماتوهم المشركون الذين احتجُّوا على

رسول الله ﷺ حينما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ

لَهَا وَرَدُونَ ﴿^(٤)، فزعموا أنَّ عيسى وعزيراً والملائكة ممن يُعبُد من دون الله وهو غير راض بالعبادة

معهم في النار، فنزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٥﴾؛

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ

جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾، فقال المشركون: الملائكة وعيسى وعزير يُعبدون من دون الله؟ فقال: لو

كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ

عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، فجاء في أصحِّ تفسيرها أنها نزلت في عيسى وعزير والملائكة، كما ورد عن مجاهد

(١) سورة مريم: الآية ٣٣-٣٤.

(٢) "تفسير ابن جرير" (٥٣٣/١٥)؛ و"تفسير ابن كثير" (٢٣٠/٥).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات ١٠١-١٠٢-١٠٣.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.

(٥) سورة الأنبياء: الآيات ١٠١-١٠٢-١٠٣.

وعكرمة والحسن البصري وغيرهم، وهي عامّة في كلّ من عبّد من دون الله وهو الله طائعٌ وعبادة من يعبد
كاره. (١)

٢- يوم القيامة والجنة والنار:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ إِذْ أَوْفَيْتَ بِمَا نَادَيْتَ مِنْ قَبْلُ أَنْ قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ بِالْبَيِّنَاتِ ۗ بَلِ اتَّبَعْتُ أُمَّةَ مَوْلَانِي فَأَتَّبْتُهُمْ فَأَخَذَتْنَاهُمُ الْجَنَّةَ وَمَنَعَتْنَاهُمُ الْجَنَّةَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تِلْكَ الْحَدِيثَ فِيمَا نَدَىٰ مِنْ قَبْلُ فَأَوْفَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۗ﴾ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ وقال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۗ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۗ﴾ (٥٨)

١- وعن عبادة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه -وفي رواية وابن أمته-، والجنة حقُّ، والنار حقُّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» وزاد في رواية: «أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء». (٤)

٢- وعن زيد بن أرقم ﷺ (٥) قال: أتى النبي رجلٌ من اليهود فقال: يا أبا القاسم، أَلستَ تزعمُ أنَّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذه خصمته. قال: فقال رسول الله ﷺ:

(١) وورد في تفسيرها غير هذا المعنى، ولكن هذا المعنى هو الأقرب والأصوب في أسباب نزول هذه الآيات، قال الحاكم في "مستدرکه" (٥٤٣/٢ - ٣٥٠٦)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) سورة آل عمران: الآيات ٥٥-٥٦-٥٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٤) تقدم تخرجه ص ١٨٠.

(٥) زيد بن أرقم الخرجي الأنصاري ﷺ: صحابي. غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة. له في كتب الحديث ٧٠ حديثًا، توفي سنة ٦٨ هـ. انظر "الاستيعاب" (٥٣٥/٢)؛ و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٤١/٢).

« بلى والذي نفسي بيده، إنَّ أحدهم ليعطى قوَّةَ مائة رجلٍ في المطعم والمشرب والشهوة والجماع »؛ قال: فقال له اليهوديُّ: فإنَّ الذي يأكل ويشربُ تكون له الحاجة. قال: فقال رسول الله ﷺ: «حاجة أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلودهم مثلُ ربح المسك، فإذا البطنُ قد ضمَّ». (١)

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟»، قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذٍ، إلا كما تضارون في رؤيتهما» ثم قال: «ينادي منادٍ ليذهب كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحابُ الصليب مع صليبيهم، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم، وأصحابُ كلِّ آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله، من برٍّ أو فاجرٍ، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تُعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرَ ابن الله، فيقال: كذبتُم، لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يُقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتُم، لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، حتى يبقى من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجرٍ، فيقال لهم: ما يجبسُكم وقد ذهب النَّاسُ؟ فيقولون: فارقناهم، ونحن أحوجُّ منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادي: ليُلقَى كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا...». (٢)

٤- وعن يعلى بن مرة رضي الله عنه (٣) قال: لقيتُ التَّوخيَّ رسولَ هرقلَ إلى رسول الله ﷺ بجمص، شيخًا كبيرًا قد فند، قال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فناول الصحيفة رجلًا عن يساره. قال قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية. فإذا كتابٌ صاحبي: إنك كتبتَ تدعوني إلى جنةٍ عرضها السَّمواتُ والأرضُ أعدتُ للمتقين، فأين النار؟، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار؟». (٤)

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٨/٣٢ - رقم ١٩٢٦٩)؛ وابن حبان في "الصحيح" (٤٤٣/١٦ - رقم ٧٤٢٤)؛ وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٦٦/٣ - رقم ٣٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" (١٢٩/٩ - رقم ٤٧٣٩).

(٣) يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي: ويقال العامري. اسم أمه سيابة، فرما نسب إليها فقيل يعلى ابن سيابة، يكنى أبا المرازم، شهد مع النَّبي ﷺ الحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف. روى عنه ابنه عبد الله بن يعلى، والمنهال بن عمرو، وغيرهما. يعد في الكوفيين. وقد قيل: إنه بصري، وإن له دارا بالبصرة. انظر "الاستيعاب" لابن عبد البر (١٥٨٧/٤).

(٤) رواه الطبري في "تفسيره" (٥٤/٦)؛ وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٦٣/٨ - رقم ٣٦٨٦).

دَلَّتِ النُّصُوصُ السَّابِقَةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ الْمُعْصُومِ ﷺ أَنَّ مِنْ شَهِدِ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالتَّنْذِيدِ، وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ كَافَّةً، فَأَخْلَصَ لَهُ الذَّلُّ وَالْعِبَادَةُ، وَانْقَادَتْ جَوَارِحُهُ بِالذَّلِّ وَالطَّاعَةِ، وَكَفَرَ بِالطَّاغُوتِ وَالشَّيْطَانِ، وَعِبَادَةَ الْمَخْلُوقِ وَالصُّلْبَانَ، وَأَمِنَ فِي زَمَنِ كُلِّ نَبِيٍّ بِنَبْوَتِهِ، وَصَدَّقَ وَاتَّبَعَ رِسَالَتَهُ؛ فَعَيْسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ بِكَلِمَتِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ رُوحًا مِنْهُ؛ وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ رِسَالِهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ بَشَرٌ وَعَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَّ كُلَّ مَنْ حَقَّقَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَيَدْخُلُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ سَبَقَهُ مَا سَبَقَ مِنَ التَّعْذِيبِ، فَلَا بَدَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ تَخْلِيدٌ، لَا شَقَاوَةَ وَلَا سَخَطَ بَعْدَهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ بِرَحْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا دَلَّتِ النُّصُوصُ أَيْضًا عَلَى حَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، سِوَاءٍ مَنْ كَفَرَ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَسُولًا فَجَحَدَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، أَوْ أَنَّهُ غَلَا فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَبَدَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا لِلَّهِ، سَبَّحَانَ اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَيَعْتَقِدُونَ، فَإِنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ هُمْ وَصَلْبَانَهُمْ. (١)

وعقيدته أهل السنة والجماعة في الجنة والنار أنهما داران مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان (٢)؛ والجنة دارٌ نعيم واسعة، قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)، وقال ﷺ: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤)؛ وهي مخلوقة من قبل، وأعدت للمؤمنين والمنتقين، وهي مأوى كلٍّ موحدٍ مات على التوحيد والإخلاص، ولو فعل قبل ذلك ما فعل من الذنوب التي لا تصل إلى الشرك، كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ »، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ». (٥)، وَأَمَّا النَّارُ فَهِيَ دَارُ عَذَابٍ وَجَحِيمٍ، عَظِيمٌ سَعَتُهَا، بَعِيدٌ قَعْرُهَا، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ،

(١) انظر: "تفسير الطبري" (٤٦٢/٦)؛ و"تفسير ابن أبي حاتم" (٦٦٢/٢)؛ و"فتح الباري" لابن حجر (٤٤٨/١١)؛ و"شرح النووي على مسلم" (٢٢٧/١)؛ و"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٢٧/١٦).
(٢) انظر كتب عقائد أهل السنة منها: "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (٦١٤/٢)؛ "الشرعة" للآجري (١٣٤٣/٣)؛ "الإبانة الكبرى" لابن بطة العكبري (٥٥٧/٢)؛ "شرح السنة" للبرهاري (ص ٤٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.
(٤) سورة الحديد: الآية ٢١.
(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" (٧١/٢ - رقم ١٢٣٧)؛ ومسلم في "الصحيح" (٩٤/١ - رقم ٩٤).

مع كلِّ زمامٍ يجُرُّه سبعون ألف ملك، أُعدَّت وسُعِّرت للكافرين الظالمين، لا يُقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها؛ يخرج منها الموحدون بشفاعة الشافعين، ورحمة ربِّ العالمين، لا فناء لها ولا انقضاء، ونقلوا الإجماع على ذلك فقالوا: (أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له، وكذلك عذاب الكفار في النار) ^(١)، والنصاري يشنون الجنة والنار، ويؤمنون بوجودها، ولكن رغم أن نصوص الكتاب المقدس يُذكر فيها نعيم الجنان وما فيها من مآكل ومشارب ونكاح، إلا أنهم يأولون هذه النصوص، ويجعلون النعيم يقتصر على النعيم الروحي، وينكرون النعيم الجسدي، والمتاع الحسي، وهم يعيرون على المسلمين إثباتهم للنعيم الجسدي، فشبهتهم تدور على أمرين:

١- أن الطعام والشراب والنكاح لا يليقان بأهل الجنة لأنها دار كرامة، ولما يترتب على لوازم الطعام والشراب والنكاح مما لا يليق بها.

٢- أن السعادة لا تكون بالطعام والشراب إنما تكون بالاتصال بمجد المسيح، ورؤية الله ^{عَلَيْهِ}.

وقد فند علماء الإسلام شبهة النصاري في ذلك من كتبهم المقدسة، وإنجيلهم يُظهر وجود المتع الحسيّة من طعام وشراب ونكاح ^(٢)، ولما ورد من نصوص القرآن والسنة القاطعة في ذلك؛ وأما دلالة العقل فيقول أحد علماء قرطبة، في ذلك ^(٣): (فإنَّ العقل لا يدلُّ على استحالة ذلك، بل يدلُّ على جوازه، إذ ليس في ذلك إلا أن الذي خلقنا أوَّل مرّة، ومكَّننا أن نتنعم نعيمًا محسوسًا، ونتألَّم ألماً محسوسًا، قادرٌ على أن يُعيدنا بعد أن يُفنيينا كما بدأنا، فإنَّ الإعادة إنما هي خلقٌ ثانٍ، ومن قدر على الخلق الأوَّل قدر على الخلق الثاني...)؛ ثم ردَّ على شبهة ما يُظنُّ من لوازم المتع الحسيّة مما لا يليق بالجنة جوابًا شافيًا، وكان مما قاله

(١) "مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري (٣٥٥/٢)؛ و"الفصل" لابن حزم (٦٩/٤)؛ و"حادي الأرواح" لابن القيم (ص ٣٦٥ - ٣٦٦).

(٢) انظر في متعة الأكل والشراب والمسكن: متى: [٣٠-٢٦:٢٧]؛ متى: [١٨: ٢٩-٣٠]؛ يوحنا: [٦: ٢٧-٢٨]؛ لوقا: [٢٢: ٢٦ - ٣٠]؛ وفي متعة النكاح: متى: [١٩: ٢٩]؛ لوقا: [١٨: ٢٩ - ٣٠].

(٣) في "الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام" (٤٣٣/١) وللاستزادة انظر: "بين الإسلام والمسيحية" لأبي عبيدة الخرجي (ص ١٧٩-١٨١)؛ وكتاب "الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرية" لسليمان الطوفي (ص ٤٩٧-٥٠١)، وقد اختلف في نسبة كتاب "الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام" إلى مؤلفه، فمنهم من نسبه إلى الشيخ أبو عبد الله محمد القرطبي المفسر المشهور صاحب كتاب "الجامع لأحكام القرآن" ومن هؤلاء محقق كتاب الإعلام نفسه الدكتور أحمد حجازي السقا، وهي نسبة بعيدة، واجتهد أحد طلبة العلم - وهو الدكتور محمد بن إبراهيم أبا الخيل - في نسبته لأحد مشايخ قرطبة وهو أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر القرطبي الأنصاري المالكي يعرف بابن المزين (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وهو أحد مشايخ القرطبي المفسر، وهو الأقرب لأسباب كثيرة لا يسع المقام بذكره والله أعلم، انظر بحثه "هل القرطبي المفسر هو مؤلف كتاب الإعلام بما في دين النصاري من الأوهام".

رحمه الله: (بل نقول هناك أكلٌ وشربٌ وليس هنالك غائطٌ ولا بولٌ، وهذا غيرٌ منكراً، إذ لا يلزم في كلِّ طعامٍ أن يكون له فضلةٌ، ولو سلّمنا أن تكون له فضلةٌ لما لزم أن يكون فضلةً مستقدرةً بل قد تكون فضلاتٌ كثيرةٌ طيباً يُنطَبُّ به، وشراباً يُشرب، مثل المسكِ فإنه دُمٌ حيوانٍ أو رحيُّه، أو العسلُ فإنه فضلٌ حيوانٍ معروفٍ، وليس شيءٌ من ذلك مستقدراً بل هو مستطابٌ مستلذٌ، ولا يبعد أن تكون فضلاتُ الجنةِ بل هو هكذا، وقد جاءنا على لسانِ الصادقِ أنَّ أهلَ الجنةِ لا يبولون ولا يتغوطون، إنما هو عرقٌ يجري من أجسادهم مثل المسكِ...)^(١)، كما ورد في حديث زيد بن أرقم السابق الذكر في إنكار اليهودي نعيم أهل الجنة الحسبي لما يظن من لوازمه، فقال له النبي ﷺ: «حاجةٌ أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلودهم مثل ريح المسكِ، فإذا البطرُ قد ضمُر». ^(٢) كذلك فإنَّ أهلَ الإسلامِ يُثبتون ما وردَ في القرآن والسنة المتواترة من النعيم الروحي، والسعادة الروحية، ويجمعون بينه وبين النعيم الحسبي كما قال ذلك العلامة القرابي^(٣): (الذي يعتقدُه المسلمون من الجمع بين النعيم الروحاني المتعلق بالأرواح من إدراك جلالِ الله تعالى، وجماله، وتفصيلِ صفاته، وآلاءه المتجددة، والنعيم الجسماني الذي تقدّم تحقيقه، كان هو اللائقُ بالكرم الإلهي، والإحسان الرباني، فإنَّ الإقتصارَ على النعيم الروحانيّ تقصيراً من قائله في سعة النعمة، وتام الكرامة، وإنَّ ما يقول به المسلمون يجزمُ به العقلُ الشريف).^(٤)

وأما بالنسبة لعذاب النار والجحيم فإنَّ فرقَ النصارى وطوائفها يُثبتون وجودَ النار، وعذابها الحسبي والمعنويّ على اختلاف بينهم في تفاصيل ذلك.^(٥)

(١) "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" لأبو العباس أحمد القرطبي (٤٣٤/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٨/٣٢) - رقم (١٩٢٦٩)؛ وابن حبان في "الصحيح" (٤٤٣/١٦) - رقم (٧٤٢٤)؛ وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٦٦/٣) - رقم (٣٧٣٩).

(٣) وهو شهاب الدين: أبو العباس أحمد بن أبي العلاء: إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله المصري: أحد الأعلام المشهورين انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله تعالى وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى. كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير وتخرج به جمع من الفضلاء وأخذ كثيراً من علومه عن الشيخ الإمام العلامة الملقب بسلطان العلماء: عز الدين بن عبد السلام، ألف كتاباً مفيدة انعقد على كمالها لسان الإجماع منها: "كتاب الذخيرة في الفقه" من أجل كتب المالكية و"كتاب القواعد"، وكتاب "شرح محصول الإمام فخر الدين الرازي"، وكتاب "التنقيح" في أصول الفقه. توفي رحمه الله بدير الطين في جمادى الآخرة عام أربع مائة وثمانين وست مائة ودفن بالقرافة. انظر "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون (٢٣٦/١).

(٤) "الأجوبة الفاحرة عن الأسئلة الفاحرة في الرد على الملة الكافرة" للقرابي (ص ٩٦).

(٥) انظر كتاب: "اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام" فرج الله عبد الباري (ص ٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨).

الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: النتائج.

ثانياً: المقترحات.

أولاً: أهم ما توصلت إليه من نتائج :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبإحسانه تستفتح العبر والفوائد والعظات، وبفضله تنتهي الكتابات وتشرق النهايات، وأصلي وأسلم على سيد البشرية، وخير البرية، الذي أخرج الله به عباده من ظلمات الجهل إلى نور اليقين، و من ذل الشرك إلى عزة العبودية، فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- ١- أن دعوة عيسى عليه السلام إلى أصول الإيمان التي ذكرت في القرآن والسنة جاءت مطابقة لدعوة أخيه النبي محمد ﷺ في كل أركان الإيمان الستة ، و من الأمور العظيمة أنني وجدت ما يؤيد دعوته كذلك في العهد الجديد من الكتاب المقدس عند النصارى
- ٢- أن دلائل نبوة عيسى عليه السلام كانت متنوعة وكثيرة ، و الدلالة على صحة نبوته فيه رد على منكري نبوته وهم اليهود وفيه رد على النصارى القائلين بألوهيته.
- ٣- اثبات بشرية عيسى عليه السلام ، وأنه مهما بلغ من معجزات وكرامات ، فهي آيات دالة على صحة نبوته ، لا على صحة ألوهيته ، و أن كثيرا من هذه المعجزات قد شاركه وفاقه غيره من الأنبياء والمرسلين و لم يوصفوا بغير البشرية والنبوة
- ٤- أن دلائل القرآن والسنة فيها الكفاية لمن أراد البحث في مسائل الدين سواء فيما يتعلق بالأصول و الفروع ، والعقائد والأحكام .
- ٥- أنه لا بد من اليقين بما ورد من صريح القرآن و ثبت من صحيح السنة، بلا تحريف ولا تشكيك، وإن كانت هذه الأمور التي وردت من قصص أهل الكتاب، ولم يرد ذكرها في كتبهم المقدسة، فهذا ليس بحجة لنفيها أو تأويل نصوصها، كناطق عيسى عليه السلام في المهدي ونزول المائدة، خاصة وأنها جاءت في صريح القرآن وصحيح السنة، فكتبهم قد دخلها كثيرٌ من التحريف والتبديل.
- ٦- أن القصص التي وردت في نصوص القرآن وصحيح السنة لم ترد عبثا مهما تكررت وتفرقت ورودها، فهي تحوي في أي مكان ترد على فوائد ومسائل إيمانية عقديّة وسلوكية مختلفة حتى وإن كانت قصة واحدة، فينبغي على المتدبرين والباحثين العناية بقصص القرآن والسنة النبوية الصحيحة، والترغيب والترهيب بها، فهي أولى مما هو دونها من الإسرائيليات وقصص البشر، وهي المقصودة بالأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

ثانياً: الإقتراحات التي أقترحها:

١- إنه يجب البحث والتدقيق والنظر فيما ورد من الأخبار والآثار عن الأنبياء وأقوامهم - وإن كان مشهوراً سواء في كتبهم أو في تواريخهم وعدم الأخذ بها بلا نظر أو تمحيص، فإن كثيراً من الأمور التي فُسِّرت ممن أسلم من أهل الكتاب قد تكون خاطئة ومجانبة للصواب، وقد تكون من تحريف أهل الكتاب، فلا بد من التأكد قبل إطلاق القول أو تقليد للسابق.

٢- الاهتمام بالشخصيات المذكورة في القرآن والسنة النبوية، وجمع النصوص التي ورد ذكرهم فيها، سواء كانت عن الأنبياء والرسل وهم أولى أو كانت عن الملائكة أو من دونهم واستخراج المسائل العقديّة والفوائد المسلكية منها، فينبغي الاهتمام بهذا الجانب من قسم العقيدة في الجامعات الإسلامية، وهي أفضل من الاكتفاء بذكرهم على صورة قصصية ودعوية.

٣- ينبغي أن لا تقتصر دراسة الأديان والفرق على الدراسة الوصفية أو التاريخية، وإنما يجب أن تكون دراسة نقدية تميز بين الصحيح والباطل، والخبيث الطيب، وتسَلِّح الطلاب ببعض أساليب المحاورّة والمجادلة، وأدوات الهجوم والنقد للعقائد الباطلة والأفكار الفاسدة.

٤- الاستفادة من تراث علمائنا المسلمين في علم الأديان - خاصة في مجال نقد الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى- عن طريق ترجمتها وتبسيطها، ونشر الأجزاء النقدية منها في كتيبات صغيرة ليسهل توصيل ما بها من المعلومات النقدية إلى الشخص العادي من اليهود والنصارى وغيرهم، وتعريفهم بما في كتبهم المحرفة من مواطن الضعف والقصور، وإبراز البديل لأديانهم الباطلة وهو الإسلام الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٥- تخصيص وزارة الدعوة والأوقاف - بإشراف السلطات العليا- مبالغ مالية، وفتح مجال التبرعات في جمعيات واضحة معروفة في مجال نشر الإسلام، وفضح الأديان والملل الباطلة، خاصة وأن أهل الكتاب - وخاصة النصارى- يخصصون مبالغ وميزانيات ضخمة في التنصير.

٦- أنه يقع على عاتق الأمهات والآباء غرس حب الأنبياء والرسل في قلوب شباب وفتيات الأمة الإسلامية، وربطهم بأقوالهم وأفعالهم للاقتداء بها، فيجب العناية بجانب الإيمان بالرسل والمؤسف أن التقصير الواقع من المرين والمعلمين في هذا الجانب سبب ضعف حب الرسل والأنبياء في قلوبهم، بل وصل إلى حد الإستهانة والإستهزاء بعض أبناءنا بالرسل الكرام. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفهارس العامة

١- فهرس الأحاديث النبوية.

٢- فهرس الآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
٣٩	« أتدرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة... »
٢٢٩	«... إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق...»
١٤٥	«إذا أحبَّ الله العبدَ نادى جبريلُ إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبه، فيحبه جبريلُ...»
٢٥٣	« إذا كان يومُ القيامة دُعِيَ بالأنبياءِ وأُمَّهائِ، ثمَّ يُدعى بعيسى فيذكره الله نعمته... »
٢٣٠	« أراي الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى... »
١٦٧	«أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى...»
١٦١	« أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي -وذكر منها- وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى... »
٢٤٠-٢٣٩	« الأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ: دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى... ».
٢٢٩	« الأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى... »
١٩٨	«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى...»
٣٩	« الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة... »
١٩٩	« الخالة بمنزلة الأم »
٩٢	« النومُ أخو الموت »
٨٥	« إن الله ﷻ أمر يحيى بن عليهما السلام بخمس كلمات، أن يعمل بهنَّ، وأن ... »
١٥٦	« أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا... »
١٤٠	« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »
١٢٨	« إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ أَدْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَدْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ... »
٨٤	« أنا أولى النَّاسِ بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ،... »

١٩٤	« أَنَا أَوْلَىٰ مُوسَىٰ مِنْكُمْ »
١٦٨	« أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِي عِيسَىٰ بِنِ مَرْيَمَ »
٢٤٧	« أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ... ».
٢٤٨	« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا... ».
٩٦	« إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينَنَا وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بَابِنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهَا، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي... »
١٥٤	« أَنْزَلْتُ صَحْفًا إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَنْزَلْتُ التَّوْرَةَ لِسِتِّ... »
١٨٧	« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا... »
٢٤٨	« إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنْجِزُهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي... ».
٢٣٥	« إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالذُّجَالَ،... »
١٧٣	« إِنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْبِيَائِهِمْ كَمَا حَرَّفُوا كِتَابَهُمْ... »
١٩٧	« إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ »
٢٢١	« إِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرْتُ نُوْحَ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ... »
٢٠٠	« إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لِحَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدٌ فِي طِينَتِهِ،... »
٢١٦	« إِنِّي لِأَرْجُو إِنْ طَالَ بِي عُمُرٌ أَنْ أَلْقَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجَلَ بِي مَوْتُ،... »
٢٤٩	« إِنِّي لِقَائِهِمْ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبَرُ عَلَيَّ الصِّرَاطُ، إِذْ جَاءَنِي عِيسَىٰ فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ .. »
٢١٣	« بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانُ، أَوْ الدُّجَالُ، أَوْ... »
٢٥٧	« بَلِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لِيُعْطَىٰ قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ... ».
٧٠	« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعْرِ يَنْطَفِ [أَوْ يُهْرَقُ] ... »
١٩٨	« ثُمَّ صَعِدَ حَتَّىٰ أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: ... »
١٢٩	« جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا » وَفِي رِوَايَةٍ: « نَدَا »، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ »
٣٩	« حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ... »

١٤٤	« خُلِقَتِ الملائكةُ من نور، وخلق الجنُّ من نار، وخلق آدم مما وصف »
٥	« خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... »
٣٩	« خير نساءها مريم و خير نساءها خديجة »
٦٩	« رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا ... »
٢٣٠	« رأيتُ عند الكعبةِ رجلاً آدمَ، سبطَ الرأس، واضعاً يديه على رجلين يسكب... »
٢٥٧	« سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار؟ »
٣٣	« ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم.. ثم قال: فمن وجد فيها ملجأ، أو »
٢٢٨	« عُرض عليَّ الأنبياءُ، فإذا موسى ضربتُ من الرجال، كأنه من رجال شنوءة،... »
٤٦	« عرضت عليَّ الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه... »
٢٢٦	« عصابتان من أمي أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون... »
١٢٠	« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر... »
١٩٨	« فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكرياء، صلوات الله عليهما،... »
٢٢٣	« فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم... ثم قال: فيطلبه حتى يدركه... »
١٨١	« فسألت من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم... »
٦٤	« فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم... »
٢٤٣	« فبيعتُ الله عيسى ابن مريم كأنه عُروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث... »
٩٩	« فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط »
٢٤٩	فيقول الله ﷻ: ﴿ شفعت الملائكةُ، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا... »
٧٥	« فيقول موسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي ولكن انطلقوا إلى عيسى بن... »
٢٤٠	« فيكونُ عيسى ابن مريم عليه السلام في أمي حكماً عدلاً وإماماً قسطاً، يدقُّ... »
١٣٠	« قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ،... »

١٥٤	« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذَ أَحَدُنَا مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ رَبِّ... »
٣٢	« كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه و يمجسانه... »
٣١	« كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم... »
٣١	« كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها »
٢٩	« كل ولد آدم الشيطان نائل منه تلك الطعنة ولها يستهل المولود صارخا، إلا... »
٣٩	« كُئِلَ من الرجال كثير ولمي كمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم... »
٢٣٢	« كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم؟ »
٢٢٧	« لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله... »
٢٢٧	« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل... »
٢٢٧	« لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتَلَ... »
١٢١	« لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله »
٢٢٣	« لا تقوم الساعة حتى ينزل الرُّوم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من... »
٢٣١	« لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب... »
١١١	« لا يبيع حاضر لباد، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ »
١٧٣	« لقد قبض الله داود من بين أصحابه، فما فُتِنُوا ولا بَدَلُوا، ولقد مكث... »
٢٣٧	« لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِبرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى... »، قال: « فتذاكروا أمر... »
٢٢٩	« لَقِيتُ مُوسَى، قال: فنعتته، فإذا رجل - حسبته قال - مضطربُ رَجْلِ الرَّأْسِ... »
٦٦	« لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج... »
٢٣١	« ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل... »
	« ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم عليه السلام » فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: " يا رسول الله أفنعرف ذلك له ؟ قال: « نعم فاعرفوه له »

١٩٢	« مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ »
١٥٣	« ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي... »
٢٣٩	« لِيُحَجَّزَ هَذَا الْبَيْتُ، وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ. »
٢١٢	« ما تذاكرون؟ » قالوا: نذكرُ السَّاعَةَ، قال: « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر... »
٢٢٣-٢٢٢	« ما شأنكم؟ » قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعته،... »
٧٦-٧٥	« ما من الأنبياء من نبيٍّ إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر،... »
١٩٤	« مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا... »
٢٥٨	« ما من عبدٍ قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة... »
٣١	« ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس... »
٢٤٢	« ما يبكيك؟ » قلت: " يا رسول الله، ذكرت الدجال فبكيته"، فقال رسول... »
١٣٤	« ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله؟ » قال قلت: لا... »
٢٢٨	« مررت ليلة أُسري بي على موسى بن عمران عليه السلام، رجل... »
١٢٠	« من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أمير يفقد... »
١٨٠	« من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله،... »
٨١	« نزلت المائدة خبزًا ولحمًا، وأمرُوا أن لا يخنونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد... »
٢٤٩-٢٤٨	« نعم، عُرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون... »
٢٥٧	« هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ » قلنا: لا، قال: «... »
٢٥١	« وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »
٢٠٠	« وآدم بين الروح والجسد »
٦	« والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »
٢٣٢	« والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفتح الرُّوحاء، حاجا أو معتمرا، أو ليشينهما... »

٢٠٦	« والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر... »
٢٤٠	« والله، لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير... ».
٧٠	« ورأيت عيسى رجلاً مربعاً، مربع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس... »
٧٠	« ورأيت عيسى شاباً أبيض، حديد البصر، مبطن الخلق »
٧٠	« ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس »
٢٠٧	« ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي »
١١٩	« يا عدي اطرح هذا الوثن... »، وسمعتة يقرأ في سورة براءة: ﴿ اَتَّخِذُوا ... »
٢٢٥	« يأتي سبأخ المدينة وهو مُحْرَمٌ عليه أن يدخل نقابها، فتنفض المدينة بأهلها... »
٢٤٧	« يُجْبَسُ المؤمنون يومَ القيامة حتى يهيموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا... »
٢٢٥	« يخرج الدجال في أمتي، فيلبث فيهم أربعين " - لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين... »
٢٢٤	« يخرج الدجال في حَقَّةٍ من الدِّين، وإدبارٍ من العلم، فله أربعون ليلة... »
٢٣٨	« يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس، كما قال الله... ».
٢٢٦	« يقتل ابنُ مريم الدجالَ ببابِ لُدٍّ »
٢٣٥	« يقول الله تعالى: ﴿ يا آدم ﴾، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول:... »
٢٤٥-٢٢٤	« يكون للمسلمين ثلاثة أمصارٍ: مصرٌ بملتقى البحرين، ومصرٌ بالحيرة، ومصرٌ... »
٢٥٢	« يلقى عيسى حجته في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ... ».
١١٧	« ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب... »
٢٤٠	« ينزل ابن مريم إماماً عادلاً، وحكماً مُقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير... ».
٢٢٩	« ينزل عيسى ابن مريم -عليهما السلام- عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»

٢٣٢	« ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحي الصليب، ويُجمع له الصلاة... ».
٢١٦	« يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكما قسطا، وإماما عدلا، فيقتل... ».
٢٣١	« يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إمامًا مهديًا وحكمًا... ».

فهرس الآثار

الصفحة	قائله	الأثر
-٧٢ ٧٣	محمد بن إسحاق	" أن عيسى ﷺ جلس يوما مع غلمان من الكتّاب، فأخذ طينا، ثم... »
١٦٥	قتادة	" الدين واحد والشرائع مختلفة"
١٥٦	حذيفة بن اليمان رضي الله عنه	" أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا... »
٢١٧	الحسن البصري	" إن الله رفع إليه عيسى، وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به... »
-٨٦ ١٦٥	وهب بن منبه	" إنَّ عيسى كان على شريعة موسى ﷺ، وكان يسبُّ، ويستقبلُ بيت... »
٣٧	" ابن عباس رضي الله ومجاهد والضحاك وقتادة والربيع وسعيد بن جبير و السدي	" أن زكريا عليه السلام : أنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف .. "
١٧١	مالك بن أنس	" أنَّ عيسى ابن مريم كان يقول: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِعَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ... »
٦٩	يحيى بن سعيد	" أن عيسى ابن مريم لقي خنزيرا بالطريق فقال له: انفذ بسلام،... »
١٥٦	أبو البخترى	" انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حرامًا، وانطلقوا إلى حرام الله... »

٢٠٣	وهب بن مُنْبَه	" أوحى الله تعالى إلى شُعَيْبِ بْنِ بَاعِثٍ نَبِيًّا أُمِّيًّا أَفْتَحَ بِهِ آدَانَا صَمًّا... »
٢٩	ابن جريج	"تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة، وأجرها فيها "
٣٤	الحسن	" حيث اقترعوا على مريم، وكان غيباً عن محمد صلى الله عليه وسلم... »
٢١٦	أبو مالك	" ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، لا يبقى أحدٌ من أهل... »
٢٦	قتادة	" رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين "
٣٠	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	"سلك بها طريق السعداء"
٢٦	الحسن البصري	"فضله ما لله على العالمين بالنبوة، على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء...»
٨٠	سلمان الخير	" فلما رأى عيسى أن قد أبوا إلا أن يدعوا لهم بها، قام فألقى عنه... »
٢١٦	قتادة	" قبل موت عيسى، إذا نزل آمنت به الأديان كلها "
٢١٧	الحسن البصري	" قبل موت عيسى، والله إنه الآن لحي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون "
٢٠٢	سهل مولى خيثمة	" قَرَأَتْ فِي الْإِنْجِيلِ نَعْتَ مُحَمَّدٍ <small>ﷺ</small> : إِنَّهُ لَا قَصِيرَ وَلَا طَوِيلَ أبيض دُو طمرين بين...»
٢٠٤ ، ٢١٦	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" قوله " قبل موته " أي: " قبل موت عيسى ابن مريم "
١٤٨	ابن جريج	" قوله " فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا " قال: جبريل "
٣٧	بجاهد	" قوله ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ " علما أو صحفا فيها علم "
٣٦	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" قوله: ﴿ يَمْرُومُ أَلَيْسَ لَكَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُعْتَدُونَ ﴾ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ...»
١٤٨	قتادة	" قوله: " فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا " قال: جبريل "
٣٤	قتادة	" قوله: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ لَدَيْهِمْ ﴾ ، يعني محمدا <small>ﷺ</small> .
٣٤	محمد بن جعفر بن الزبير	" قوله: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ، أيما كنتم...»

٢٠٦	مجاهد	" قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم...»
٢٠٥	أبو مالك وعوف	" قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ قالوا: نزول عيسى ابن مريم وقرأها...»
٢٠٥	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ ، قال: خروج عيسى ابن مريم"
٢٠٦ - ٢١٨	قتادة	" قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ ، قال: نزول عيسى ابن مريم علم للساعة"
٢٠٦	الضحاك	" قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ ، يعني خروج عيسى ابن مريم ونزوله من .»
٢٥٣	قتادة	" قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ...»
٢٥٣	ميسرة	" قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلٰهَيْنِ...»
٢٠٤	الحسن	" قوله: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"، قال: قبل...»
٢٠٥	قتادة	" قوله: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"، يقول: قبل...»
٦٥	شاذ بن يحيى	" قوله: ﴿وَكَلَّمْتُهُ الْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ قال: " ليس الكلمة...»
٦٥	قتادة	" قوله: ﴿... يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ...»
١٤٨	أبو صالح	" قَوْلُهُ: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ قَالَ: بعث الله إليها ملكًا فنفخ في...»
١٥١	قتادة	" قوله: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فنفخنا في جيبها من روحنا"
١٦٤ - ١٦٥	قتادة	" قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ، يقول: سبيلا وسنة...»
٢١٨	الضحاك	" قوله: {وإنه لعلم للساعة}، يعني خروج عيسى ابن مريم، ونزوله من...»
٢٥٣	ابن جريج	" قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ...»
٦٥	محمد بن جعفر بن الزبير	" قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكَ أَلَّهُ...»

٣٦	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	"كان زكريا يدخل عليها المحراب، فوجد عندها عنبا في مكتل في غير حينه، فقال: يا...»
٣٧	الحسن	"كان زكريا إذا دخل عليها -يعني على مريم - المحراب وجد عندها رزقاً،...»
-١٩٦ ١٩٧	أبو حاتم	" كان بين موسى وعيسى صلى الله عليهما أربعمئة سنة، وكان...»
٧٣	وهب بن منبه	"كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط...»
١٥٤	عامر بن شهر	"كنت عند النجاشي فقرأ ابن له آية من الإنجيل فضحك، فقال...»
١٧٣	ابن عباس رضي الله عنهما	"كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابتكم الذي أنزل على...»
١٢٤	معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small>	" لا ترحمهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر"
٦٣	السدي	" لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى،...»
١٥٧	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" لم يأمرهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمرهم بمعصية الله،...»
٢٠١	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" لم يبعث الله <small>ﷺ</small> نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في...»
٢٥٥	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	"لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها، قال: فنزلت:...»
٦٣	وهب بن منبه	" لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس، فقالوا :...»
١٢٥	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" ليس أحد يُسمّى الرحمن غيرُه"
٢١٨	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية، أم لم يفتنوا لها؟ "وإنه...»
١٥٦	أبو العالية	"ما أمرونا به ائتمرنا، وما نأمننا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في...»
٣٢	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" ما ولد مولود إلا وقد استهلّ، غير المسيح ابن مريم، لم يسَلط...»
٦٥	أبو عبيد	" {كلمته} كن فكان"
٢٦	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	"هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ...»
١٤٨	وهب بن منبه	"وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا"

٢٩	شرحبيل بن سعد	"وقبل الله أنثاهم أن يجعلوها في البيعة"
٣٤	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	"وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم"

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الشهرة	الاسم
١٥٣	أبي كعب	أبيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد <small>رضي الله عنه</small> .
٢٦٠	القرافي	أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله.
١٠٠	ابن فارس	أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين.
١٦٥	القسطلاني	أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك.
١٠٨	أبو جعفر الطحاوي	أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي.
١٠١	أبو العباس ثعلب	أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني.
٦٢	السُّدي الكبير	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدي.
٢٢٦	ثوبان	ثوبان <small>رضي الله عنه</small> مولى رسول الله <small>صلَّى الله عليه وآله</small> .
١٨١	جمال الدين القاسمي	جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق.
٨٥	الحارث الأشعري	الحارث بن الحارث الأشعري <small>رضي الله عنه</small> .
٢١٢	حذيفة بن أسيد	حذيفة بن أسيد: ويقال: أمية بن أسيد بن خالد بن الأغوز بن واقعة بن حرام بن غفار الغفاري <small>رضي الله عنه</small> .
٩٩	الحليمي	الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم.
٢٩	الحكم بن الصلت	الحكم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب القرشي <small>رضي الله عنه</small> .
١٠٠	الخليل	الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن.
٩٢	الربيع بن أنس	الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي.
١٥٦	أبو العالية	رُفيع بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم البصري.

٢٥٦	زيد بن أرقم	زيد بن أرقم الخرجي الأنصاري <small>رضي الله عنه</small> .
٨٠	سعيد بن جبير	سعيد بن جبير الوالي مولاهم الكوفي.
١٥٦	أبو البخترى	سعيد بن فيروز، الكوفي، الطائي مولاهم.
٨٠	سلمان الخير	سلمان الخير أبو عبد الله بن الإسلام <small>رضي الله عنه</small> .
١٩٠	أبو الوليد الباجي	سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث.
٦٥	شاذ بن يحيى	شاذ بن يحيى الواسطي.
٢٩	شرحبيل بن سعد	شرحبيل بن سعد، أبو سعد شرحبيل بن سعد الخطمي المدني.
١٦٢	أبو البقاء الجعفري	صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزيني.
٣٧	الضحاك	الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ويقال أبو محمد الخراساني.
٢٠١	طاووس بن كيسان	طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن
٨٧	طلق بن حبيب	طلق بن حبيب.
١٥٤	عامر بن شهر	عامر بن شهر الهمداني أبو شهر، وقيل: أبو الكنود <small>رضي الله عنه</small> .
٤٨	القاضي عبد الجبار	عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي.
٢٠٣	ابن أبي حاتم	عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي.
-١٩٤ ١٩٥	الحافظ العراقي	عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، الكردي، أبو الفضل زين الدين.
١٩٩	ابن قتيبة	عبد الله بن مسلم الدينوري، القتيبي، أبو محمد.
٢٩	ابن جريج	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي أبو الوليد.
٤١	إمام الحرمين	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه أبو المعالي الجويني.
٢٢٠	عبدوس بن مالك	عبدوس بن مالك، أبو محمد العطار.
١٠٥	ابن بطة العكبري	عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي.

٢٠٦	عبيد	عبيد بن الطفيل، أبو سيدان الغطفاني العبسي الكوفي.
٢٢٤	عثمان بن أبي العاص	عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي <small>رضي الله عنه</small> .
١٣٨	الدارمي	عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، أبو سعيد التميمي.
١١٩	عدي بن حاتم	عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي <small>رضي الله عنه</small> .
٢٠٠	العرياض بن سارية	العرياض بن سارية السلمي <small>رضي الله عنه</small> أبو نجيح.
١٠٠	ابن الأثير الجزري	علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو الحسن عز الدين.
١٦٧	المتطبب الطبري	علي بن ربن - أو زين، أو ربن - الطبري: أبو الحسن.
٤٠	السبكي الكبير	علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين.
٤٦	ابن عبد السلام	علي بن هبة الله بن عبد السلام بن عبد الله بن يحيى البغدادي، أبو الحسن الكاتب.
٢٢٦	عمران بن حصين	عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي <small>رضي الله عنه</small> .
٦٧	الجاحظ	عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ.
٩١	القاسم بن أبي بزة	القاسم بن أبي بزة واسمه نافع ويقال يسار أبو عبد الله ويقال أبو عاصم القاري المخزومي.
٢٩	قتادة	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي.
٢٢٩	كيسان	كيسان بن عبد الله بن طارق، أبو نافع <small>رضي الله عنه</small> .
٣٧	مجاهد	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى السائب.
٢١٩	مجمع بن جارية	مجمع بن جارية (أو ابن يزيد بن جارية) بن عامر الأوسي <small>رضي الله عنه</small> .
٤١	الباقلاني	محمد أبو بكر بن الطيب بن محمد القاضي.
٦٧	ابن عاشور	محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
١٦٨	أبو زهرة	محمد بن أحمد أبو زهرة.
٤٧	السفاريني	محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون.
٧٣-٧٢	محمد بن إسحاق	محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان

		المطلبي، أبو بكر.
٤١	القاضي أبو يعلى	محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الخبلي، ابن الفراء
٩١	الكلبي	محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر.
٩٨	ابن الأنباري	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري.
٣٤	محمد بن جعفر	محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني.
٤٧	ابن أبي العز الحنفي	محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، صدر الدين.
٢١١	ابن دقيق العيد	محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري.
١٦٦	النسفي	محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل برهان الدين النسفي.
١٠٤	ابن نصر	محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله.
٩٠	أبو حيان	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيّان الغرناطي الأندلسي الجباني، النَّفْزِي، أثير الدين، أبو حيان.
١٨٦	رحمت الله الهندي	محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكَيْرَاتَوِي العثماني الهندي الحنفي.
٧٣	الآلوسي	محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء.
١٧٧	نصر بن يحيى المتطبب	نصر بن يحيى بن سعيد .
٢٥٠	أبو بكره الثقفي	نفيح بن الحارث، الثقفي الطائفي، مولى النبي ﷺ.
٢٢٢	النواس بن سمعان	النواس بن سمعان بن خالد بن عَبْدِ اللَّهِ بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة الكلابي.
١٥٤	وائله بن الأسقع	وائله بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، الليثي الكناني
٣٢	وهب بن منبه	وهب بن منبه، أبو عبد الله الصنعاني.
٦٩	يحيى بن سعيد القطان	يحيى بن سعيد بن فروخ أبو سعيد التميمي مولاهم، القطان.
٢٥٧	يعلى بن مرة	يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإبانة عن أصول الديانة، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، تأليف: أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥هـ.
- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، تأليف: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ .
- إتحاف المهرة إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ، المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) ، تحقيق : مركز خدمة السنة والسيره ، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- إثبات الشفاعة، للإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، تأليف شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي؛ تحقيق: مجدي الشهاوي ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٨ م.

- اختلافات في تراجم الكتاب المقدس و تطورات هامة في المسيحية، اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، مصر.
- الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدًا من تخریجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البحايي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

- أشراف الساعة يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل ط ٤ ، ١٤١٤ هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- أصول السنة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار المنار، الخرج، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر

- الحكيني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- إظهار الحق، المؤلف: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
 - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ) ت: أحمد عصام الكاتب الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ
 - أعلام النبوة، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
 - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد حجازي سقا، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.
 - الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٩ هـ.
 - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
 - أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير د. محمد بن إبراهيم الحمد. دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
 - إقامة البرهان في الرد على من أنكروا خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، للشيخ حمود التويجري ١٤٠٢ هـ، حقوق الطبع لشبكة الألوكة
 - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
 - الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين يحيى العمراني، المحقق: سعود بن عبد

العزیز الخلف، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- الإنتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية ت: سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي ، تحقيق : الدكتور سالم بن محمد القرني ، مكتبة العبيكان ط : الأولى - ١٤١٩ هـ .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الإيمان بالكتب، للشيخ محمد إبراهيم الحمد، كتاب من صفحة الشيخ الرسمي www.toislam.net

حرف الباء

- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان،
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- بدائع الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، عدد الأجزاء: ٤
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة، بيروت.
- بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية" د .حنين عبد المسيح (ط الأولى) ٢٠٠٩
- البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل أحمد حجازي السقا، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م.
- بولس والمسيحية ، للدكتور محمد أبو الغيط الفرت / دار الطباعة المحمدية - ط ١
- بولس وتحرير المسيحية" للباحث هيم مكبي ، ترجمة : سميرة عزمي الزين منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية

- بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي ، تحقيق : الدكتور محمد شامة ، مكتبة وهبة

حرف التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.
- التاريخ الكبير أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، إعداد: د محمد بن عبد الكريم بن عبيد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ط: الأولى، ٢٠٠٣ م
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- تجريد التوحيد المفيد، تأليف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، تحقيق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، طبعة: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م.
- تحريف المسيحية، للباحث هيم مكبي، ترجمة : سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، المؤلف: عبد الله الترجمان الميورقي أبو محمد، تحقيق: عمر وفتيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- تحجيل من حرّف التوراة والإنجيل، تأليف: صالح بن الحسين الجعفري أبي البقاء الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- تخريج أحاديث فضائل الشام لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي، تأليف: أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ
- تذكرة الحفاظ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
- تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرؤزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- تفسير ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.
- تفسير ابن جرير المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- تفسير ابن عطية، المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن

- عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- تفسير البغوي المسمى: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
 - تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
 - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ .
 - تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
 - تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
 - تفسير الماوردي المسمى: النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
 - تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، لبنان، طبعة ٢٠٠٥ م.
 - تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي المتوفى ١٥٠ هـ تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٣ هـ
 - تلخيص المتشابه في الرسم، لأبو بكر أحمد بن علي بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق:

- سُكينة الشهابي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق ، ط: الأولى، ١٩٨٥ م.
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، دار التوحيد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م.
 - تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول الرسول" للشيخ محمد بن عبد الله الإمام، موقع كلمات عبر شبكة الانترنت.
 - تهذيب اللغة، تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
 - تهذيب التهذيب ، تأليف : أحمد بن حجر العسقلاني ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ
 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزني ، المحقق: د. بشار عواد معروف ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
 - التوحيد، تأليف: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، تحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، لموريس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط: الثانية، ٢٠٠٤ م.
 - توفيق الرحمن في دروس القرآن، المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحرملي النجدي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية - دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
 - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" سليمان بن عبد الله التميمي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م.
 - التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- التنبهات السننية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد ، دار الرشيد ، ط - ٢ ، ١٤١٦ هـ

حرف الجيم

- جامع المسائل، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، تحقيق محمد عزيز شمس، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- الجامع: سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الدمشقي، دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الأملعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤ م
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ أو: الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن بن علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، الطبعة التاسعة، ١٤٢٥ هـ.

حرف الحاء

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم الجوزية ، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف:أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- حياة مريم أم يسوع" الأب فرنسيس قندلا اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ببيروت (١٩٤٩)

حرف الدال

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.
- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر:

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود بن عبدالعزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/الهند ط: الثانية، ١٣٩٢ هـ.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- دلائل النبوة، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصهباني، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، تأليف محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧ هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الطبعة : الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- دين المسيح اسم الدين الذي جاء به موسى وعيسى عليهما السلام ، العميد د. جمال الدين الشرقاوي ، مركز التنوير الإسلامي
- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، تأليف: علي بن ربن الطبري، ساعده فيه الخلفية العباسي المتوكل على الله، حققه وقدم له عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣.

حرف الراء

- الرد على الجهمية والزندقة، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد

- الشيباني، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، للشيخ عبدالمحسن العباد، من منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
- الرسالة التبوكية المسمى: زاد المهاجر إلى ربه، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني، جدة.
- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٣هـ.
- رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق محمد عبدالله الشرفاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، زيد بن عبد العزيز الفياض، دار الوطن، ط - ٣

حرف الزاي

- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط ١٤٢٥هـ
- الزهد والرقائق، لعبد الله بن المبارك، بتحقيق وتعليق أحمد فريد، صدر عن الدار السلفية بالإسكندرية، مصر، سنة ١٤١٩هـ.

حرف السين

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ج ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج

٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- السُّنَّة، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- سنن ابن ماجه، تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجُردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- السنن الكبرى، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- السنن، لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بيروت، لبنان.
- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

حرف الشين

- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة

الثامنة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، مؤسسة الريان، الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هشام، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة مصر
- شرح السنة، المؤلف: الحسن بن علي بن خلف البرهاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- شرح السنّة، تأليف: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- شرح العقيدة السفارينية، الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- شرح العقيدة الطحاوية، لمعالي الوزير للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مكتبة ابن الجوزي مصر (الطبعة الأولى)
- شرح النووي على مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.
- شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م .
- الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

- شعب الإيمان، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- (شفاعة القديسين) تأليف القمص بشوي كامل، الناشر www.fatherzakaria.com
- الشفاعة، لأبي عبدالرحمن مقبل الوداعي، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة (ردُّ على مصطفى محمود) لأبي محمد عبد الكريم الحميد، طبع على نفقة بعض المحسنين، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

حرف الصاد

- صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- صحيح الإمام مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، الطبعة الخامسة.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، (الفتح الكبير)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- صحيح وضعيف الترغيب والترهيب، تأليف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري زكي الدين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة

الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- صحيح وضعيف موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

حرف الضاد

- ضعيف سنن النسائي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

حرف الطاء

- طبقات الحنابلة، أبو الحسين بن أبي يعلى، المحقق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الحنفية عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، الناشر مير محمد كتب خانة، دار النشر كراتشي، باكستان.
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- طبيعة المسيح، تأليف بابا شنودة الثالث، القاهرة، الطبعة الخامسة، فبراير ١٩٩٥ م.
- طرح الشيرب في شرح التقريب، تأليف: عبد الرحيم بن زين العراقي، أكمله ابنه أحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- طريق المهجرتين وباب السعادتين، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- طلبة سيدتنا مريم العذراء - شرح وتفسير "، مطبوعات كنيسة السيدة العذراء بلوس أنجلوس كاليفورنيا طبعة ٢٠٠٦م.

حرف العين

- العبادة الحقيقية لمريم البتول الأم الإلهية، للطوباوي لويس دي مونفور
- عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام د. سعد عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدراسات الإسلامية - المجلد السابع عشر، العدد الأول ٢٢٥-٢٥٦، ٢٠٠٩م
- علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، القمص ميخائيل مينا، ١٩٨٢م
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عيسى المسيح والتوحيد لمحمد عطا الرحيم، ترجمة عادل محمد حامد، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

حرف الغين

- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، حققه عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، وخرّج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، طبعة: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- الغفران بين الإسلام والمسيحية، تأليف إبراهيم بن خليل أحمد، القس سابقا، دار المنار (الطبعة الأولى) ١٤٠٩هـ

حرف الفاء

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، تأليف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلـيم بن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل " لابن حزم الأندلسي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
- فضائل الشام ودمشق، علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربيعي، أبو الحسن، ويعرف بابن أبي الهول، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ م.
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي، دار الفكر، طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

حرف القاف

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ.
- قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- قصص القرآن الكريم" للدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع ٢٠٠٧
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن

حمد آل سعدي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح بن عثمان، دار ابن الجوزي، طبع بإشراف مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

حرف الكاف

- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي، ناصر بن يحيى الجيني، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل، فهد بن علي المساعد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- كتاب الروح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- كتاب العين، تأليف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- الكتاب المقدس (كتب العهد القديم و العهد الجديد) الترجمة العربية المشتركة (، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط : إنجيل لوقا ، إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل يوحنا ، ورسائل بولس.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأفاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف اللام

- اللاهوت المقارن" البابا شنودة الثالث ، كتاب الكتروني من موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي القس - الإسكندرية - مصر
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ .

- لسان الميزان لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني المحقق: دائرة المعارف النظامية - الهند ، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - ط الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م
- الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، د. منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكاتبها، دمشق، الطبعة الثاني، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

حرف الميم

- ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ، لأحمد ديدات ، ترجمة الشيخ إبراهيم خليل أحمد القس سابقا - دار المنار
- متن الطحاوية" المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ
- المحتبى من السنن؛ السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
- محاضرات في النصرانية، تأليف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م.

- محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر.
- المختار في الرد على النصارى لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجليل بيروت - مكتبة الزهراء القاهرة ط الأولى ١٤١١ هـ
- مختصر شعب الإيمان للبيهقي، تأليف: أبي القاسم الكرخي التميمي القزويني الشافعي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- المخصص، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- المدخل إلى العهد الجديد، دار الثقافة المسيحية، ١٣٠٤، القاهرة
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- المستدرک علی الصحیحین للحاکم، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري، تحقيق: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، مصر، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري

- عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.
- المسند لأبي يعلى الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
 - المسيح عيسى عليه السلام (دراسة سلفية) ، للشيخ رفاعي سرور ، دار هادف للنشر والتوزيع.
 - المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس؟، للمؤلف نبيل نقولا جورج بو
- خروف ط - ٢٠٧٢م
- مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبي عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
 - مصادر النصرانية دراسة ونقدا، لعبدالرزاق بن عبد المجيد الأرو، تقلد: محمد بن عبد الرحمن الحميس، وأحمد عبد الوهاب، دار التوحيد للنشر، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٧م.
 - المصباح المنير، أو: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
 - المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
 - المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
 - المعجم الكبير، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
 - معجم مقاييس اللغة، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار اتحاد الكتاب العرب، طبعة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
 - المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى،

١٤١٢ هـ.

- مقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي، الدار الشامية للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: نعيم زرزور ، المكتبة العصرية للطباعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ
- الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور حسين محمد نصار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" الندوة العالمية للشباب، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط-٤، ١٤٢٠ هـ.
- موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان طبعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- المؤيد القرآني حل لغز البارقليط والمؤيد شهادة ، د. جمال الدين الشرقاوي مركز التنوير الإسلامي

حرف النون

- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعد كريم الدرعمي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر.
- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية" لنصر بن يحيى المتطَّب، تحقيق وتعليق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، طبعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسيني الإدريسي الشهير بـ الكتاني، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر.
- نقض عثمان بن سعيد على المرّيسي الجهمي العنيد، فيما افترى على الله في التوحيد، للإمام عثمان بن سعيد الدرامي، تحقيق: منصور بن عبد العزيز السّماري، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- نهاية العالم أشرط الساعة الصغرى والكبرى د. محمد بن عبد الرحمن العريفي ١٤٣١هـ
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

حرف الهاء

- هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟، لمنقذ محمد السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع

حرف الواو

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، موسوعة إلكترونية مشهورة على الانترنت.

حرف الياء

- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية و الإسلام ، للباحث فرج الله عبد الباري أبو عطا الله دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط : الثانية ١٤١٢هـ

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٦-٤	المقدمة
١٣-٧	أسباب اختيار الموضوع ، خطة البحث
١٧-١٣	منهج البحث والدراسات السابقة ، شكر وتقدير
٢١-١٩	تمهيد : المطلب الأول: بيان أن قصص القرآن والسنة مشتملة على مسائل العقيدة ودلائلها.
٢٣-٢٢	المطلب الثاني: التعريف بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ودعوته.
٢٥-٢٤	الفصل الأول : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في نشأة نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام
٢٥	المبحث الأول: ما ورد في قصة أم مريم وحملها بمريم عليها السلام
٢٨-٢٥	المطلب الأول : اصطفاء الله لآل عمران على العالمين .
٣١-٢٨	المطلب الثاني : قبول الله لنذر أم مريم عليها السلام .
٣٣-٣١	المطلب الثالث : تعويد أم مريم عليها السلام ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم
٣٥-٣٣	المطلب الرابع : الإخبار عن الأمور الماضية علم من أعلام نبوة النبي محمد ﷺ
٣٦	المبحث الثاني : ما ورد في فضل مريم عليها السلام .
٣٨-٣٦	المطلب الأول : اثبات كرامة أم عيسى عليها السلام.
٤٢-٣٨	المطلب الثاني : فضل الصديقة مريم عليها السلام ومكانتها في الجنة

٤٣ - ٤٤	الفصل الثاني : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في دلائل نبوة نبي الله عيسى
٤٤	المبحث الأول : مقدمات في النبوة ودلائلها
٤٤-٤٧	المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة
٤٨	المطلب الثاني : النبوة ودلائلها عند أهل السنة والمتكلمين
٤٨-٤٩	أولا : النبوة عند المتكلمين
٥٠-٥٩	ثانيا : النبوة عند أهل السنة والجماعة
٦٠-٦١	المطلب الثالث : إثبات نبوة عيسى ﷺ وأنه من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام .
٦٢	المبحث الثاني : ما ورد في دلائل نبوة عيسى ﷺ
٦٢-٦٣	المطلب الأول : ما ورد في الاستدلال بحال نبي الله عيسى ﷺ وصفاته . : ١- الإرهاصات التي تكون قبل مولده عليه السلام
٦٣-٦٥	٧- ولادته من غير أب
٦٦-٦٨	٨- التكلم في المهد
٦٨-٦٩	٩- صفاته الخلقية .
٧٠-٧١	١٠- صفاته الخلقية .
٧٢	المطلب الثاني الاستدلال بآيات ومعجزات عيسى ﷺ :
٧٢-٧٤	١- أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله
٧٤-٧٥	٢- إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله
٧٥-٧٧	٣- إحياء الموتى بإذن الله

٧٩-٧٧	٤- الإخبار بالمغيبات
٨٣-٧٩	٥- نزول المائدة من السماء
٨٤	المطلب الثالث الاستدلال بدعوة عيسى ﷺ
٨٥-٨٤	١- دعوته لتوحيد الله تعالى وإلى الإسلام
٨٦	٢- تصديقه للأنبياء ، ومتابعته للتوراة .
٨٨-٨٦	٣- أمره بتقوى الله والإيمان به وطاعته عليه السلام
٨٩-٨٨	٤- الدعوة إلى أصول الشرائع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٩٦-٩٠	المطلب الرابع : الاستدلال بنجاة عيسى ﷺ من أعدائه ونصرته بإلقاء الشبه على غيره ورفعه ﷺ.
٩٧	الفصل الثالث: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان بالله تعالى
٩٨	المبحث الأول : ما ورد في تقرير توحيد ربوبية الله ﷻ
١٠٢-٩٨	تمهيد : ١- معنى كلمة " الرب " ٢- معنى كلمة " الإله "
١٠٥-١٠٣	المطلب الأول : ما ورد في إقرار نبي الله عيسى ﷺ بتوحيد ربوبية الله تعالى.
١٠٧-١٠٦	المطلب الثاني : شرك النصارى في توحيد الربوبية .

١١٣-١٠٧	المطلب الثالث : ما ورد في نبي الله عيسى عليه السلام من مفردات ربوبية الله ومنها: ١- الخلق ٢- الملك والنفع والضرر لله سبحانه ٣- الرزق ٤- الإذن الكوني.
١١٤	المبحث الثاني: ما ورد في تقرير الإيمان بتوحيد الألوهية
١١٥-١١٤	المطلب الأول : الأمر بعبادة الله ﷻ والنهي عن الشرك به سبحانه.
١١٨-١١٦	المطلب الثاني : تقرير عبودية عيسى ﷺ لله ﷻ.
١٢٢-١١٩	المطلب الثالث: : الشرك في الألوهية: ١- شرك الطاعة. ٢- شرك الغلو في الصالحين.
١٢٣	المبحث الثالث: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في تقرير الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته
١٢٩-١٢٣	المطلب الأول: ما ورد في أسماء الله تعالى : ١- اسم الله الأعظم (الله) ، ٢- اسم (الرحمن) ٣- العزيز الحكيم ، ٤- الرقيب الشهيد
١٣٤-١٣٠	المطلب الثاني: ما ورد في صفات الله تعالى وأفعاله: ١- صفة الوجدانية ، ٢- صفة الصمدية ، ٣- صفة الغنى والكبرياء والعلو لله سبحانه

١٣٩-١٣٥	المطلب الثالث: المضاف إلى الله تعالى .
١٤٢-١٤٠	المطلب الرابع: تقرير الإيمان بالقضاء والقدر
١٤٣	الفصل الرابع: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب
١٤٤	المبحث الأول: ما ورد في نبي الله عيسى ﷺ في الإيمان بالملائكة عليهم السلام
١٤٥-١٤٤	المطلب الأول: بشرى الملائكة عليهم السلام لمريم عليها السلام بعيسى ﷺ .
١٤٨-١٤٦	المطلب الثاني: تسمية الملك جبريل عليه السلام بروح القدس.
١٤٩	المطلب الثالث: تمثل جبريل عليه السلام بصورة رجل.
١٥١-١٥٠	المطلب الرابع: النفخ في جيب مريم عليها السلام وحملها بهذا النفخ.
١٥٢	المبحث الثاني : ما ورد في نبي الله عيسى ﷺ في الإيمان بالكتب
١٥٤-١٥٢	المطلب الأول: الإيمان بما أوتي عيسى عليه السلام، وأنها من كلام الله تعالى.
١٥٦-١٥٥	المطلب الثاني: مصادر التشريع عند عيسى عليه السلام.
١٥٨-١٥٧	المطلب الثالث: تعريف الإنجيل

<p>١٧١-١٥٨</p>	<p>تابع المطلب الثالث : رسالة عيسى عليه السلام:</p> <p>١ - توحيد العبودية لله سبحانه ، ٢- الإيمان بنبوّة عيسى عليه السلام ورسالته لبني إسرائيل ، ٣- التصديق بالتوراة والإيمان بالإنجيل ٤- التبشير بالنبي الخاتم محمد ﷺ</p> <p>٥- الزهد في الدنيا و رجاء الآخرة والتعلق برب الأسباب</p> <p>٦- الدعوة إلى أصول الشرائع وأمّهات الأخلاق</p>
<p>١٧٧-١٧٢</p>	<p>المطلب الرابع: تحريف الإنجيل، وأسباب تحريفه.</p>
<p>١٧٨</p>	<p>الفصل الخامس: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام</p>
<p>١٧٩</p>	<p>المبحث الأول: ما ورد في الإيمان بعيسى عليه السلام.</p>
<p>١٨٤-١٧٩</p>	<p>المطلب الأول: إثبات نبوة عيسى عليه السلام، وذكر اسمه ولقبه.</p>
<p>١٨٦-١٨٥</p>	<p>المطلب الثاني: نسب عيسى عليه السلام في القرآن، واختلاف نسبه في الإنجيل.</p>
<p>١٩١-١٨٧</p>	<p>المطلب الثالث : الإيمان ببشرية عيسى .</p>
<p>١٩٥-١٩٣</p>	<p>المطلب الرابع: الإيمان بتفاضل الأنبياء، وفضائل عيسى عليه السلام، وأنه من أولي العزم من الرسل.</p>
<p>١٩٩ - ١٩٦</p>	<p>المبحث الثاني: ما ورد في علاقة نبي الله عيسى ﷺ مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ١- صلته نبي الله عيسى ﷺ بالأنبياء والمرسلين</p> <p>٢- قرابة عيسى بيحيى ابن زكريا عليهم الصلاة والسلام</p>

٢٠٠	المبحث الثالث: ما ورد في علاقة نبينا محمد ﷺ بنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.
٢٠٠	المطلب الأول : أنه معلوم في كتاب الله بنبوته واختيار الله له منذ خلق آدم عليه السلام.
٢٠١-٢٠٠	المطلب الثاني : الميثاق الذي أخذ على النبيين.
٢٠٤-٢٠١	المطلب الثالث : بشارته النبي عيسى عليه السلام به، وذكره في التوراة والإنجيل.
٢٠٨-٢٠٤	المطلب الرابع : نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وإقراره لشريعة النبي ﷺ.
٢٠٩	الفصل السادس : الآيات والأحاديث والآثار الواردة في الإيمان باليوم الآخر
٢١٣-٢١٠	مقدمة في الدار الآخرة والقيامة وأشراط الساعة
٢١٤	المبحث الأول : ما ورد في الإيمان بأشراط الساعة:
٢٢٠-٢١٤	المطلب الأول: نزول المسيح عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة.
٢٢٧-٢٢١	المطلب الثاني: قتل المسيح عيسى عليه السلام للمسيح الدجال وذكر من معه من المؤمنين.
٢٣٤-٢٢٨	المطلب الثالث: صفة نزول عيسى عليه السلام، ومكانه، وما يقوم به من أعمال.
٢٣٨-٢٣٥	المطلب الرابع: هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه عليه السلام ﷺ.

٢٣٩	المطلب الخامس: حال الناس في عصر عيسى <small>عليه السلام</small> ، ومدة لبثه وموته عليه السلام.
٢٤٤	المبحث الثاني: ما ورد في الإيمان بيوم القيامة: مقدمة عن يوم القيامة
٢٤٥-٢٥١	المطلب الأول: طلب الشفاعة العظمى من عيسى <small>عليه السلام</small>
٢٥٢-٢٥٤	المطلب الثاني: تلقين الله عز وجل لعيسى <small>عليه السلام</small> حجته يوم القيامة.
٢٥٥-٢٦٠	المطلب الثالث: ما ورد في أهوال يوم القيامة وذكر البعث والجنة والنار
٢٦١-٢٦٣	نتائج البحث والمقترحات
٢٦٥-٢٧١	فهرس الأحاديث النبوية
٢٧١-٢٧٥	فهرس الآثار
٢٧٥-٢٧٨	فهرس التراجم
٢٧٩-٣٠١	فهرس المصادر والمراجع